بسم الله الرحمن الرحيم

الجامعة الأردنية
كلية الدراسات العليا

منهج الدعوة في القصة القرآنية

إعداد الطالب
عمر صالح بطايحة

إشراف الدكتور
أحمد شكري

قدمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في التفسير
بكلية الشريعة في الجامعة الأردنية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الإهداء

أُهدي هذا العمل لوالديّ العزيزين ولسائر أهل بيتي كما أُهديه لأرواح الشهداء ولحملة القرآن ولكل من نذر نفسه داعيةً إلى الله تعالى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

شكر وتقدير

الحمد لله رب العالمين على أن وفقني لإنجاز هذا البحث ، والـ شكر والتقدير لأستاذي الفاضل الدكتور أحمد شكري على ما ولانيه من الرعاية والتوجيه والنصح فكان نعم المشرف جزاه الله خيراً .

كما أتقدم بالشكر لأساتذتي الفضلاء الذين قبلوا مشكورين مناقشة هذه الرسالة :

- فضيلة الأستاذ الدكتور فريد السلمان .
- فضيلة الدكتور مصطفى المشني .
- فضيلة الدكتور زياد الدغامين .

كما أتقدم بالشكر لكل من ساهم في إنجاز هذا البحث .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس الموضوعات

الإهداء ..... ب

شكر وتقدير ..... ج

فهرس الموضوعات ..... د

ملخص الرسالة ..... ز

المقدمة 1

التمهيد 14

الفصل الأول القصة القرآنية 29

المبحث الأول مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح 31

المبحث الثاني أهمية القصة القرآنية والحكمة منها 35

المبحث الثالث خصائص القصة القرآنية 40

الفصل الثاني الدعوة إلى الله عزّ وجلّ 42

تمهيد 42

المبحث الأول : مفهوم الدعوة في اللغة والاصطلاح 44

المبحث الثاني وسائل الدعوة 50

المبحث الثالث خصائص الدعوة ومصادرها 70

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الفصل الثالث أساليب الدعو في القصة القرآنية 85

المبحث الأول الدعوة إلى الله تعالى عن طريق الحجج العقلية 87

لمبحث الثاني الدعوة إلى الله تعالى عن طريق ضرب الأمثلة واستعمال أسلوب الترغيب والترهيب 99

المبحث الثالث الدعوة إلى الله تعالى من خلال التذكير بنعم الله ولفت النظر إلى الآيات الكونية 120

الفصل الرابع منهج القصة في بناء الشخصية الإسلامية 132

تمهيد 132

المبحث الأول منهج القصة في الدعوة إلى بناء العقيدة 135

المبحث الثاني الدعوة إلى بناء الأخلاق 157

المبحث الثالث الدعوة إلى بناء السلوك 219

الفصل الخامس زاد الدعاة في تبليغ الدعوة من خلال القصة القرآنية 235

تمهيد 235

المبحث الأول الإيمان بالله تعالى وتعميق الصلة به 237

المبحث الثاني العلم والبصيرة بما يدعو إليه الداعي 255

المبحث الثالث أولا : أدب المناظرة والجدل بالّتي هي أحسن : 273

الفصل السادس موقف المدعوين من الدعوة من خلال القصة القرآنية 338

المبحث الأول موقف الملأ وأساليبهم في الصدّ عن دين الله تعالى 340

المبحث الثاني موقف المنافقين من الدعوة وأصحابها 369

المبحث الثالث موقف المستضعفين من المؤمنين وثباتهم على الحق 384

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

الفصل السابع صور من الدعو في تاريخ المسلمين 394

المبحث الأول صور من الدعو في حياة الأنبياء وأتباعهـ **395**

المبحث الثاني صور من الـ عو في حياة الصحابه والتابعين **406**

المبحث الثالث الدعو في الوقت الحاضر والمشكلات التي تواجهها وكيفيا علاجها **417**

الخاتـــــــمة 426

فهرس المصادر والمراجِ 432

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

ملخص الرسالة

يمكن تلخيص هذه الرسالة في النقاط التالية :

أولاً : الدعوة إلى الله تعالى واجبة وهي ضـــرورية في تغيير واقع المسلمين .

ثانياً : القصة القرآنية وسيلة حية وفعالة لإبلاغ دعوة الله تعالى إلى الناس كافة .

ثالثاً : استعرضت الرسالة منهج الأنبياء وأتباعهم في دعوتهم أقوامهم إلى الدين الحق وذلك من خلال القصص القرآني .

رابعاً : بينت الر سالة ان القـ صة القرآنية دعت إلى بناء العقيدة وذلك من خلال الحديث عن التوحيد والبعث والجزاء والوحي والرسالة .

خامـ ساً : حثت القـ صة القرآنية على التزام الـ سلوك الـ سوي والأخلاق الحميدة و حذرت من الانحراف والمنكرات التي تؤدي إلى نزول عذاب الله تعالى .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

سادساً : أبرزت القصة القرآنية قدرة الأنبياء والمرسلين على إقناع أقوامهم بالحجج العقلية الدامغة في الوقت الذي عجز أعداؤهم عن تقديم البراهين فلجأوا إلي التهديد والوعيد .

سابعاً : أوضحت القصة القرآنية أن دعوة الأنبياء تقوم على المجادلة بالتي هي أحسن واستعمال أسلوب الترغيب والترهيب وأسلوب ضرب الأمثلة وأسلوب التذكير بنعم الله عالى.

ثامناً : تنوعت أساليب الملأ في الصد عن دين الله تعالى وفي دعوتهم المستضعفين إلى التخلي عن رسلهم عليهم الصلاة والسلام .

تاسعاً : الابتلاء سنة من سنن الله تعالى واعظم الناس بلاء الأنبياء فعلى الدعاة إلى الله تعالى توطين أنفسهم على ذلك مع ثقتهم بنصر الله تعالى وتأييده .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المقدمـــــــــــــة

الحمد لله رب العالمين والـ صلاة والـ سلام على سيد المر سلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد : فإنّ الدعوة إلى الله تعالى هي مهمة الرسل والأنبياء وورثتهم من العلماء العاملين وهي من أفضـــل الأعمال لأن ثمرتها هداية الـ اس وإخراجهم من الظلمات إلى النور.

سبب اختياري لهذا الموضوع :

لقد وقع الاختيار على هذا الموضـــوع (منهج الدعوة في القصـــة القرآنية) للأمور التالية:

- الدعوة إلى الله تعالى هي المنقذ للبـ شرية من الـ ضلال وهي الو سيلة الـ شرعية لتغيير الواقع في ضوء متطلبات العـصر وحـا ضر المـسلمين وهي بهذا جديرة بالدراسة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- حاجة البشرية الملحّة إلى الدعوة في كل وقت وبيئة.
- الدعوة إلى الله تعالى واجب منوط بأعناق الأمة الإســـلامية أفراداً وجماعات وأمّة. وهي مناط شرفها في هذه الحياة.
- الرغبة في عرض جهود الدعاة من النبيين والمر سلين ومناهجهم وو سائلهم وكيف واجهوا هذه المجتمعات وانحرافاتها بر سالاتهم ، وذلك لنسير على نفس الطريق لنفيد منه في حاضرنا المعاصر.
- منهج القرآن الكريم في الدعوة والتربية يخاطب الفطرة المركوزة في صميم الإن سان بعيداً عن أ سلوب علم الكلام ودواعي الجدل والمراء ، ومن هنا كان من الد بيعي أن تأخذ القصـــة مكانها وأن تقوم بدور ها في مجال الدعوة والتربية. وأهمية القصة تبرز من خلال النقاط التالية :

. يتميز منهج الق صة القرآنية في الدعوة إلى الله تعالى بأنه يخاطب العقل الب شري كله ويخاطب ضميره ووجدانه ويحرك الفكرة والخيال ويلمس الحس والبصيرة ويثير الانفعال والشعور فيستغل في الإنسان كل طاقاته ومواهبه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب. إن القصـــــة القرآنية قالب تربوي وإعلامي تنفذ من خلاله الدعوة إلى القلوب البشرية ونفوسها.

ج. إن بناء العقيدة في النفوس يحتاج إلى الوســـائل المؤثرة التي تتغلغل إلى

لقلوب مباشرة. ولا ريب أن القصة من أهم هذه الوسائل .

د ـــ. القصة في القرآن الكريم وسيلة لعرض مبادئه والدعوة الىهذه المبادئ

والتربية على أساسها وتثبيت حقائقها في قلوب المؤمنين .

منهجية البحث

المنهج الذي سلكته في كتابة هذه الرسالة يتلخص فيما يلي :

أولاً : الاستدلال بالآيات القرآنية للاستدلال على المعنى المراد.

ثانياً : لم يتم ا ستق صاء جميع الآيات المتعلقة بالق صص القرآني، لأن الر سالة تبحث في استنباط المنهج لا في استقصاء الآيات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً : لم تقتصر الرسالة على جانب الدعوة في قصص الرسل عليهم الصلاة والسلام، بل تناولت قصص غيرهم من الدعاة إلى الله تعالى.

رابعاً : عزو الآيات القرآنية إلى سورها والأحاديث النبوية إلى مصادرها.

خامساً : الرجوع إلى كتب التفسير المتعددة للاطلاع على أقوال المفسرين حول معنى الآية المتعلقة بالبحث .

سادساً : الاطلاع على عدد من كتب السنة ممّا له صلة بموضوع الرسالة.

سابعاً : الرجوع إلى بعض كتب المغازي والسير ممّا له صلة بموضوع الرسالة.

ثامناً : الاستعانة ببعض الكتب المعاصرة التي لها علاقة بموضوع البحث .

تاسعاً : تعددت موضوعات القصة الواحدة ولذلك تم الاستشهاد بالقصة الواحدة في أكثر من موضع مما يتعلق بالمراد وليس هذا من التكرار .

عاشراً : كان الحديث عن الدعوة إلى الله تعالى من خلال القصة القرآنية وذلك لإلقاء الضوء على السنن التي سار عليها الأنبياء والمرسلون واتباعهم مما قصهُ علينا القرآن الكريم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

محتويات الرسالة:

وقد اشتملت الرسالة: على مقدمة، وتمهيد، وسبعة فصول، وخاتمة .

* المقدمة: وتضمنت:

أ ــ سبب اختيار الموضوع (منهج الدعوة في القصة القرآنية)

ب ــ منهج البحث .

* التمهيد: وكان تحت عنوان (أهمية الدعوة إلى الله ووجوبها وضرورتها الملحة في تغيير الواقع) .

استعرضت فيه ضرورة الدعوة إلى الله تعالـ – لتغيير الواقـ – ووجوبها، والأدلة على ذلك من كتاب الله تعالى وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام ، وأقوال العلماء المحققين في ذلك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* الفصل الأول: القصة القرآنية. ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم القصة القرآنية في اللغة والاصطلاح .

حيث بينت فيه : أن المادة اللغوية لمادة (قص) تعنى في الأصل ـــــ التتبع والاقتفاء وهو معنى ملحوظ في القصة التي هي جملة من الكلام المقصوص. حيث يقوم القاص بتتبع الحدث من البداية إلى النهاية . ثم بينتُ المعنى الإصـــطلاحي للقصة القرآنية .

المبحث الثاني: أهمية القصـــة والحكمة منها . وأنها جاءت للتربية والتوجيه والبناء العقدي للإنسان المسلم .

المبحث الثالث: خصائص القصة القرآنية .

* الفصل الثاني: الدعوة إلى الله تعالى: ويشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : مفهوم الدعوة إلى الله في اللغة والاصطلاح .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث أوضحت فيه: مفهوم الدعوة في اللغة والاصطلاح وذلك بالرجوع إلى أقوال العلماء في ذلك، وأن لفظ الدعوة إذا أطلق من الناحية الاصطلاحية ينصرف عرفاً إلى الإسلام بمعنى النشر والبلاغ .

المبحث الثاني : وسائل الدعوة إلىالله تعالى

حيث بينت فيه بعض الوسائل التي يستعين بها الدعاة لتبليغ دعوة الله تعالى ، وأن هذه الوسا ل يتم بها تحقيق أهداف الدعوة إلى الله سبحانه .

المبحث الثالث : خصائص الدعوة إلى الله تعالى ومصادرها ،

حيث ذكرت فيه بعض خصائص الدعوة إلى الله عز وجل وأن دعوة الإسلام لاتختص بمن بُعث إليهم محمد صلى الله عليه وسلم بل هو حكم عام في الأولين والآخرين ، وتم استعر اض أهم مصادر دعوة الله تعالى وفي مقدمتها القرآن الكريم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

* الفصل الثالث : أساليب الدعوة في القصص القرآني. واشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : الدعوة إلى الله تعالى عن طريق الحجج العقلية :

حيث بينت فيه : أن الحجج العقلية من أقوى الأدلة على إقناع الخصـــم وإذعانه كما جاء في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام .

المبحث الثاني : الدعوة إلى الله من خلال التذكير بنعم الله ولفت النظر إلى الآيات الكونية.

حيث أوضحت فيه أن هذا الأسلوب له أهميته من حيث دلالته على قدرة الله تعالى وعظيم صنعه وتدبيره ، ونعمه الكثيرة ، وهذا كله يؤدي إلى حمل الإنسان على الايمان بالله تعالى .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : الدعوة إلى الله تعالى عن طريق ضرب الأمثلة، واستعمال أسلوب الترغيب والترهيب، وأوضحت فيه: أن أسلوب ضرب الأمثلة من أهم الأساليب التي تقرب المعنى إلى العقول وتبرزه في صورة محسوسة . وهذا الاسلوب جاء في دعوة خاتم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم. وكذلك بينت أن أســـلوب الترغيب والترهيب له أثر بالغ على النفس البشـــرية من حيث الخوف والرجاء .

* **الفصل الرابع** : منهج القصة في بناء الشخصية الاسلامية واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : منهج القصة القرآنية في بناء العقيدة .

وقد بينت فيه أن دعوة ــ الرسل عليهم الصلاة والسلام ــ قائمة على أساس التوحيد من حيث التحذير من الشرك ، وإفراد الله تعالى بالعبادة ، والايمان بالبعث والنشور، والوحي والرسالة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني: منهج القصة القرآنية في بناء السلوك

حيث أوضـــحت فيه أن القصـــة القرآنية تمدّ الداعية بمجموعة من القيم والمعاني ، وتوجهه إلى سلوك الطريق الذي يرضي الله تعالى.

المبحث الثالث : منهج القصة القرآنية في بناء الأخلاق .

حيث تناولت فيه بعض القيم الأخلاقية من خلال دعوه المرسلين وأتباعهم ، و لتكون مصـــباحاً منير اً للدعاة في منهجهم وذلك بالتزام القيم الأخلاقية الحميدة، والبعد عن الأخلاق السيئة كما جاء في القصص القرآني.

* الفصـــل الخامس : زاد الدعاة في تبليغ الدعوة من خلال القصـــة القرآنية واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : الايمان بالله وتعميق الصلة به . حيث أوضحت فيه أن الايمان بالله أعظم زاد للداعية في دعوته من خلال اتصاله العميق بالله تعالى .

المبحث الثاني : العلم والبصيرة بما يدعو إليه الداعي . حيث ذكرت فيه أن الداعية ينبغي له أن يتزود بزاد العلم الديني والدنيوي وأن يكون على بصيرة بدعوته التي يدعو إليها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : أدب المناظرة والجدل بالتي هي أحسن والتخلق بالأخلاق الحسنة (الصبر، التقوى ، الحلم ، اللين ، التواضع ، الثقة بنصر الله ، الوعي الفكري ومواكبة التطور ، التعرف على خصائص المدعويين)، حيث ضمّنته بعض الصفات التي هي زاد الداعية في دعوته إلى الله تعالى وقدوته في ذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام كما جاء في القصص القرآني .

* الفصل السادس : موقف المدعّوين من الدعوة من خلال القصة القرآنية واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : موقف الملأ وأساليبهم في الصدّ عن دين الله تعالى حيث أوضحت فيه رفض الملأ لدعوة الرسل ـ ليهم الصلاة والسلام والتشكيك في صدقهم وإخلاصهم .

المبحث الثاني : موقف المنافقين من الدعوة وأصحابها حيث ذكرت فيه مواقف المنافقين من الدعوة وأنهم لم يتركوا وسيلة إلا استخدموها لهدم الاسلام والكيد له .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : موقف المستضعفين وثباتهم على الحق . حيث ذ رت فيه أن غالب أتباع الر سل من المستضعفين وأن الدين إنما يُنصر بهم وذلك لثبات الايمان في قلوبهم .

* الفصل السابع: صور من الدعوة في تاريخ المسلمين: واشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول : صور من الدعوة في حياة الأنبياء وأتباعهم ، حيث تحدثت فيه عن بعض النماذج لدعوية التي تُعتبر قدوة لمن بعدهم .

المبحث الثاني : صور من الدعوة في حياة الصحابة والتابعين ، وقد تكلمت فيه عن بعض الأمثلة من سيرة الـ سلف الـ صالح في دعوتهم وجهادهم في سبيل نصرة دعوة الحق .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث : الدعوة في الوقت الحا ضر والم شكلات التي تواجهها وكيفية علاجها.حيث ا ستعر ضت بعض م شكلات الدعوة في الع صر الحا ضر وكيفية علاجها من خلال المسيرة الدعوية للدعاة .

* الخاتمة : وتضمنت ما توصلت إليه من نتائج .

وأخيراً أســـأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصـــاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي تقصيري إنه سميع مجيب .

والحمد لله ر ب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

التمهيد

أهمية الدعوة إلى الله تعالى ووجوبها وضرورتها الملحة

في تغيير الواقع في ضوء متطلبات العصر

الدعوة الى الله تعالى دعوة خير وحق لانها دعوة الى العدل والاحســـان ودعوة الى ما تقتضيه الفطر ال سليمة وتستحسنه العقول الخال صة وتركن اليه النفوس الزكية والدعوة الى الله تعالى دعوة الى مكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال وحفظ الحقوق واقامة العدل بين الناس باعطاء كل ذي حق حقه وتنزيله من المنازل فيما اســـتحقه وبذلك يتحقق الاخاء بين المؤمنين من أجل هذه الامور وغيرها صار للدعوة الى الله تعالى أهمية ومقام عظيم في ال سلام وورث القائمون بها الانبياء والمرسلين .

والله تعالى أمر حبيبه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ ما أُنزل إليه، قال تعالى(يَاأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ(1)قُمْ فَأَنذِرْ(2)وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ(3)وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ)[1]

[1] سورة المدثر الآيات : 1-4

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن مقام الدعوة إلى الله تعالى أشـــرف المة مات ويكفي في هذا قول النبي صلى الله عليه و سلم: (من دعا إلى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه، لا ينقص ذلك من أجورهم شيئا ومن دعا إلى ضلالة، كان عليه من الإثم مثل آثام من تبعه لا ينقص ذلك من آثامهم شيئاً)[2]

إنّ رسل الله عليهم الصلاة والسلام بلغوا رسالة ربهم ومضوا إليه سبحانه، لم يبلغوها باللسان فحسب بل بلغوها أيضا قدوة عملية ممثلة بالعمل، وبقي الواجب الثقيل على من بعدهم، والتخلي عن هذا الواجب يعني ضلال البشرية وشقوتها في الدنيا وعذابها في الآخرة. إنّ الأمم لا ترزق التمكين في الأرض ولا تنال حظا من عناية الله إلا إذا مرت بأدوار من العمل المـ ضني والجهاد الـ شاق، و صبرت على تكاليف الرسالات التي تحملها، والقرآن الكريم يذكر أسباب سيادة الأقدمين من بني إســـرائيل،قال تعالى (وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صـــبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)[3] .

---

[2] رواه مسلم ابو الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري ت(61) صحيح مسلم طبعة بلا 413 ه _992 م _دار الكتب العلمية _بيروت _ كتاب العلم _باب من سن سنة حسنة او سيئة _ ص2060

[3] سورة السجدة آية :24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنّ الدعوة إلى الله عز وجل ضرورة ملحة للتعاون على الخير الذي أمر الله عز وجلَّ به :(وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ[1])

وقد و صف الله تعالى الأمة الإ سلامية بأنها خير أمة أخرجت للنا س ، لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر قال الله تعالى: (كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ[2]) وقال تعالى: (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنكَرِ[3]) . بين الله تعالى أن هذه الأمة خير الأمم للناس ، فهم انفعهم لهم، أعظمهم إحسانا إليهم، لانهم كملوا كل خير ونفع للناس بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر لكل أحد[4] . وقد وضح الإمام النووي ضرورة لأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يقول رحمه الله: "واعلم أن هذا الباب أعني باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قد ضيع أكثره من أزمان متطاولة ، ولم يبق منه في هذه الأزمان

---

[1] سورة المائدة آية: 2

[2] سورة آل عمران آية: 110

[3] سورة التوبة آية: 71

[4] انظر: أحمد عبد الحليم بن تيمية ت(728 هـ) ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ تحقيق محمد السيد الجليند ـ الطبعة الثالثة 407 هـ ـ دار المجتمع جدة ـ ص27

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا رسوم قليلة جداً وهو باب عظيم به قوام الأمر وملاكه ، وإذا كثر الخبث عم العقاب الصـــ لح والطالح، وإذا لم يأخذوا على يد الظالم أوشـــك أن يعمهم الله تعالى بعقابه، (فَلْيَحْذَرْ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُ صِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُ صِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) فينبغي لطالب الآخرة والساعي في تحصيل رضا الله عز وجل أن يعتني بهذا الب ب، فإن نفعه عظيم لا سيما وقد ذهب معظمه".[5](5)

إن الدعوة إلى الله تعالى من المهمّات التي بعث الله عز وجل لأجلها ر سله، وأنزل كتبه، وبها تقام الحجة على الناس قال تعالى: (لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل..)[6] .

وتظهر ضرورة الدعوة إلى الله عز وجل لأنها س ب لدفع عذاب الله تعالى حيث حذر ســـبحانه من عاقبة ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في قوله تعالى : (وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُ صِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَا صَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ)[7] .

---

[5] الإمام أبو زكريا ــ يحيى بن شرف النووي ــ ت(676 هـ ــ) شرح النووي على صحيح مسلم ــ الطبعة الأولى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ! /24 ــ والآية من سورة النور ورقمها 63

[6] سورة النساء آية :165

[7] سورة الانفال آية :25

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمر الله تعالى المؤمنين أن لا يروا المنكر بين ظهرانيهم فيعمهم العذاب فيصيب الصالح والطالح، ومن شدة عقاب الله تعالى أنه يصيب بالعذاب من لم يباشر أسبابه والذين لم يظلموا قد تسببوا للعقوبة بأسباب: كترك الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر[1]

فأعظم ما يحفظ لهذه الأمة كيانها ووجودها و سلامة مجتمعاتها من الرذائل قيامها بفريضة الدعوة إلى الله تعالى؛ من الجهاد في سبيل الله و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، ومما يدل على ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى (وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ[2]) .

عن يزيد بن حبيب عن أسلم أبي عمران التجيبي قال: "كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفا عظيماً من الروم، فخرج إليهم من المسلمين مثلهم أو أكثر، وعلى أهل مصر عقبة بن عامر، وعلى الجماعة فضالة بن عبيد، فحمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل فيهم، فصاح الناس وقالوا: سبحان الله يلقي بيديه إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصاري

---

[1] د. محمد الأشقر ــ زبدة التفسير من فتح القدير ــ الطبعة الرابعة 412 هـ ــ 991 م ــ الدار المتحدة للطباعة والنشر ــ دمشق ص30؛ بتصرف

[2] سورة البقرة آية: 195

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال : يا أيها الناس إنكم لتؤوّلون هذه الآية هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معاشر الأنصار لما أعز الله الإسلام و كثر ناصروه: فقال بعضنا لبعض سر دون رسول الله صلى الله عليه و سلم: إن أموالنا قد ضاعت وإن الله قد أعز الإ سلام وكثر نا صروه فلو أقمنا في أموالنا فأ صلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تبارك و تعالى على نبيه صلى الله عليه و سلم يرد علينا ما قلنا . (وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهل ة)، فكانت التهلكة الإقامة على الأموال و إ صلاحها و تركنا الغزو. فما زال أبو أيوب شاخصاً في سبيل الله حتى دفن بأرض الروم [1] .

تبين مما تقدم ضرورة الدعوة إلى الله عز وجل لإقامة الحجة على الناس وأنه يترتب على إهمالها حلول عقاب الله وسخطه فإذا أرادت الأمة الإ لامية تغيير واقعها المؤلم المعاصر فمنفذها الرئيس هو الدعوة إلى الله عز وجل، فهي الوسيلة الشرعية الكفيلة بتغييره.

[1] رواه أبو داوود ؛ 12/ ـــــ 3 ، وانظر: أبو العلاء محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري ت(353 هـــــ) تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ــ الطبعة الأولى ــ 141 هـ ــ 990 م ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ؛ 249/ ، رواه الحاكم في المستدرك ؛ 275/ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأما عن أدلة وجوب الدعوة إلى الله تعالى فهي كثيرة منها: قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمْ الْمُفْلِحُونَ﴾[3] فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثابت بالكتاب و السنة، وهو من أعظم واجبات الشريعة المطهرة وأصل عظيم من أصـــولها، وبه يكمل نظامها، وذلك لأن أصـــحاب كل دين قد ينحرف بعضهم عن دينه جهلاً به، أو اتباعاً للهوى، وقد يتقاعسون عن أداء الواجبات، وقد يظلم بعضهم بعضاً، فإن لم يوجد من يصحح المسيرة ، ويهدي الضال، ويعظ المقصّر ويأخذ على يد الظالم، كثر الانحراف و تعاظم ، حتى ينسى الدين وتتغيَّر معالمه[1] .

وقد اختلف العلماء في (من) هل هي للتبعيض أم لبيان الجنس فقال بعض المفسرين أن (من) للتبعيض فيكون معنى الآية كونوا كلكم أمة تدعون إلى الخير وتأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر .

---

[3] سورة آل عمران آية: 104

[1] انظر: محمد الأشقر ــ زبدة التفسير ص80

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذهب الفريق الآخر إلى أن (من) لبيان الجنس ومعنى الآية على هذا : أمر للأمة بأن يدعوا جميع العالم إلى الخير فتدعون الكفار إلى الإ سلام والع صاة إلى الطاعة فيكون كل واحد في هذه الأمور على منزلته من العلم والقدرة . [10]

وقد فصـــل بعض العلماء في هذه المســـألة حيث قالوا إن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على من تعينه الدولة الاســـلامية للقيام به يقول الماوردي إن فر ضه متعين على المد سب بحكم الولاية وفر ضه على غيره داخل في فروض الكفاية [*] ويقول ابن تيمية (وهو فرض كفاية ويصـــير فرض عين على القادر الذي لم يقم به غيره)[**] ومما تجدر الاشارة اليه ان الداعية يختلف عن الخطيب حيث يقول البهي الخولي في هذا الـ شأن (والداعية غير الخطيب الخطيب خطيب وكفى والداعية مؤمن بفكرة يدعو اليها بالكتابة والخطابة والحديث العادي

---

[10]) انظر : تفسير البغوي . /399 ، وانظر : زاد المسير ص 434

[*] الماوردي . الاحكام السلطانية ص24 .

[**] ابن تيميه . الحسبة في الاسلام ص 37 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبكل ما يستطيع من وسائل الدعاية يؤثر في الناس بعلمه وشخصه والداعية ايضاً طبيب اجتماعي يعالج أمراض النفوس وهو رفيق وصديق وأخ للغني والفقير وهذا ضـــروري للداعية وهو من واهب الروح والجذ ن لا من صـــفات البلاغة وملكات اللســـان وكل هذا لا تنهض الخطابة وحدها بحقوقه فلا بد له من التأثير النف ساني والهيمنة الروحية والاتـ صال بالله وا ستعانة العقل بما حـ صل من تجارب التاريخ وأحوال الناس [***] .

ومن أدلة الوجوب: قوله تعالى: (فَلَوْلَا كَانَ مِنْ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُوْلُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنْ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ(116)وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُـ ا مُصْلِحُونَ) [1] .

لما ذكر الله تعالى إهلاك الأمم المكذبة للرسل، وأن أكثرهم منحرفون عن الكتب الإلهية وذلك كله يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال،

[***] البهي الخولي - تذكرة الدعاه ص

[1] سورة هود الآيات: 116 – 117

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا من أهل الخير، يدعون إلى الهدى، وينهون عن الفساد و الرّدى، فحصل من نفعهم، وأُبقيت بهم الأديان، ولكنهم قليلون جداً. وغاية الأمر، أنهم نجوا باتباعهم المرسلين، وقيامهم بما قاموا به من دينهم، ويكون حجة الله أجراها على أيديهم، ليهلك من هلك عن بينه ويحيا من حيّ عن بينة [2].

ومن الأدلة أيضاً: قوله تعالى: (.. وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ(40)الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنْ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) [3] .

ومن أدلة الوجوب: قوله تعالى: (لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ(78)كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ(79)تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ(80))

---

[2] انظر: عبد الرحمن ناصر السعدي ت (1376 هـ) ــ يسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ــ طبعة بلا ــ دار الذخائر ــ الدمام ! /395

[3] سورة الحج الآيتان: 40 ــ 41

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ[4]) وفي الحديث قال صلى الله عليه وسلم: (إن أول ما دخل النقص على بني إ سرائيل، كان الرجل يلقى الرجل فيقول : يا هذا اتق الله ودع ما تـ صنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشـــريبه وقعيده ، فلما فـ لوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

ثم قال (لُعن الذين كفروا من بني إ سرائيل) _ إلى قوله _ (فا سقون)، ثم قال: (كلا والله لتأمرن بالمعروف ولتنهونَ عن المنكر، ولتأخذنَ على يد الظالم ولتأطرنّهُ على الحق أطراً ولتقصرنهُ على الحق قصراً .[15]

والمقصود بقوله صلى الله عليه و سلم: (ضرب الله قلوب بعضهم ببعض: أي خلط قلوب بعضـــهم ببعض، أي ســـود الله من لم يعص بشـــؤم من عصـــى، فصـــارت قلوب جميعهم قاســـية، بعيدة عن قبول الحق والخير والرحمة بســـبب المعاصي ومخالطة بعضهم بعضا،

---

[4] سورة المائدة ــ الآيات: 78 ــ 81

[15] رواه الترمذي رقم (3050) وقال حديث حسن ، انظر : الحافظ المباركفوري ــ تحفة الأحوذي ــ { /327 ، ابن ماجة ــ محمد بن يزيد القزويني ت (275 هـــ) سنن ابن ماجة طبعة بلا ، مطبعة دار إحياء الكتب العربية { /1328 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوله صـــلى الله عليه وســـلم في الحديث (تأطرنّه) أي: تعطفوه عليا . (ولتق صرنه): أي تحـ سبنه، والمعنى: لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الإذعان للحق، وإعطاء النصفة للمظلو .[16]

ومن الأدلة على الوجوب: قوله صلى الله عليه و سلم: "ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها خلف من بعدهم خلوف، يقولون مالا يفعلون، ويفعلون مالا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، و من جاهدهم بلـ سانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن و ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل"[7] . و قوله صلى الله عليه وسلم: " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يـ ستطع فبـ سانه، فإن لم يـ ستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"[18]

يقول شيخ الإسلام ابن تيميه: " إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أوجب الأعمال و أفضلها وأحسنها[19]

---

[16] انظر الحسين بن محمد الأصفهاني ت(425 هـ) مفردات ألفاظ القرآن الكريم ـ تحقيق صفوان داوودي ـ الطبعة الأولى دار القلم ـ دمشق ص 306 .

[7] انظر صحيح مسلم بشرح النووي باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ! /27

[18] رواه مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ! /69 .

[19] ابن تيمية ـ الحسبة في الإسلام ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة ص 81 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و يقول أبو بكر الجصاص:" أكد الله تعالى فرض الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و بينه ر سول الله صلى الله عليه و سلم في أخبار متواترة عنه فيه، وأجمع السلف و فقهاء الأمصار على وجوبه .[20]

ويقول ابن حزم: " اتفقت الأمة كلها على وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر بلا خلاف من أحدهم".[21]

ويقول الـ شوكاني: " وجوبه ثابت بالكتاب و الـ سنة و هو من أعظم واجبات الشريعة و أصل عظيم من أصولها، و ركن مشيد من أركانها، و به يكمل نظامها و يرتفع سنامها".[22]

ويقول الغزالي: " الـباب الأول في وجوب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، وفضـــيلته والمذمّة في إهماله و إضـــاعته ، و يدل على ذلك إجماع الأمّة عليه، وإشارة العقول السليمة و الآيات و الأخبار و الآ ار".[23]

---

[20] أبو بكر الجصاص ـ أحمد بن علي الرازي المعروف بالجصاص ـ ت (70 هـ) أحكام القرآن ـ المطبعة البهية طبعة بلا ؛ /9 .

[21] ابن حزم ـ محمد بن علي ت (456 هـ) الفصل في الملل والنحل ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر ؛ /171 .

[22] محمد بن علي الشوكاني ت(250 هـ) فتح القدير الجامع بين فتي الرواية والدراية ـ طبعة بلا ـ دار الفكر ـ بيروت ـ 403 هـ 1983 م ـ ؛ /381

[23] أبو حامد الغزالي ـ إحياء علوم الدين ـ دار المعرفة ـ بيروت . /306

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما تجدر الإشارة إليه أن العلماء اختلفوا في تحديد صفة الوجوب فقال بعضهم إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض عين على كل مسلم يؤديه بقدر استطاعته وذهب جمهور الفقهاء إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفائي .[24]

ضوابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

أولاً – أن لا يعتدي على أهل المعاصي بزيادة على المشروع في بغضهم أو ذمهم أو نهيهم أو هجرهم أو عقوبتهم .

ثانياً – أن يقوم بالأمر والنهي على الوجه المشـــروع من العلم والرفق والصبر ، وحسن القصد وسلوك السبيل القصد .[25]

[24] ابن تيمية ـ الحسبة في الإسلام ص 16 .

[25] ابن تيمية ـ مجموع الفتاوى 4/ 81 -482

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً – إن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة وقاعدة ذلك أن لا يتضمن الأمر بالمعروف فوات أكثر منه أو حصول منكر فوقه ، ولا يتضمن النهي عن المنكر حصول أنكر منه ، أو فوات معروف أرجح منه .[26]

رابعاً – البدء بالأهم فالمهم وتقديم الكليات على الجزئيات ، ولا يعني هذا إهمال الجزئيات وإنما هناك أولويات شرعية يبدأ بها .

وخلاصة القول: إن هذه الادلة القرآنية، والأحاديث النبوية ، وأقوال العلماء تؤكد على وجوب القيام بالدعوة إلى الله تعالى، و هناك أدلة كثيرة لم يتم ذكرها تجنباً للإطالة .

[26] ابن تيمية ـ الحسبة في الإسلام ص 124 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الأول

القصة القرآنية

إن القرآن الكريم كتاب موحى به من ا سماء على خاتم الأنبياء و المر سلين أجمعين، فهو كتاب دعوة إلى معرفة الحق و الإيمان بالله تعالى و بناء الفرد المسلم والمجتمع المسلم بناءً إسلامياً كاملاً.

إن و سائل الدعوة إلى الله عز و جل كثيرة و متنوعة ، و القـ صة القرآنية إحدى هذه الو سائل فهي تو ضح منهج الأنبـ اء في دعوتهم وما واجهوه من إيذاء و ا ستهزاء، و تهدف إلى حث الناس على التفكر في ما يـ سمعونه و بالتالي ا ستنتاج دروس الإيمان و الدعوة و الجهاد.

و القـ صص القرآني مو صوف بأنه الأحـ سن و ذلك لأنه مبني على الـ صدق والصواب ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والله تعالى قص على رسوله صلى الله عليه و سلم قصص الأمم السابقة مع أنبيائها و ر سلها في القرآن الكريم رحمة بنا و تحذيراً من سخطه و عذابه. فقال تعالى:(تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ[7] .

إن القصص القرآني لا يقصد امتاع أسماع السامعين، وإن كان ممتعاً بل هو وسيلة من الوسائل الرئيسة لإحقاق الحق وإبطال الباطل . قال تعالى : (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ[8]) .

وسيكون الحديث في هذا الفصل عن القصة القرآنية في ثلاثة مباحث ضمن العنوانات التالية :

المبحث الأول : مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني : أهمية القصة القرآنية والحكمة منها.

المبحث الثالث : خصائص القصة القرآنية.

---

[7] سورة الأعراف آية: 101

[8] سورة يوسف آية: 111

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول مفهوم القصة في اللغة والاصطلاح

أولاً : مفهومها لغة:

بعد الرجوع إلى كتب اللغة يتبين لنا أن أ صل المادة (ق صص) م شتق من قص أثره أي: تتبعه، والق صة: واحدة الق صص: هي الأمر والحديث، يقال اقتص الحديث رواه على وجهه، وقص عليه الخبر، والا سم: الق صص بـ فتح ، والق صة التي تكتب [9] .

إن الدلالات اللغوية لمادة (قصّ) تعني في الأصـــل: التتبع والاقتفاء وهو معنى ملحوظ في القصة التي هي جملة من الكلام المقصوص، والقصة تكتسب هذا الا سم من معنى فعل القاص حين يمارس عمله في قص الخبر، فهو يأتي بالق صة على وجهها كأنه يتتبع م انيها وألفاظها ، ويقتفي آثار أحداثها في ترتيب بعضـــها على بعض، وكأنما القاص في ذلك يحاكي قصاص الأثر

[9] نظر: محمد بن مكرم بن منظور ت(711 هـ) ــ لسان العرب ــ طبعة بلا ــ دار صادر ــ بيروت ، 5/ ، الفيروز أبادي ت(817 هـ) ــ القاموس المحيط الطبعة الثانية ــ مؤسسة الرسالة ــ دار إحياء التراث ص808 ــ 809 إبراهيم مصطفى وزملاؤه ــ المعجم الوسيط ــ الطبعة الثالثة ــ دار عمران ، 2/68 ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو تتبع آثار الأقدام على الأرض حتى يعرف م صير تلك الأقدام وي صل إلى النهاية، وهي صلة تنطبق على المعنى اللغوي للفظ (ق صة) وذلك حين يقوم القاص وهو يكتب ق صة تتبع الحدث من البداية مرورا" بالو سط والقص : القطع [50].

ثانياً : مفهومها اصطلاحا" :

ذكر العلماء تعريفات كثيرة لمفهوم القصـــــة في الاصـــــطلاح ،و من باب الاختصار سأقتصر على ذكر تعريف واحد منها جامع للمعنى المراد.

[50] محمد بن حسن الزير ــ القصص في الحديث النبوي ــ دار اللواء ــ الرياض ص18 ، 39 ، القاموس المحيط ص 809 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القصة القرآنية: كما عرفها صاحب كتاب القصص القرآ ي في منطوقه و مفهومه:

هي أنباء وأحداث تاريخية لم تلتبس بشيء من الخيال ولم يدخل عليها شيء غير الواقع، و مع هذا فقد ا شتملت على ما لم يـ شتمل عليه غيرها من قـصص من الإثارة و التشـــويق مع قيامها على الحقائق المطلقة، الأمر الذي لا يصـــلح عليه القصص الأدبي بحال أبدا [1] .

وحا صل القول: إن القـ صة القرآنية: كلام حـ سن في لفظه و معناه مـ شتمل على أحداث حقيقية و متـ ضمن على ما يهدي إلى الدين و يـر شد إلى الخير و يدعو إلى التفكر والاعتبار.

[1] عبد الكريم الخطيب ــ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ــ طبعة بلا ــ طبعة دار الفكر العربي ــ مطبعة المدني ــ القاهرة ص49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يصلح أن نطلق اسم الحكاية على القصة القرآنية ، لأن الحكاية يلحظ فيها المحاكاة، والوقوف على ما جرى بغض النظر عن العبر التي فيها أو الاســـتفادة منها كما أن الحاكي لا يهدف التأثير والتوجيه من حكايته.

أما القصة فهي تكشف عن آثار الماضي وتنقب عن حوادثه ، وتعرضها في أسلوب معجز مشتمل على العبرة والعظة . أخذاً بالعقل والوجدان إلى زمن القصة وأدوارها وأشخاصها مهما كانت كثيرة وبعيدة [2] .

والقرآن الكريم حوى كثيراً من أخبار الأمم السابقة ، فذكر معاشهم ، ووصف حياتهم وبين عقائدهم ومذاهبهم، وبذلك حفظ لنا مادة طيبة للقصة القرآنية المشتملة على الأحداث والأشخاص والزمان والمكان .

[2] د. أحمد أحمد غلوش ــ دعوة الإسلامية ــ طبعة بلا ــ دار الكتاب العربي ــ القاهرة ــ ص288

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني أهمية القصة القرآنية و لحكمة منها

جاء القرآن الكريم للتربية والتوجيه لبناء الأمة الراشـــدة التي تقوم بمهمة الخلافة في الأرض، وتأسيس العقيدة الصحيحة وترسيخها وهذا واضح في السور المكية بصفة خاصة، والقصص القرآني الوارد في السور المكية والمدنية أيضا هو جزء من هذه التربية وهذا التوجيه وجزء في الوقت ذاته من البناء العقدي للإنسان المسلم.

وهذه خطوط رئيسة تناولتها القصة القرآنية الدالة على وحدة الدين الذي جاء به المرسلون وإذا أردنا أن نفصل أكثر في بيان أهمية القصص القرآني، فإننا نجد القصص القرآني جاء لأمور:

أولاً: إثبات صدق الوحي المنزل ـ لى رسول الله صلى الله عليه وسلم : قال تعالى : (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنْ الْغَافِلِينَ)[3]

[3] سورة يوسف آية: 3

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و قال تعالى: (كَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا(99)مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا) [4] .

ثانياً: القصة القرآنية جاءت لإبراز حقيقة عقدية هامة تبرز من خلال السرد التاريخي، هي أن الأنبياء و الرسل جميعاً عليهم صلوات الله و سلامه جاءوا بكلمة واحدة وقضية واحدة على تتابع الأجيال، كلمة واحدة هي:

لا إله إلا الله، و قضية واحدة هي: (اعبدوا الله مالكم من إله غيره).

ثالثاً : القصص القرآنية له أثر بليغ في توجيه السلوك وذلك ببيان أسباب الهلاك التي يمكن أن تصيب الأمم و الجماعات و الأفراد، و قد فصل في ذلك تفصيلاً عجيباً و هو يتحدث عن الترف و الطغيان و البطر و الظلم، و الاستعباد الفكري و الإرهاب و السخرية و الرضا بالذل . إلى غير ذلك من الأسباب الكثيرة المبثوثة في هذا القصص [5] .

---

[4] سورة طه الآيتان 99 – 100

[5] د. فضل عباس القصص القرآني – إيحاؤه ونفحاته – الطبعة الأولى 407 هـ – 1987 – دار الفرقان ص11

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: التسرية عن الرسول عليه الصلاة والسلام فيما يلقاه من قومه من تكذيب وأذى واتهام بالسحر والجنون، فقد كذب الرسل من قبل فصبروا حتى جاءهم نصر الله. قال تعالى: (وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ[16]) .

وقال تعالى: (وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ[17] . وقال تعالى: (مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ[18]) .

خامساً: التسرية عن المؤمنين وهم يلقون العذاب والمشقة والاستهزاء، فتعرض عليهم قصص الأمم السابقة ليعلموا أن هناك مؤمنين قبلهم أذيقوا ألوان العذاب ثم صبروا على عقيدتهم.

---

[16] سورة الأنعام آية: 34

[17] سورة هود آية: 120

[18] سورة فصلت آية: 43

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سا ساً: القـ صة القرآنية ذاتها فيها من مظاهر الإعجاز. وهو إعجاز إخباري عن أمم سابقة جاء على لـ سان إنـ سان أمي لا يقرأ ولا يكتب، إذ هو النبي الأمي عليه الصلاة والسلام، الذي لم يشاهد الوقائع ولم يقرأها.

سابعاً: جاءت القـ صة القرآنية لتر سم النموذج الكامل للمعاملة الـ يبة والـ سلوك النموذجي الذي يجب أن يتحلى به الإنـ سان المـ سلم، وأن دعوة الأنبياء والر سل دعوة إلى الخير، وإلى حـ سن التعامل، وإ صلاح العمل ، وتقويم النفوس ، وتهذيب الأخلاق ، وعمارة الأرض والتحذير من إفساد الحيا[9] .

ثامناً: إبراز الموقف الموحد الذي تقفه الجاهليات ـ ميعاً من ر سلها الذين أر سلوا إليها (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من ر سول إلا قالوا ساحرٌ أو مجنون أتوا صوا به بل هم قوم طاغون)[10] .

---

[9] محمد قطب عبد العال ــ نظرات في قصص القرآن ــ دار الصحافة والنشر ــ مكة المكرمة ــ السنة السادسة العدد 59 ص73

[10] سورة الذاريات الآيتان: 52 ــ 53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول محمد قطب :"إن موقف الأمم الكافرة واحد من كل الرســـل: التكذيب والإعراض، ثم التشهير بالرسول ثم التهديد بالأذى له وللذين آمنوا معه .. ثم تنفيذ التهديد أحياناً أو الحيلولة دون ذلك بقدر من الله تعالى، قصة مكرورة لم تتخلف إلا مرة واحدة في التاريخ كله، سجلها القرآن للعبر :

(فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَــفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ [1]) .

والآية مع ذلك لم تنف الإعراض الأول الذي كان من قوم يونس إنما تسجل فقط أنهم – في النهاية - لمّا آمنوا كشف الله عنهم ما هددوا به من عذاب الخزي في الحياة الدنيا" [2])

---

[1] سورة يونس آية: 98

[2]) محمد قطب ــ دراسات قرآنية ــ دار الشروق ــ الطبعة الرابعة 1403 هــ 983 م ص105 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث خصائص القصة القرآنية

تمتاز القصة القرآنية بمجموعة من الخصائص أجملها فيما يلي :

أولاً : ربانية المصدر فالقصة القرآنية جزء من كتاب الله تعالى الموحى به الى رسولنا عليه الصلاة والسلام وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة في مقدمات بعض القصص وخواتيمها كقوله تعالى (تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا)[1] .

ثانياً : واقعية القصة القرآنية :

فهي من واقع الحياة تصورها تصويراً دقيقاً يأخذ بمجامع القلوب دون ان يكون للخيال او الوهم او المبالغة مدخل في شيء ابدا وتتفق مع الانسان في واقعه وحقيقته فأخباره الماضية تعيش واقع الانسان الحاضر [2] .

ثالثاً : اشتمالها على المعجزات والخوارق :

اشتملت القصة القرآنية على المعجزات والخوارق لانه ليس هناك ما هو أقوى من المعجزة برهاناً ودليلاً على صدق الرسل في ما جاءوا من رسالات السماوية .

---

[1] سورة هود ايه :49 .

[2] محمد محمود حجازي . الوحدة الموضوعية في القرآن ص 307 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً صدق القصة القرآنية :

القصص القرآني يلتزم الصدق فيما يذكر من أخبار كما حدثت لانه من عند الله تعالى ويبين القرآن هذه الخصيصة في أكثر من موضع منها قوله تعالى (نحن نقص عليك نبأهم بالحق)[1] وخلاصة القول ان القرآن الكريم قد وضع أصول منهج النقد لاحداث التاريخ النقد قائم على اساس ضرورة التثبت من صدق الاخبار وصحة منتسبيها الى قائليها .

إن عناية القرآن بالتاريخ هو فوق أن يكون عرضاً موفقاً لاخبار ووقائع مضت وانقضت وحسب بل إنه رسم قاعدة ومنهجاً في نقد التاريخ واخباره ووقائعه وقصصه تجلت في قوله تعالى قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين)[2] وما أجمل أن تأتي هذه الفاصلة القرآنية على هذه السكته لتثبت دون ادنى ريب صدق الخبر من خلال التثبت وكونية السنن واضباطها والعظة و صدق التوجه والتحول لنفسي والتغير السلوكي في ضوء الانظمة والثوابت الكونية سياسية واجتماعية وثقافية وعسكرية لتحقق العدالة الالهية بين الامم والشعوب .

---

[1] سورة الكهف آية :13 .

[2] سورة آل عمران آيه :138 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثاني الدعوة إلى الله عزّ وجلّ

تمهيد :

الدعوة إلى الله تعالى واجبة على كل مسلم بقدر استطاعته، وأتباع الرسل ــ عليهم الصلاة والسلام – هم الذين يدعون إلى الله.

إنّ كثيراً يتوهمون أن الدعوة إلى الله عز وجل واجبة على طائفة معيّنة ويختارون أنفسهم في صفّ الطائفة الصامتة، وليس الأمر كما فهموا بل عليهم أن يُعينوا الدعاة إلى الله تعالى، الذين يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

ن القيام بالدعوة إلى الله تعالى هو استجابة لأمر الله عز وجل، يقول الحسن البصري ــ بعد أن تلا على أهل البصرة قول الله سبحانه: (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنْ الْمُسْلِمِينَ)[3] .

(هو المؤمن أجاب لله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحاً في إجابته، فهذا حبيب الله. هذا ولي الله)[4]

---

[3] سورة فصلت آية: 33

[4] د. سيد بن حسين العفاني ــ صلاح الأمّة في علوّ الهمّة ــ الطبعة الأولى ــ مؤسسة الرسالة ــ بيروت 1417 هـ ــ 997 م ص5

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول تعالى " كنتم خير أمّة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله " [45] حيث تبين هذه الآية أن الأمر بالمعروف والنهي عن الدنكر فرض عيني وذلك أن من شروط الانتماء لهذه الأمة الاتصاف بثلاث صفات وهي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى ، وبما أن الانتماء واجب عيني فالاتصاف بهذه الصفات واجب عيني أيضاً لأن ما لم يتم الواجب به فهو واجب .

وسيكون الحديث في هذا الفصل في ثلاثة مباحث ضمن العنوانات التالية:

المبحث الأول ــ مفهوم الدعوة في اللغة والاصطلاح.

المبحث الثاني ــ وسائل الدعوة.

المبحث الثالث ــ خصائص الدعوة ومصادرها

[45] سورة آل عمران آية 104 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول : مفهوم الدعوة في اللغة والاصطلاح

أ. المعنى اللغوي للدعوة:

لكلمة الدعوة معانٍ متعددة كلها تدور حول: الطلب، والسؤال، والنداء، والدعاء، والاستمالة، والتجمّع.

فالدعوة: مصدر للفعل الثلاثي: دعا يدعو، دعوة.

والدعوة بفتح الدال: الدعاء إلى الشيء.

وبكسر الدال: الدعوة في النسب،

ودعاه إلى الشيء: حثه على قصده، يُقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الدين، ودعا بالشيء ـــ دعواً، ودعوة، ودعاءً، ودعوى: طلب إحضاره، وتداعوا عليه: تجمعوا عليه، ودعاه: ساقه [6] .

[6] انظر: ابن منظور ـــ أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي المصري ـــ لسان العرب طبعة بلا دار صادر ـ بيروت ـ 1412 هـ ـ 992 م مجد الدين ـ محمد بن يعقوب ـ الفيروز أبادي ت(817 هـ) القاموس المحيط مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الثانية ـ 1407 هـ ـ 987 م) إبراهيم مصطفى وزملاؤه ـ المعجم الوسيط ـ دار عمران ـ الطبعة الثانية /296.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويطلق لفظ الدعوة على الأذان، فعن جابر بن عبدالله أن ر سول الله صلى الله عليه وسلم قال: (من قال حين يسمع النداء: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامّة، والـ صلاة الـ ائمة آت محمداً الو سيلة والف ضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته. حلَّت له شفاعتي يوم القيامة) [7] .

والأ صل في مفهوم الدعوة أن يعتمد على البيان والكلام، كما ذكر صاحب مقاييس اللغة إذ قال: الدعوة: (أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك) [8] .

ولفظ الدعوة يس عمل في الخير والشر، كما في قوله تعالى عن المشركين: (أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ) [9] .

ومنه حديث الرسول عليه الصلاة والسلام حيث قال لعمار بن ياسر رضي الله عنهما: (ويح عمار تقتله الفئة ا باغية، عمار يدعوهم إلى الله، ويدعونه إلى النار) [10] .

---

[7] أخرجه البخاري ــ الإمام أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الجعفي ــ ت(56 هـ) صحيح البخاري ــ دار القلم ــ الطبعة الأولى كتاب الأذان باب الدعاء عند النداء1 /309

[8] أحمد بن فارس ــ معجم مقاييس اللغة ــ تحقيق عبد السلام هارون ــ الطبعة الأولى ــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة 1361 هـ، !/279

[9] سورة البقرة آية: 221

[10] أخرجه البخاري في كتاب الجو د ــ باب مسح الغبار ا /415

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتطلق الدعوى على الدعاء إلى أي قضية يُراد إثباتها أو الدفاع عنها سواء كانت حقاً أم باطلاً، فمن الباطل ما أخبر به القرآن عن يوسف عليه السلام في قوله: (قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)[1] ، أي من طاعة النسوة، والوقوع في الإثم. وكما جاء في الحديث عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (غزونا مع النبي صلى الله عليه وسلم وقد ثاب معه ناس من المهاجرين حتى كثروا، وكان من المهاجرين رجل لعّاب فكسع أذ صارياً، أي ضربه فغضب الأذ صاري غضباً شديداً حتى تداعوا، وقال الأذ صاري: يا للأذ صار، وقال المهاجريُّ: يا للمهاجرين: فخرج رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال: ما بال دعوى الجاهلية؟ ثم قال: ما شأنهم؟ فأُخبر بكسعة المهاجريّ الأنصاري، قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: دعوها فإنها منتنة)[2] .

---

[1]) سورة يوسف آية: 33

[2]) أخرجه البخاري ــ كتاب التفسير باب قوله (سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَاسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ - آية: – الـ نافقو – ر /537

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الحق: قوله تعالى: (لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ [3]) وقوله تعالى: (وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ [4]) .

وفي كتابه صلى الله عليه و سلم إلى هرقل: (من محمد بن عبدالله ور سوله إلى هرقل عظيم الروم، ســـلام ى من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن تولّيت فإنما عليك إثم الأريسيّين [5])

ودعاية الإسلام: هي الدعوة إلى الإسلام ب.

المعنى الإصطلاحي للدعوة:

كلمة الدعوة تطلق على الإ سلا ، أو الر سالة، وعلى عملية ذ شره وتبليغه وبيانه للناس، وسياق إيرادها هو الذي يحدد المعنى المراد.

ومن المعلوم أن الدعوة بمعنى النشـــر والبلاغ صـــارت علماً مســـتقلاً له مو ضوعه، وخ صائ صه، وأ ساليبه، وو سائله، وهو بذلك يواكب سائر العلوم الإسلامية.

---

[3] سورة الرعد آية: 14

[4] سورة يونس آية: 25

[5] أخرجه البخاري ـــــ كتاب بدء الوحي باب حديث أبي سفيان عند هرق – /4، الأريسيين: الفلاحين ، الأكّارين . انظر : القاموس المحيط ص 682 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الدعوة بمعنى الدين إذا أُطلقت لا يراد منها إلا الإسلام بتعاليمه. وسأذكر التعريف الإصطلاحي للدعوة بمعنى النشر والبلاغ، وبمعنى الدين أو الرسالة.

أولاً: الدعوة بمعنى النشر والبلاغ:

بعد الاطلاع على عدة تعريفات [6] للدعوة يمكن اختيار ما يأتي :

- الدعوة إلى الله عزّ وجلّ هي: إنذار للناس من ضلالة أو شر واقع بهم، وتحذيرهم من أمر يُخشى عليهم الوقوع في بأسا [7] .
- الدعوة إلى الله تعالى هي: حث للناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل [8]

ولعل أفضل تعريفات الدعوة ما عرفها الدكتور محمد أبو الفتح وهو: (تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة) [9] .

---

[6] للاستزادة انظر: محمد نمر الخطيب مرشد الدعاة الطبعة الأولى ـ دار المعرفة للطباعة والنشر ـ بيروت ص4؛ ، آدم عبد الله الألوري تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم مطبعة منيمنة الحديثة ـ دار مكتبة الحياة ص7 ، د. رؤوف شلبي ـ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (مناهجها وغاياتها) الطبعة الثالثة ـ دار القلم ـ الكويت ص2؛ ، البهي الخولي ـ تذكرة الدعاة ـ الطبعة الخامسة ـ دار العلم ـ دمشق ص35

[7] محمد الخضر حسين ـ الدعوة إلى الإصلاح ـ طبعة المطبعة السلفية ـ القاهرة 346 هـ ص17

[8] علي محفوظ ـ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ـ الطبعة الرابعة ـ دار الاعتصام للطباعة والنشر الإسلامية ص17

[9] د. محمد أبو الفتح البيانوني ـ المدخل إلى علم الدعوة ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1412 هـ ـ 991 م ص7 ، وللاستزادة انظر: علي بن صالح المرشد.مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة لينة ـ دمنهور ـ مصر ص21

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً ــ الدعوة بمعنى الدين أو الرسالة:

ذكر العلماء عدة تعريفات للدعوة بمعنى الدين أو الرسالة ولعل من أهمها:

أ. الدعوة إلى الله: أي دين الله الذي بُعث به الأنبياء جميعاً، تجدّد على يد محمد صلى الله عليه وسلم،خاتم النبيين، كاملاً وافياً لصلاح الدين والآخرة [0] .

ب. الدعوة إلى الله: هي برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصروا الغاية من محياهم، وليستكشفوا معالم الطريق التي تجمعهم راشدين [1] .

ولفظ الدعوة إذا أطلق ينصرف عرفاً إلى المعنى الأول ، وهو الدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر والبلاغ، وهو المعنى الذي تواردت عليه معظم الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

---

[0] محمد الراوي ــ الدعوة الإسلامية (دعوة عالمية ــ الطبعة الثالثة ــ مكتبة الرشد للنشر والتوزيع ــ الرياض 1991) ص39

[1] محمد الغزالي ــ مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة ــ طبعة بلا ــ 1405 هـ ــ 1985 م ــ دار الثقافة ــ الدوحة ــ ص17.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني وسائل الدعوة

إن وســـائل تبليغ الدعوة إلى أذهان الناس قد تغيرت نتيجة التقدم المدني والحضاري، خاصة في عصرنا الحاضر حيث تقدمت العلوم وتوافرت وسائل جديدة لم تكن متوفرة من قبل، فعلى الدعاة أن يستعملوا هذه الوسائل كافة لتوضيح دعوتهم ونقلها إلى الناس جميعاً ولابد للداعية أن يتقن الوسائل الدعوية الضرورية لتبليغ دعوته.

وسيكون الحديث عن وسائل الدعوة من خلال ما يلي:

أولاً ــ تعريف الوسيلة لغة.

ثانياً ــ أقسام وسائل الدعوة.

أولاً _ تعريف الوسيلة لغة:

الوسيلة مشتقة من الفعل (وسل) ووسل تأتي بمعنى رغب وتقرب. تقول: وسل إلى الله: أي عمل عملاً تقرب به إليه سبحانه. والواسل: هو الراغب إلى الله عز وجل.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والوسيلة والوا اسلة تأتي بمعنى واحد: المنزلة والدرجة والقربى [2] .

والو سيلة: التو صل إلى الشيء برغبة وهي أخص من الو صيلة، لتضمنها معنى الرغبة. قال تعالى: (وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ) [3] وحقيقة الو سيلة إلى الله تعالى: مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة، وهي كالقربا [4] .

وأما اصطلاحاً:

فهي مجموعة الطرق المحبوبة والمرغوب فيها لدى الدعاة للاتصـــال بالمدعوين والتأثير عليهم وتوجيههم [5] مثل استعمال وسيلة الكتابة أو المقالة أو المحاضرة أو الندوة، أو الخطبة، أو الدرس.

وجاء في أ صول الدعوة للدكتور عبد الكريم زيدان قال:" نريد بالو سائل ما يـ ستعين به الداعي على تبليغ الدعوة إلى الله عز وجل على نحو نافع مثمر. وهي نوعان: وسائل تتعلق باتخاذ الأسباب لتهيئة المجال الجيد المساعد لتبليغ الدعوة إلى الله، ونسميّها بالوسائل الخارجية للدعوة.

---

[2] ابن منظور لسان العرب 4 /250 ــ 251 / المعجم الوسيط ! /1074

[3] سورة المائدة آية 35

[4] انظر: الراغب الأصفهاني ــ مفردات ألفاظ القرآن ــ ص871

[5] د. محمد أبو فارس ــ أسس الدعوة ووسائل نشرها ــ دار الفرقان ص80

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووسائل تتعلق بمهمة تبليغ الدعوة بصورة مباشرة ونسميها وسائل تبليغ الدعوة [6]

وخلاصة القول أن الوسيلة هي كل طريقة مشروعة يلجأ إليها الداعي لتحقيق أهداف الدعوة.

ثانياً ــ أقسام وسائل الدعوة:

نظراً لكثرة وسائل الدعوة فسيتم الاكتفاء بالحديث عن بعض هذه الوسائل وفيما يلي بيان عنها بإيجاز:

أ. الوسائل التي تساعد على حفظ الدعوة ونجاحها:

وهذه الوسائل تقوم على النظرة الصحيحة لواقع الحياة وجريان أحداثها وفق قانون الأسباب والمسببات.

من هذه الوسائل:

. الحذر التام ب. التخطيط ج. الاستعانة بالغير.

[6] د. عبد الكريم زيدان ــ أصول الدعوة ــ مكتبة البشائر ــ مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الثالثة 1409 هـ ــ 988 م ص447

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. الحذر التام:

الحذر في اللغة: الخيفة والتحرز والتيقظ ورجل حذر أي متيقِّظ فهو متحرز متأهب لما يخاف أن يفاجأ من مكروه، والحذر بالكسر: الاحتراز وحَذِرُ وحَذُرُ: متيقِّظ شديد الحذر [7] .

فالحذر يقوم على أساس المعرفة وأخذ الحيطة والتحرز ومباشرة الأسباب قبل وقوع الضرر لمنع وقوعه أو لدفعه إذا وقع لتقليل أضراره.

, الحذر صفة محمودة عند الدعاة وهو من صفات أهل الإيمان والعقل السليم والفهم الدقيق لسنن الله في الكون، لا من صفات أهل الطيش والحماقة؛ فالفرق بين العاقل والجاهل، أن العاقل يعرف الخطر قبل وقوعه والمكروه قبل حلوله فيتّخذ العدّة لملاقاته ودفعه، والجاهل: لا يحس بالخطر إلا إذا وقع، ومن ثم لا يتخذ من الأسباب ما يدفعه أو يتوقا [8] .

---

[7] الفيروز أبادي ــ القاموس المحيط ص477

[8] د. عبد الكريم زيدان ــ أصول الدعوة ص430 ــ 431

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالحذر والبعد عن الغفلة أ ساس مكين في نجاح الداعي في عمله، ولا نعني بالحذر الخوف والتردد، وتصور الشر في كل شيء وفي كل أحد، وإنما نعني به الصفة التي تجعل الداعي على وعي بما يحيط به من أعداء ومن ظروف ليست مواتية [69].

وهذا الحذر مطلوب من المسلمين في حالات السلم وهو أوجب في حالات الحرب، والقرآن الكريم أرشد المسلمين إلى هذه الوسيلة.

فقال سبحانه: ﴿وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [70] وهذا حذر من المساومين على الحق الصارفين عنه. وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ انفِرُوا جَمِيعًا﴾ [71] وهذا حذر واجب في حالة الحرب.

---

[69] د. علي عبد الحليم محمود ــ فقه الدعوة الفردية ــ الطبعة الأولى ــ دار الوفاء ص125

[70] سورة المائدة آية: 49

[71] سورة النساء آية: 71

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قصـــــة الهجرة النبوية من مظاهر الحذر والتنبه الشـــــيء الكثير، كنوم عليّ ر ضي الله عنه مكان النبي صلى الله عليه و سلم، ومجيء النبي صلى الله عليه و سلم إلى بيت أبي بكر في الهاجرة حيث ينقطع سير الناس في الطريق أو يقل، وطلبه صلى الله عليه و سلم من أبي بكر أن يُخرج من داره من فيها ممّن يخ شى اطلاعه على ما يقول النبي صلى الله عليه و سلم فلما أعلمه أبو بكر أنهما ابنتاه لم ير بأساً من بقائهم [2] .

وخلاصة القول أن الداعي إلى الله تعالى ينبغي عليه التنبه لما يحيط به وأن يحـ سن تقدير الأمور وأن يكون على اطلاع بما تفعله مجتمعات الكفر والإلحاد من طمس نور الإسلام وتشويه محاسنه، وعملهم للقضاء على القرآن الكريم وإشاعة الانحر اف بشتى الوسائل الخبيثة في مجتمعات المسلمين.

[2] وللاستزادة انظر: سيرة ابن هشام ! /484 أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (213 أو 218 هـــ) السيرة النبوية ــ الطبعة الثانية 1375 هـــ 955 م شركة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي ! /484وما بعدها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

! . وسيلة التخطيط:

التخطيط الواعي هو الذي يذقل الدعوة إلى الإطار المنتج .والتخطيط هو التصور النظري لسير الدعوة، وكلما طال التخطيط واستوعب عناصره أدى إلى النتيجة المتوقعة بعون الله وبعد الاتكال عليه. وكما عرفت أنواع الخطط الاقتصادية والسياسية والتربوية فإن على الدعاة أن يتجهوا نحو التخطيط للدعوة. والخطة الواعية رأسها الأهداف، وجسمها الوسائل، والربط بين الأهداف والوسائل عن طريق الأساليب، ومادتها الإمكانات البشرية والمادية والمعنوية وموجهها المتابعة والتقييم، وثمرتها ظهور الأهداف على شكل نتائج ملموسة ... [3]

فالتخطيط للدعوة: يُراد به وضع الخطط والنظم لها، ويقابله الفوضى والارتجالية فيها. وقد يكون التخطيط كاملاً أو قاصراً، متقناً أو غير متقن [4] .

ولأهمية التخطيط في الدعوة جعل الله لكل أمة شريعة ومنهاجاً تسير عليه.

---

[3] انظر: د. همام سعيد ــ قواعد الدعوة إلى الله الطبعة لثالثة 1407 هـ ــ 987 م ، دار العدوي، عمان ــ الأردن ص117 ــ 118.

[4] انظر: د. محمد أبو الفتح البيانوني ــ المدخل إلى علم الدعوة ص306

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [5] . وقد و ضح التخطيط في سيرته صلى الله عليه وسلم، فقد سار في دعوته على خطة محكمة، سواء في العهد المكّي أو العهد المدني، فقد وضع لكل عهد خطته المناسبة له مراعياً في ذلك حال الدعوة والمدعوين من حوله، وموازناً بين الإمكانات والواجبات، ناظراً في ذلك إلى المصالح القريبة والبعيدة للدعوة.

وقد نفذ كل خطة خطوة خطوة، بعيداً عن الاستعجال، متجرداً عن الرغبات والعواطف، متجاوزاً الضغوط من حوله ومتجاهلاً لها، حتى مكنه الله من الوصول بدعوته إلى أهدافها، وأفشل خطط أعدائه وأبطل مكرهم. كما وجه أصحابه لمتابعة الخطة، والتزام طريقته وسنته وسنة الخلفاء الراشدين من بعده [6] .

وحتى يؤدي التخطيط الدعوي وظيفته، لابد من ملاحظة بعض الضـــوابط والتوصيات، من ذلك.

أ. أن يكون التخطيط من أهله، وأهله هم أهل الاختصـــاص والكفاءات العلمية و لعملية في مختلف جوانب الحياة.

---

[5] سورة المائدة آية: 48

[6] انظر: د. محمد أبو الفتح ــ المدخل إلى علم الدعوة ص37

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ج. أن يكون التخطيط جماعياً: بعيداً عن التفردات الشخصية ، بأن يجتمع معظم الدعاة من علماء ومفكرين في مختلف المجالات الدعوية، ويختاروا نخبة منهم تتفرغ لهذه المهمة، يمدونها بآرائهم واقتراحاتهم ليضعوا الخطط اللازمة.

د. أن يكون التخطيط متعقلاً فلا ينبني على ردود الأفعال والعواطف، ينظر فيه إلى البعيد والمستقبل، بعيداً عن الآنية والتعجل.

هـ. اختيار هيئة دائمة للمتابعة والتخطيط للدعوة من جميع الهيئات العاملة في الدعوة في شتى المناطق الجغرافية للعالم الإسلامي.

و. أن يكون متوازناً: يحقق انسجام بين الواجبات والإمكانات فلا انسياق مع الواجبات بمرافقة الغفلة عن الإمكانات، ولا وقوفاً عند الإمكانات المحدودة وجموداً عليها.

ز. أن يكون منضبطاً بالأحكام الشرعية، فلا يخالف حكماً شرعياً، ومقتبساً من منهج القرآن والسنة [7] .

[7] انظر: محمد أحمد أبو النور ــ التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته ــ الطبعة الثالثة ــ مكتبة وهبة 1412 هـ ــ 992 م ص45 ، د. محمد أبو الفتح ــ مدخل إلى علم الدعوة ص308

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

3 . الاستعانة بالغير:

إن الداعية لذكي هو الذي يلجأ إلى تأمين الدعوة و المدعوين بأهل القدرة و اليسار. ومن المعلوم أن الحق لا بد له من قوة تحميه. شريطة ألا يكون ذلك على حساب المداهنة و التنازل عن دعوته و أهدافها. و الله سبحانه و تعالى يؤكد ذلك في كتابه العزيز (وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ) [8] . أي تميل إليهم بترك الحق الذي تدعو إليه فيميلون إليك بترك تحديك.

يتبين مما سبق أن تأمين الدعوة بأهل القدرة وأصحاب الجاه و السلطان و المال من العناصر الأساسية في ضمان نجاح الدعوة وبلوغ أهدافها. وذلك ضمن الضوابط والقيود الشرعية

[8] سورة القلم آية: 9 انظر: زبدة التفسير ص 758 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب ــ وسائل تبليغ دعوة :

إن الو سائل في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى قد تتغير من عصر إلى عصر، و من بيئة إلى أخرى، فإذا نص الحديث على شـــيء معين من العلاج في ذلك الزمن فلا يعني أن نجمد عليه ولا نتجاوزه، فإنما ذلك لبيان الواقع لا ليقيّدنا به. والدعاة الذين يعيـ شون في غير عـ صرهم، فـ نهم لن يجنوا من سعيهم ثمرة ولن يحققوا لدعوتهم نتيجة.

ولابد للداعية أن يتقن الوسائل الدعوية الضرورية لتبليغ دعوته والتي منها:

١. القول ويتمثل في الخطبة، والدرس، والمحاضـــرة، والمناظرة، والمقالة، والر سالة،والتقرير، والكتاب،والتعليق على حدث، والرد على شبهة، ويمكن أن يكون ذلك عن طريق مبا شر أو عن طريق و سائل الإعلام المعا صرة المكتوبة أو المقروءة، السمعية أو البصرية، أو الاتصال.

٢. العمل: ويتمثل بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر والإســـهام في إقامة المشاريع الخيرية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ﻫ . القدو [9] .

أولاً ــ التبليغ بالقول:

جعل الله تعالى مهمة رسله وأنبيائه البلاغ فقال تعالى (فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) [10] .

وكلمة بلغ: تعني وصل أو قارب على الوصول، يقول ابن فارس: (الباء واللام والغين أصل واحد، وهو الوصول إلى الشيء تقول: بلغت المكان إذا وصلت إليه، وقد تسمى المشارفة بلوغاً بحق المقاربة) [11] ، ويقول: (وكذلك البلاغة التي يُمدح بها الفصيح اللسان لأنه يبلغ بها ما يريده) [12] .

وقال الأزهري: "والعرب تقول للخبر يبلغ أحدهم ولا يحققونه، وهو يسؤهم: سمع لا بلغ، أي نسمعه ولا يبلغنا، ويجوز: سمعاً لا بلغاً" [13]

---

[9] انظر: د. محمد حسن بني عامر ــ أساليب الدعوة والإرشاد (الدعوة، الداعية، المدعو) طبعة بلا المكتبة الوطنية ص46 .

[10] سورة النحل آية: 35

[11] أحمد بن فارس ــ معجم مقاييس اللغة /201

[12] المرجع السابق /202

[13] محمد بن أحمد الأزهري تهذيب اللغة طبعة بلا ــ الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة /140

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و هذا دليل على أن اســـ تعمال كلمة البلاغ إنما كان لما فيها من طبيعة الوصول والانتهاء ولا معذرة للداعي إلى الله إذا قصر في البلاغ قال تعالى (يَاأَيُّهَا الرَّ سُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِ سَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْ صِمُكَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ[14]) .

قال القرطبي: (وهذا تأديب للنبي صلى الله عليه و سلم وتأديب لحملة العلم من أمته ألا يكتموا شيئاً من شريعتا[15] وليس المق صود بالبلاغ مجرد الإخبار أو الإعلان، إنما المراد أن تصل رسالته للناس).

آداب وسيلة التبليغ بالقول:

( ) ا ستعمال الألفاظ ذات الدلالة القاطعة التي لا تحتمل تأويلاً ولا توقع في لبس وذلك أقرب إلى البلاغة التي اشتق التبليغ منها.

---

[14] سورة المائدة (آية: 7ز).

[15] محمد بن أحمد القرطبي ــ الجامع لأحكام القرآن ــ طبعة بلا وبدون سنة طبع ز/42! .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ﺇ) التأني في القول والتكرار عند الحاجة إليه، حتى يتأكد الداعي من أن المدعو قد فهم وا ستوعب، وقد كان لك من هدي النبي صلى الله عليه و سلم وعمله مع الناس، إذ كثيراً ما كان ينطق الكلمة أو العبارة فيكررها ثلاثاً حتى تفهم عنه.

وفي حديث عائ شة ر ضي الله عنها قالت: كان كلام ر سول الله صلى الله عليه وسلم فصلاً يفهمه كل من يسمعه [36]

وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم: كان إذا تكلم بكلمة أعادها ثلاثاً حتى تفهم عنه [37]

(ﺇ) الابتعاد عن التكلف في الكلام والتقعر فيه كا ستعمال الـ سجع المذموم والغريب والتشدق وكل ما من شأنه التفاصح قال عليه الصلاة والسلام "أبغضكم إليَّ وأبعدكم منيّ مجلـ ساً يوم القيامة مـ ساويكم أخلا قاً الثرثارون المتـ شدقون المتفيهقون قيل يا رســـول الله وما المتفيهقون؟ قال المتكبرون"[88] والثرثار: هو كثير الكلام تكلفاً، والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه[89] .

---

[36] رواه أبو داوود ــ كتاب الأدب ﺇ/261

[37] رواه البخاري، كتاب العلم، باب من أعاد الحديث ثلاثاً ليفهم عنه حديث /95

[38] رواه الترمذي ـ كتاب البر والصلة ـ باب ما جاء في معاني الاخلاق (ﺇ/70) واسناده حسن

[39] انظر: المعجم الوسيط /99 ، /495

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(ﻫ) اختيار لين الكلام ورقيقه وطيبه فقد أو صى الله تعالى نبيّيه مو سى وهارون عليهما السلام في دعوتهما لفرعون الطاغية. أوصاهما بلين الكلام حيث قال تعالى (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)[90]

(و) مراعاة التنويع في القول فأجناس القول كثيرة منها الخطبة والمحاضـــرة والدرس، والحوار، والمقال، والقصة، والجدل، حتى لا يمّل المدعو[91] .

(ز) ومن مقتضيات البلاغ بالقول أن يعي الداعية ما يبلغه للمرء، لأنه لا تبليغ بلا وعي، ويستفاد هذا من قوله صلى الله عليه و سلم (نضّر الله امرءاً سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ثلاث لا يغلّ عليهن قلب مسلم: إخلاص العمل لله، ومناصحة أئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنّ الدعوة تحيط من ورائهم)[2] .

---

[90] سورة طه آية :44

[91] للاستزادة انظر :د.عبدالقادر سيد _ دراسات في الدعوة الاسلامية _ الطبعة الثالثة دار الطباعة المحمدية_ ص 182

[92] رواه ابن ماجة _ باب من بلغ علما – 84/1 والحديث صحيح – انظر : الألباني - صحيح سنن ابن ماجة 44/1

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً ــ التبليغ بالعمل:

الأصل أن يكون الداعي إلى الله تعالى مطبقاً وممارساً لكل ما يدعو إليه من خير وبعيداً عن كل ما ينهى عنه من شـــر. فإذا كان الدعاة بحاجة إلى العلم لفهم الدعوة فهم أيضـــاً بحاجة إلى التطبيق العملي لمبادئ الدعوة التي يحملونها لتكون حياتهم ترجماناً مبيناً لمنطوق هذه الدعوة وصـــورة كريمة لمعطياتها. يقول الإمام علي رضي الله عنه: من نصّب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه، وليكن تهذيبه بـ سيرته قبل تهذيبه بلـ سانه، ومعلم نفـ سه ومهـ بها أحق بالإجلال من معلم الناس ومهذبهم[3] .

وقد كان أ صحاب النبي صلى الله عليه و سلم نماذج صادقة عن دعوتهم وإسلامهم. يقول الحسن البصري في صفتهم: ظهرت منهم علامات الخير والسمت والهدى والـ صدق، وخـ شونة ملابـ سهم بالاقتـ صاد، ومم شاهم بالتوا ضع، ومنطقهم بالعمل ومطعمهم و شربهم بالطيّب من الرزق، وخـ ضوعهم بالطاعة لربهم تعالى، واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا،

[3] انظر :فتحي يكر · مشكلات الدعوة والداعي - الطبعة الثاني · مؤسسة الرسالـ بيروت ص69

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإعطاؤهم الحق من أنفسهم، ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم، واستخفوا بسخط المخلوقين رضىً للخالق، شغلوا الألسن بالذكر، وبذلوا دماءهم حين استنصرهم، وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم[14] .

ثالثاً ــ القدوة الحسنة:

من الوســـائل المهمة في تبليغ الدعوة إلى الله تعالى، وجذب الناس إلى الإسلام، السيرة الطيبة للداعي وأفعاله الحميدة وصفاته العالية وأخلاقه الزكية مما يجعله قدوة طيبة وأسوة حسنة لغيره.

إن الإسلام انتشر في كثير من بلاد المسلمين بالسيرة الطيبة للمسلمين التي كانت تجلب أنظار غير المسلمين، وتحملهم على اعتناق الإسلام، فالقدوة الحسنة التي يحققها الداعي بسيرته الطيبة هي في الحقيقة دعوة عملية للإسلام يستدل بها غير المسلم على أحقية الإسلام وإنه من عند الله، ولا سيما إذا كان سليم الفطرة سليم العقل. والأصل في السيرة الحسنة موافقة العمل للقول،

[14] أبو نعيم الأصبهاني أحمد بن عبدالله حلية الأولياء – طبعة بلا المطبعة المصرية مكتبة الخانجي، القاهرة، 1932م، 2/50. بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولهذا حذرنا الله تعالى من مخالفة أفعالنا لأقوالنا قال تعالى (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ(2)كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ) [15] .

فليحمل الداعي نفسه دائماً على موافقة أفعاله لأقواله فإن هذا أدعى للإقبال عليه وقبول قوله .

يقول الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله – وقد شكا الناس في القديم والحديث من دعاة يحسنون القول ويسيئون الفعل، والواقع أن شكوى الناس من هؤلاء يجب أن تسبقها شكوى الأديان والمذاهب منهم. لأن تناقض فعلهم لقولهم أخطر شغب يمسُّ قضايا الإيمان ويصيبها في الصميم، ولا يكفي – لكي يكون المرء قدوة – أن يتظاهر بالصالحات أو يتجمل للأعين الباحثة، فإن التزوير لا يصلح في ذلك الميدان) [16] .

وعلى الداعية أن يتذكر دائماً أن المنطلق في الدعوة هو الالتزام بسنة النبي صلى الله عليه وسلم في كل قول أو فعل

---

[15] سورة الصف آية (2-3)

[16] محمد الغزالي ــ دراسات مع الدعوة والدعاة ص297

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث أن النبي صلى الله عليه و سلم هو القدوة لكل داعٍ ولكل مسلم قال تعالى (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا)[17] .

رابعاً :وسيلة العلم :

ا صبح العلم الـ شريان والمحرك لكثير من الامور فما من بيت الا ودخلته آثار العلم الحديث من كهرباء وأجهزة وكمبيوتر وغيرها من وسائل التكنولوجيا وكلها من انتاج العلم الحديث ولا يحسن بالداعية أن يعيش في دنيا يسيرها العلم ويدير رحاها ولا يدرك الاولويات والاساسيات لهذا العلم إن دراسة الايات الكونية والنفسية

[17] سورة الأحزاب: آية 21

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واســـتخدام الحقائق العلمية يمكن الداعية في تأييد الدين وتوضـــيح مفاهيمه ونصـــرة قضـــاياه والذب عنه بدفع شـــبهات الخصـــوم ومفتريات الاعداء من خلال :

. تقر ب بعض المعتقدات والحقائق الدينية من أفهام أهل العـ صر وتأييدها بمنطق العلم التجريبي نفسه .

I تعميق مدلولات بعض النصـــوص وتوســـيع نطاق مفهومها وزيادة توضيحه بما كشف عنه العلم من مقررات وما توصل اليه من نتائج .

جـــ. يستطيع العلم بمكتشفاته ومقرراته أن يؤيد كثيراً من لاحكام الشرعية بما اشتملت عليه من جلب المصالح ودرء المفاسد عنهم وبذلك يزداد اللذين أمنوا ايمانا ويضعف جانب المرتابين والمشككين في كمال الشريعة وصلاحيتها لكل زمان ومكان ولعل هذا من أهم أسباب نجاح الدعاة في عالمنا المعاصر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث: خصائص الدعوة ومصادرها

- خصائص الدعوة :

تقدم فيما سبق أن مفهوم الدعوة في الاصطلاح إذا أطلق فيقصد به الدعوة إلى الإسلام. وسأذكر فيما يلي بعضاً من خصائص هذه الدعوة:

أولاً ــ عالمية الدعوة الإسلامية:

إن تعاليم الإسلام جاءت للإنسان بغض النظر عن لونه أو جنسه أو لغته أو أرضه، فلا عنصرية في الدعوة، ولا عصبية في هذا التشريع ولا طبقية في الإسلام[98] . وعالمية رسالة الإسلام من الأمور الواضحة، ومعلوم أن الله ختم النبوّات برسالة محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى: (ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً)[99]

وقد وردت آيات كثيرة، وأحاديث صحيحة تثبت عالمية الإسلام منها:

---

[98] عبد الله صالح علوان ــ الإسلام شريعة الزمان والمكان ــ طبعة دار السلام، بيروت ــ 1400 هـ ــ 980 م ص16

[99] سورة الأحزاب آية : 40 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ. الآيات الدالة على عالمية الإسلام:

قال تعالى (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ [00]) وقوله تعالى (وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [01]) وقوله تعالى: (فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ(26)إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ [02]) .

ب. الأحاديث الدالة على عالمية الدعوة الإسلامية:

وردت أحاديث كثيرة تدل على عالمية الدعوة الإسلامية، ومنها : (ففي صحيح البخاري من حديث أبي الدرداء، قال: كانت بين أبي بكر وعمر ـ رضي الله عنه ا ـــ محاورة فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عنه، فأتبعه أبو بكر إلى ر سول الله صلى الله عليه و سلم، فقال أبو الدرداء ونحن عنده، فقال ر سول الله صلى الله عليه و سلم أمّا صاحبكم فقد غامر. وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي صلى الله عليه و سلم وقص على ر سول الله صلى الله عليه وسلم الخبر، قال أبو الدرداء وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم .

---

[00]) سورة الأنبياء آية: 107

[01]) سورة القلم آية: 52

[02]) سورة التكوير الآيتان: 27،26 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (هل أنتم تاركو لي صاحبي إنيّ قلت يا أيها الناس: إني رسول الله إليكم جميعاً فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت)[03] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيّون)[04].

ثانياً ــ حفظ مصدرها من التحريف:

تكفل الله تعالى عز وجل بحفظ دستورها ومصدرها الأول وهو القرآن الكريم فقال تعالى: (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[05].

---

[03] أخرجه البخاري ـــــ كتاب التفسير باب قوله (يا أيها الناس أني رسول الله إليكم جميعاً)، 8/397 وقوله صلى الله عليه وسلم: (فقد غامر): أي سبق بالخير - نظر: الحافظ ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي فتح الباري بشرح صحيح البخاري، طبعة بلا 411، 1991 م، دار الفكر - كتاب تفسير 8/93.

[04] أخرجه مسلم ــ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت(261 هـ) صحيح مسلم ــ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ لبنان 1413 هـ ــ 992 م طبعة بلا ــ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ــ باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد 1/370 ــ 371.

[05] سورة الحجر آية: 9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا بخلاف الكتب السـابقة فقد وكّل الله أمر حفظها للربانيين والأحبار فدخلها التحريف والتبديل وذلك أنهّم اشـتروا بآيات الله ثمناً قليلاً وعرضـاً حقير [06] .

واعتنى الرسول عليه الصلاة والسلام والصحابة من بعده بالقرآن حيث حفظوه في صدورهم، ولم يكتفوا بهذا الحفظ وإنما أضافوا إليه الكتابة من أجل شدة التوثيق والمحافظة على كتاب الله تعالى.

وإن حافظة كتاب الله تعالى هم الذين اصـطفاهم الله تعالى لحفظ كتابه كما قال تعالى: (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) [07] .

فرسالة الإسلام رسالة كاملة وسلمت من كل تحريف وتبديل: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) [08] .

---

[06] انظر: د. محمد محمود حجازي ــ التفسير الواضح الطبعة الرابعة ــ مطبعة الاستقلال الكبرى، القاهرة: 1388 هـ/ 986 م 4/ 6

[07] سورة فاطر آية: 32

[08] سورة المائدة آية: 3

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى: (وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ(41)لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) [09] .

ثالثاً ــ مخاطبة العقل والروح معاً:

إن أبرز ما تمتاز به رسالة الإسلام عن غيرها أنها تخاطب في المدعو عقله وروحه معاً، فلا يطغى في دعوتها له الجانب العقلي على الروحي، ولا الروحي على العقلي، لأن هذه الرسالة من لدن حكيم عليم، يعلم السر وأخفى، ويعلم أن كيان هذا الإنسان يشتمل على العقل والروح [10] .

ورسالة الإسلام جامعة لحقوق الروح والجسد، ومصالح الدنيا والآخرة، وقد جعل الله أمّة الإسلام الأمّة الوسط، العدول الخيار، الذين جمعوا بين خيري الدنيا والآخرة، وهؤلاء المسلمون وسط بين الذين تغلب عليهم الحظوظ الجسدية والمنافع المادّية كاليهود، والذين تغلب عليهم التعاليم الروحية، وتعذيب الجسد وإذلال النفس والزهد، كالهندوس والنصارى وإن خالف هذه التعاليم أكثرهم [11] .

---

[09] سورة فصلت الآيتان: 41،42

[10] د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمّار ــ أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ــ مركز الدراسات والإعلام دار إشبيليا ــ الطبعة الأولى 416 هـ ــ 996 م ص202

[11] انظر: محمد رشيد رضا الوحي المحمدي ــ الطبعة السادسة، الناشر، مكتبة القاهرة: 138 هـ ــ 960 م ص03.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالإســـــلام شـــــريعته الخالدة لا يقر الحرمان ولا الترهبن، ولا العزلة الاجتماعية، وفي الوقت نفسه لا يرضى للإنسان أن ينشغل في الحياة المادية وينســـــى الدار الآخرة، بل يحث منتســـــبيه على التوازن وعدم تغليب جانب على حساب جانب آخر. قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنْ الدُّنْيَا﴾ [12].

رابعاً ــ الثبات في القيم الإسلامية والمبادئ العامة:

الدعوة الإســـــلامية ثابتة في قيمها ومبادئها وآدابها المتمثلة في الدعوة إلى توحيد الله في ربوبيته، وفي ألوهيته وفي أسمائه وصفاته، والثبات في أمور كثيرة من وجوه عباداتها في الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويتمثل الثبات في العقائد الأساسية الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. وفي المحرمات اليقينية من تحريم السحر وقتل النفس والزنا وأكل الربا وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات والتولي يوم الزحف ... الخ.

[12] سورة القصص آية: 77 ، وانظر: د. حمد بن ناصر أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة، ص203 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي أمهات الفضائل والأخلاق من الصدق والأمانة والعفة والصبر والوفاء بالعهد والحياء وغيرها من مكارم الأخلاق [13] وهذا الثبات في العقائد والأحكام وُجد ليرجع الناس إليه حتى يطمئنوا ويســـتريحوا ويكون عندهم مقياس يعرفون طول الأشياء وعرضها ووزنها من خلال [14] .

خامساً ــ حفظها لمصالح العباد:

إن شريعة الإسلام وحدها من بين الشرائع التي تحقق مصالح العباد، وذلك بحفظها لنظام الأمة واستدامة صلاحيته بصلاح المهيمن عليه وهو الإنسان وقد قام العلماء الأعلام باستقراء الشريعة في كلياتها وجزئياتها فهداهم ذلك إلى أن الشريعة وضعت لحفظ مصالح العباد، وقطع دابر الفساد [15] .

---

[13] انظر د. يوسف القرضاوي ــ الخصائص العامة للإسلام ــ طبعة دار المعرفة، الدار البيضاء ص220 ــ 221 بتصرف

[14] د. عبد الله عزام ــ العقيدة وأثرها في بناء الجيل ــ الطبعة الثالثة ــ جمعية عمال المطابع التعاونية 1400 هـ ــ 980 م ص89

[15] د. عمر الأشقر ــ خصائص الشريعة الإسلامية ــ دار النفائس ــ مكتبة الفلاح ــ الطبعة الثالثة 1412 هـ، 991 م ص78

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والقصص القرآني يبين المنهج القويم الذي اتبعه الأنبياء في دعوتهم الأمم إلى مايصلحهم في الدنيا والآخرة، و تحذيرهم من الفساد قال تعالى مخبراً عن شعيب عليه السلام (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) 16.)

وكذلك قال صالح عليه السلام لقومه : (وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) 17.)

وقال تعالى عن دعوة موسى عليه السلام : (وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ لْمُفْسِدِينَ) 18.)

وقد حثت الشريعة على استمرارية الصلة بين الأهل و الأقارب وذوي الأرحام ونهت عن خلاف ذلك: (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ) 19.).

وفي الحديث يقول صلى الله عليه وسلم: (لا ضرر ولا ضرار) [20])

وتتركّز مـ صالح العباد في حفظ ضروراته الخمس: الدين، النفس، الذ سل، المال، العقل.وقد جاء الإسلام بحفظها جميعاً.

16.) سورة الأعراف اية : 5؛

17.) سورة الاعراف اية :74

18.) سورة الاعراف اية : 142

19.) سورة محمد اية 22

20. رواه ابن ماجة، كتاب الاحكام، باب من بنى في حقه ما يضره، ! /784 وهو صحيح، انظر: محمد ناصر الدين الالباني _ صحيح سنن ابن ماجة _ توزيع المكتب الاسلامي _ بيروت _ الطبعة الاولى _ 1407 هـ _ 1986 م 2 /69

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن ر سالة الإ سلام أخذت في اعتبارها م صالح العباد فدعت إلى ضرورة حفظها والعناية بها، وأن الإنســـان له حرمة في حياته ومماته فلا يجوز أن يُعتـ ى عليه في دينه أو حياته أو عقله أو نســـله أو ماله فقد كرمه الله تعالى في كيانه و فضـــله على كثير من المخلوقات الحية (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ وَفَضـــَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضـــِيلًا) [21] . والإ سلام لا يختص بمن بعث إليهم محمد صلى الله عليه و سلم بل الدين حكم عامُ في الأولين والآخرين ، فجميع الأنبياء جاءوا بر سالة الإ سلام ولهذا قال الله تعالى: (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا) [22] .

د - مصادر الدعوة الإسلامية :

تتألف مصادر الدعوة من عدة مصادر منها:

. القرآن الكريم ؛ . السنة النبوية ا . سيرة السلف الصالح 4 .

التجارب والخبرات.

[21]) سورة الاسراء اية: 0'

[22]) سورة النساء اية : 125 وانظر : ابن تيمية _ دقائق التفسير ، الجامع لتفسير ابن تيمية _ جمع و تقديم و تحقيق د. محمد السيد الجليند _ طبعة دار الأنصار ، مصر 398 هـ / 978 م !/04 _07 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصدر الأول

القرآن الكريم:

في القرآن الكريم آيات كثيرة تتعلق بأخبار الرسل عليهم الصلاة والسلام وما جرى لهم مع أقوامهم من أمور الدعوة. ومن آيات القرآن الكريم تُستفاد أصول أساليب الدعوة ووسائلها التي يجب أن يفقهها المسلم كما تفقه أمور الدين الأخرى.

و الله تعالى قصّ علينا أخبار الرسل لنستفيد منهجية الدعوة إلى دينه قال تعالى: (أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهْ [23])

فالآية الكريمة تشير إلى لزوم الاقتداء بمنهج رسل الله في الدعوة [24]).

ويبين القرآن أن الجهاد في سبيل الله هو طريق الدعوة شرعه الله تعالى من أجل إزالة العقبات من طريقها قال تعالى: (وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [25]) .

---

[23]) سورة الأنعام آية: 90

[24] انظر: عبد الكريم زيدان ــ أصول الدعوة ص413

[25] سورة البقرة آية: 190

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي القرآن بيان أنّ مهمة الداعية تبليغ الدعوة للناس فهو غير مسؤول عن استجابة الناس أو عدم استجابتهم. قال تعالى. (فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ) [26]

فالقرآن الكريم هو التشريع العام الخالد الذي تكفّل بجميع ما يحتاجه البشر في أمور دينهم ودنياهم، في العقائد، والأخلاق، والعبادات، والمعاملات، لا يعتريه خلل ولا اختلاف، ولا تناقض ولا اضطراب، فالسعادة الحقة لا تنال إلا بالاهتداء بهديه، والتزام ما جاء به، فهو شـــفاء لأمراض القلوب وأدواء المجتمع، به تهتدي الأمم والشعوب بعد ضلالها: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا(﴿)وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا) [27] وقال تعالى: (وَنُنَزِّلُ مِنْ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا) [28]

---

[26] سورة الشورى آية: 48

[27] سورة الإسراء الآيتان 9،10

[28] سورة الإسراء آية: 82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصدر الثاني

السنة النبوية:

تُعدّ السنة النبوية المصدر الثاني للدعوة الإسلامية بعد القرآن الكريم، وهي قاعدة أساسية لا يستقيم للدين أمر ولا فهم ولا فقه دونها.

وتبين الســـــنة النبوية مراحل الدعوة وأولوياتها من خلال الأحاديث الكثيرة المتعلقة بأمور لدعوة وو سائلها، وما جرى لر سول الله صلى الله عليه و سلم في مكة والمدينة وفي كيفية معالجته صـــلى الله عليه وســـلم للأحداث والظروف التي واجهته، وهذه الأمور تمنح الداعية مادة غزيرة في أساليب الدعوة ووسائلها.

وفي سنة النبي صلى الله عليه وسلم بيان أن الجهاد هو طريق الدعوة وأنه ماضٍ إلى يوم القيامة، شرع لحماية الدعوة وإزالة العوائق من طريقها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصدر الثالث

سيرة السلف الصالح:

في سيرة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم بإحسان أمان وعصمة من التردّي في الأخلاق الرذيلة، وفي وقائعهم وسيرتهم أمور مهمة يستفيد منها الدعاة إلى الله تعالى، فالسلف الصالح أعلم من غيرهم بمراد الشرع وفقه الدعوة إلى الله تعالى، وذلك لصحبتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولمشاهدتهم التنزيل وفطرتهم النقيّة وفصاحتهم، وتضحياتهم من أجل الدعوة بالنفس والأهل والمال، فأبو بكر الصديق رضي الله عنه حرصه على سلامة صاحب الدعوة يدخل في رحلة الهجرة إلى المدينة ــ غار ثور قبل النبي صلى الله عليه وسلم لئلا يُصاب رسول الله بأذى، وهجرة صهيب وتضحيته بماله من أجل دعوة لا إله إلا الله وتجهيز عثمان لجيش العسرة، ومواقفهم في بدر وأحد والخندق والقادسية ومؤتة كلها مواقف تشع بالنور والهداية يستطيع الدعاة أن يقتبسوا منها منهجاً لدعوتهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد ذكرت كتب السير ما حصل مع الجندي المسلم ربعيّ بن عامر عندما أرسله سعد ابن أبي وقاص لمفاوضة رستم قائد الفرس، حيث أقبل ربعيّ بن عامر فلما انتهى إلى بساط رستم وطئه بفرسه ثم نزل وربط بالبوسادتين شقهما وجعل الحبل فيهما ثم أخذ عباءة بعيره فاشتملها، فأشاروا عليه بوضع سلاحه فقال: لو أتيتكم فعلت ذلك بأمركم وإنما أنتم دعوني ثم أقبل يتوكأ على رمحه ويقارب خطوة حتى أفسد ما مرّ عليه من البسط، ثم دنا من رستم وجلس على الأرض وركّز رمحه على البساط وقال: إنّا لا نقعد على زينتكم: فقال رستم: ما جاء بكم قال ربعيّ: الله جاء بنا وهو بعثنا لنخرج العباد من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسل رسوله بدينه إلى خلقه فمن قبله قبلنا منه ورجعنا عنه وتركناه وأرضـــه، ومن أبى قاتلناه حتى نفضي إلى الجنّة أو الظفر [29] .

فهذه الحادثة تدل على الجرأة في تبليغ دعوة الله تعالى وبيان موجز لبيان مضمون الدعوة التي جاء بها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

[29] ابن الأثير – الكامل في التاريخ 2/163 ؛ محمد الخضري ــ إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ــ طبعة بلا ــ دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة ص65

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المصدر الرابع

التجارب والخبرات:

التجربة لها أثر كبير في اكتســـاب المهارات، والداعي إلى الله عزو وجل يستفيد من تجارب غير ، خاصة تصرفات العلماء في الوقائع الدعوية لأنها تعين في فهم المصادر السابقة واستنباط الأحكام منها، فهي تطبيقات عملية لمنهج الله ورسوله.

ومع أهمية هذه الوقائع وعظيم فائدتها، فإنها تُعدّ مصدراً تبعياً يُستفاد منه في ضوء المصادر الأصلية السابقة، لأنها اجتهادات بشرية تُخطئ وتصيب، فإذا أجمع العلماء على التعامل مع واقعة، بشـــكل محدّد، كان عملهم حجة بســـبب الإجماع، وإن اختلفت آراؤهم واجتهاداتهم فيها، كانت آراء اجتهادية تنير الطريق لغيرهم [30] .

30.)محمد أبو الفتح ــ مدخل إلى علم الدعوة ص148

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الثالث أساليب الدعوة في القصة القرآنية

الأسلوب لغة: هو الطريق، وهو الفن، وعُنُق الأسد، والشموخ في الأنف ولذا يُقال: هو على أ سلوب من أ ساليب القوم: أي على طريق من طرقهم [31] . والأ ساليب: هي الفنون المختلفا [32] .

أما تعريف الأسلوب في لاصطلاح:

فقد اختلفت التعريفات الا صطلاحية للأ سلوب اختلاف تنوع في اللفظ، لا اختلاف تـ ضاد. ومن هذه التعريفات. الأ سلوب: هو الطريقة الكلامية التي يـ سلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداتا [33] .

وهناك تعريفات أخرى للأســـلوب اكتفيت بواحد منها من باب الاختصـــار وللاستزادة يُرجع إلى الكتب المختصة بهذا المجال [34] .

---

[31] انظر: الرازي ــ مختار الصحاح ص80 ، الفيروز أبادي ــ القاموس المحيط ص25 .

[32] الراغب الأصفهاني ــ المفردات في غريب القرآن ص419 .

[33] د. فهد الرومي ــ خصائص القرآن الكريم ط4 409 هـــ ص18

[34] أحمد الشايب ــ الأسلوب دراسة بلاغية تحـ ليلية لأصول الأساليب الأدبية الطبعة السابعة ــ مطبعة السعادة ص 4، د. محمد عبد العظيم الزرقاني ــ مناهل العرفان في علوم القرآن طبعة دار إحياء التراث ! /199

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأســـاليب من العوامل المهمة التي تســـاعد الداعية على إنجاح دعوته، وتمنحه القدرة على التأثير في المدعوين وإيصال المراد إليهم ، و سيكون الحديث في هذا الفصل عن ثلاثة أساليب من أساليب الدعوة من خلال القصة القرآنية:

المبحث الأول: الدعوة إلى الله تعالى عن طريق الحجج العقلية

المبحث الثاني: الدعوة إلى الله تعالى عن طريق ضرب الأمثلة واستعمال أسلوب الترغيب والترهيب.

المبحث الثالث: الدعوة إلى الله تعالى من خلال التذكير بنعم الله ولفت النظر إلى الآيات الكونية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول الدعوة إلى الله تعالى عن طريق الحجج الـ قلية

لقد دعا القرآن الكريم الى إعمال العقل على نطاق واسع وشامل في التعرف على الله من خلال اياته والايات القرآنية الدالة على هذا الامر كثيرة منها قوله تعالى (وكذلك نُري ابراهيم ملكوت الســـماوات والارض وليكون من الموقنين فلما جنّ عليه الليل رأى كوكباً قال هـ ا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم الضآلين فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشـــركون إني وجهت وجهي للذي فطر الســـماوات والارض حنيفاً وما أنا من المـ شركين وحاجه قومه قال اتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تـ شركون به الا أن يشاء ربي شيئا وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون) [1]

[1] سورة الانعام - آيه 80 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحجج التي تضمنتها هذه الايات :

الحجة الاولى : الاحتجاج بأفول الكواكب على بطلان ألوهيتها

ذكر المفسرون [1] في وجه الاحتجاج بالافول على بطلان ألوهية الكواكب أقوالاً نجملها في النقاط التالية :

. الافول وهو الغياب دال على الحركة والحركة دالة على الحدث وان كان الطلوع يدل بالحركة على الحدوث الا ان دلالة الافول على الحدوث أتم وأقوى فإن الكوكب يزول سلطانه وقت الافول وهي أقرب لى الفهم في الدلالة على الحدوث من الطلوع .

[1] أنظر : تفسير الرازي 3. /53 ، تفسير المنار ٢ /558 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ا . إن كل كوكب وهو يقرب من الافول وهو الغروب فإنه يزول نوره وينتقص ضوءه ويذهب سلطانه ويسير كالمعزول ومن يكون كذلك لا يصلح للالهية .

ج. الافول دليل على الخروج عن حد الكمال وما كان كذلك لا يصلح أن يكون الهاً .

III . المقصود هو ذات الافول والاحتجاب لانه من الجهل أن يعبد العابد الهاً مختفياً وراء الاستار لا يعلم شيئاً من أحواله ولا أمر عبادته وفي الاحتجاب زوال للعناية والرعاية والاجابة من الرب لعباده وما كان كذلك فلا حاجة لعبادته ولا فائدة من التوجه اليه .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هذه مجمل الاقوال لتي أوردها المفســـرون وأرى أن هذا الاخير هو أقربها الى الصحة لأن الظهور دليل على الحركة والامكان والتغير أيـ ضاً ولكنه ا ستدل به على الربوبية مما يؤكد أن وجه الاحتجاج ليس الحركة ولا الامكان ولا التغير ولا كل هذه القـ ضايا الفلـ سفية مع أنها مـ شتركة بين الافول والظهـ ور ولكن ســـر الاحتجاج بالاحتجاب والخفاء وقد نبه الى ذلك الزمخشري فقال (فإن قلت : لم إحتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال ؟ قلت : الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال خفاء واحتجاب وقال ابن المنير (إنه من عيون نكته ووجوه حسناته)[1]

[1] الكشاف :1/ 32 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد حض الله تعالى في القرآن الكريم مزاعم النصارى بألوهية المسيح بالحجج العقلية في مواضع عديدة منها:

1. قوله تعالى (إنَّ مَثَلَ عيســـى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون الحقُ من ربِّك فلا تكن من الممترين) [35] .
2. وقوله: (لقد كَفَرَ الذين قالوا إنَّ الله هو المسيحُ ابن مريمَ قُل فمن يملكُ من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمّه ومن في الأرض جميعاً) [36] .
3. وقوله: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمّه صدِّيقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم انظر أنَّى يؤفكون، قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضراً ولا نفعاً والله هو السميع العليم) [37] .

ويقوم الاستدلال بهذه الآيات على بطلان ألوهية المسيح على الأدلة العقلية التالية:

---

[35] سورة آل عمران الآيتان: 59 ــ 60

[36] سورة المائدة آية 17

[37] سورة المائدة الآيتان: 75 ــ 76

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

١. إن عيسى عليه السلام مخلوق كبقية المخلوقات، وإذا كان الله قد خلق آدم من الطين، فإنه قادر ــ من باب أولى ــ على خلق عيسى من غير أب ــ فقد يخلق الله إنساناً من غير أم ولا أب، كما في خلقه لآدم عليه السلام، وتارة من أم بلا أب، كما في خلق عيسى عليه السلام [38]، وتارة من ذكر دون أنثى، كما في خلق حواء، من ضلع آدم عليه السلام، وتارة من أب وأم كما هو نظام التوالد المعروف، وإذا ثبت أن عيسى عليه السلام مخلوق، فكيف يكون المخلوق إلهاً؟ ! وكما ذكر ابن حزم، مشنّعاً على النصارى: "وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى، ما صدّقنا أن في العالم عقلاً يسع هذا الجنون، ونعوذ بالله من الخذلان [39] .

٢. إن الله الذي له ملك السماوات والأرض ومن فيهن، قادر على أن يهلك المسيح عليه السلام وأمّه ومن في الأرض جميعاً، وقد ماتت أمّه ولم يقدر أن يدفع عنها الموت،

---

[38] انظر: تفسير القرطبي ٦/ 102 ــ 103

[39] محمد بن أحمد بن حزم الأندلسي ــ الفصل في الملل والأهواء والنحل ــ تحقيق د. عبد الرحمن عميرة و د. محمد إبراهيم نصر ط3 ــ 412 ــ 982 م /49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي ذلك دلالة على عجز عيسى عن دفع ما أريد به، وما حصل لأمّه فعلاً، إضـــافة إلى أنه لا يملك ضـــراً ولا نفعاً، وهذا لا يكون إلهاً بحال [40] .

ج. إن عيسى عليه السلام وأمه بشر كبقية البشر، يأكلان الطعام وغير ذلك مما هو من صفات البشر، والرسل جزء منهم، ومن هذا حاله لا يكون إلهاً، لأن الإله مســـتغن عن الطعام، وعن كل ما يحتاج البشـــر إليه، مما تقوم به حياتهم.

د. أما الخوارق التي ظهرت على يد عيسى عليه السلام من : إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص، والإخبار عن بعض الغيوب فهي معجزات أيده الله بها كما أيد الرســـل الآخرين، وقد جاء ذكر هذه المعجزات في القرآن مقترناً بكلمة (بإذن الله) ليرتفع الوهم من أن عيسى عليه السلام كان يفعل ذلك بقدرة ذاتية منه.

[40] انظر: تفسير الطبري 0 /47 ، ــ الشوكاني ــ فتح القدير ! /24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ز . وأما دعواهم بتأليه مريم والدة عيســـى، فيردّه: أن مريم تأكل وتشـــرب، بالإضافة إلى أنها حملت عيسى في بطنها أشهراً، وأنها تمنّت الموت عندما حملت به، دفعاً لتهمة الزنا التي ســـيلصـــقها بها قومها، إلى غير ذلك مما أخبرنا القرآن عنها، ومن كان هذه صفته لا يكون إلهاً.

وما تقدم ذكره يردّ ى مزاعم النصارى بألوهية عيسى عليه السلام وأمّه، لأنه ليس فيهما شيء من خصائص الألوهية، ومن ثم فإن ما ذكره القرآن من الأدلة العقلية على بشرية عيسى، دالّ على وحدانية الله تعالى، ونفي ألوهية أحد سواه.

وأما زعم الن صارى بأن الله ثالث ثلاثة فقد ذَكَرَ القرآن ذلك عنهم، وكفّرهم بســـبب هذه المقولة، وذلك في قوله تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد وإن لم ينتهوا عمّا يقولون ليمسّن الذين كفروا منهم عذاب أليم) [41] .

[41] سورة المائدة آية: 73

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الأسلوب في دعوة النبي عليه الصلاة والسلام كثير ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلاً﴾ [42] .

أي لطلبوا مغالبة ذي العرش، وذلك مما يفضي إلى اختلال العالم لا شتغال مدبّريه بالمغالبة والمقاتلة والمدافعة، فالابتغاء على هذا: ابتغاء عن عداوة وكراهة، وهذا كقوله تعالى: ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عمّا يصفون﴾ [43] .

والمعنى لا يليق بإنسان أن يجعل مع الله سبحانه إلهاً آخر، فإنه لا إله سواه سبحانه، إذ لو وجد في الكون آلهة أخرى ــ كما يزعم المشركون ــ لاضطرب نظام الكون وما فيه ومن فيه، ونحن نشاهد في السنن الكونية، وإتقان سيرها، وإبداع تركيبها وإحكامها، ودوام صلاحها، ما ينفي وجود تنازع في الهيمنة عليها، وتدبير أمرها، فامتنع وجود آلهة غير الله سبحانه الواحد رب كل شيء، لامتناع فساد السموات والأرض وأهلها: أي فساد هلاك ودمار وخراب، وثبتت وحدانية الله سبحانه، بالإضافة إلى أنّ الآلهة المتخذة من دون الله هي من أدنى المخلوقات في الأرض [44] .

---

[42] سورة الإسراء آية: 42

[43] سورة الأنبياء آية: 22 وانظر: الطاهر بن عاشور ــ تفسير التحرير والتنوير 5 /111

[44] انظر: تفسير الفخر الرازي 0: /217

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصـــة القول: ن الدعوة إلى الله تعالى تدعو إلى إعمال العقل، والنظر في الآيات التي أيد الله بها المرسلين عليهم الصلاة والسلام.

والآيات في الأنفس والكون كلها شاهدة على وحدانية الله تعـلى. فالناظر إلى دقة هذه الآيات وإحكامها وما فيها من تنا سق يـ صل إلى أنها من لدن حكيم خبير. قال تعالى: (وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لأية لقوم يذكّرون، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر يه ولتـ غوا من فضله ولعلكم تشكرون)[45] .

وقوله تعالى: (ومن آياته خلق الســـماوات والأرض واختلاف ألســـنتكم وألوانكم إنَّ في ذلك لآيات للعالِمين، ومن آياته منامكم بالليل والنهار وابتغاؤكم من فـ ضله إنَّ في ذلك لآيات لقوم يـ سمعون)[46] وقوله تبارك وتعالى: (الله الذي ر فع الـ سماوات بغير عمد ترونها ثم ا ستوى على العرش و سخر الـ شمس والقمر كلٌّ يجري لأجل مسّمى يد ر الأمر يفصّل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون،

---

[45] سورة لنحل الآيتان 13 ــ 14

[46]) سورة الروم الآيتان: 22 ــ 23

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو الذي مدَّ الأرض وجعل فيها رواســـي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يُغشـــي الليل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون، وفي الأرض قطع متجاورات وجنّات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحدٍ ونفضلّ بعضها على بعض في الأُكُل إنّ في ذلك لآيات لقومٍ يعقلون[47] .

ولقد نعى القرآن الكريم على الذين عطلوا نعمة العقل فلم ينتفعوا بالحجج والبراهين التي جاءت على أيدي المرســـلين محتجين بتقليد الآباء، من غير برهان ولا دليل. قال تعالى: (وإذا قيل لهم اتَّبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتَّبع ما ألفينا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شـــيئاً ولا يهتدون)[48] وقال تعالى: (وإذا قيل لهم تعالَوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون)[49]

---

[47] سورة الرعد الآيات 2 ــ 4

[48] سورة البقرة آية: 170

[49] سورة المائدة آية: 104

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالله تعالى لم يطلب من الناس الاستسلام لدينه استسلاماً جبرياً من غير حجة ولا دليل ن بل أمر الله تعالى رسله تبليغ الناس بأسلوب قائم على البيان والبرهان فلا لزم الناس بالإيمان إلا إذا قامت عليهم الحجة.

إن القرآن الكريم ير سم منهجاً في البحث ويوجهه الى ا ستخدام الطريقة المنهجية في التفكير ومنهج الملاحظة والتجربة ا ستخدمه الانبياء عليهم الـ سلام فإبراهيم في محاجة قومه قد جارا قومه في اعتقادهم بألوهية الاصـــــنام والكواكب فقال ما قال على سبيل الفرض ثم كرّ على هذه الفروض يبطلها واحداً واحداً .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني الدعوة إلى الله تعالى عن طريق ضرب الأمثلة واستعمال أسلوب الترغيب والترهيب

أولاً: أسلوب ضرب الأمثلة:

ضرب الأمثلة أسلوب من أساليب البيان في القرآن الكريم، وهذا الأسلوب جاء في دعوة خاتم الرسل عليه الصلاة والسلام ومن ذلك:

. قوله تعالى (ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم ممّا ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون) [50] .

وهذا المثل الذي ضربه الله على بطلان الشرك ، مأخوذ من أنفسكم أيها الناس الذين تشركون بالله، فإن نفوسكم أقرب شيء منكم، وأبين من غيرها عندكم، فإذا ضرب لكم المثل بها في بطلان الشرك، كان أظهر دلالة وأعظم وضوحاً.

---

[50]) سورة الروم آية : 28

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الـ شوكاني في بيان معنى الآية (هل لكم شركاء فيما رزقناكم كائنون من لنوع الذي ملكت أيمانكم، وهم العبيد والإماء؟ والاســـتفهام للإنكار؟ وجملة (فأنتم فيه سواء) جواب للاستفهام الذي بمعنى النفي، ومحققة لمعنى الشركة بينهم وبين العبيد والإماء المملوكين لهم في أموالهم، أي: هل تر ضون لأنف سكم، والحال أن عبيدكم وإماءكم أمثالكم في البشر ة أن يساووكم في التصرف بما رزقناكم من الأموال، ويـ شاركوكم فيها من غير فرق بينكم وبينهم؟ تخافونهم كخيفتكم أنف سكم، أي كما تخافون الأحرار المشابهين لكم في الحرية وملك الأموال وجواز التصرف، والمقصود: نفي الأشياء الثلاثة: الشركة بينهم وبين المملوكين، والاستواء معهم، وخوفهم إياهم[51] .

ثم قال الشوكاني: (والمراد إقامة الحجة على المشركين، فإنهم لابد أن يقولوا: لا نرضى بذلك، فيقال لهم: كيف تنزهون أنفسكم عن مشاركة المملوكين لكم،

---

[51] الشوكاني ــ فتح القدير 1/223 ــ وانظر ابن تيمية ــ درء تعارض العقل والنقل ــ تحقيق محمد رشاد سالم، ط 1، 401 – 981 م 7/36 ــ 37

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهم أمثالكم في البشرية، وتجعلون عبيد الله شركاء له؟ فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة، بطلت الشركة بين الله وبين أحد من خلقه، والخلق كلهم عبيد الله تعالى، ولم يبق إلا أنه الرب وحده لا شريك له" [52] .

. قوله تعالى (ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منّا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون لحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون" [53] .

ضرب الله في هذه الآية المثل لنفسه وللأوثان، فالله تعالى هو المالك لكل شيء، ينفق كيف يشاء على عبيده سراً وجهراً، ليلاً ونهاراً، يمينه ملأى لا يغيضها نفقة، سحّاء الليل والنهار، والأوثان مملوكة عاجزة، لا تقدر على شيء فكيف جعلوها شركاء لله، ويعبدونها من دونه، مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين [54] .

---

[52] تفسير فتح القدير 1/223

[53] سورة النحل آية: 75

[54] شمس الدين محمد بن أبي بكر، الشهير بـ (ابن قيم الجوزية ،التفسير القيّم تحقيق محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية 1368 هـ ـ 949 ص39، ابن القيم ـ إعلام الموقعين عن رب العالمين – دار الجيل بيروت لبنان 973 م، 1/191 ـ 19، ابن القيم ـ الأمثال في القرآن الكريم ـ تحقيق سعيد محمد نمر الخطيب، دار المعرفة، بيروت ط1 ، 403 هـ ـ 983/ م ص203 ـ 206

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. قوله تعالى (وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شي .) [55] فإنّ الصـــــنم الذي يعبد من دون الله مثل الرجل العاجز عن الكلام، لا يعقل ولا ينطق، عاجز عن الفعل لا يقدر على شيء، أينما يوجهه مولاه لا يأتيه بخير ولا يق ضي له حاجة، بسبب ضعفه وعجزه، هل يستوي هذا الذي لا يعقل شيئاً ولا ينطق فيأمر وينهى، ومن هو حي قادر يتكلم ويأمر بالعدل ويدعو إليه، وهو على صـــــراط مستقيم؟ وإذا كانا لا يستويان، فكذلك لا يستوي الصنم الذي يألههُ المشركون مع الله الواحد القهار، الذي يدعو عباده إلى توحيده وطاعته. فهذا مثل إله الباطل وإله الحق، فكيف يليق بالعاقل أن يعبد من هذا شـــــأنه وعابده أكمل منه وأقدر على التعبير [56] .

وعجز الشركاء أمر واضح للعيان تدركه العقول بداهة وليس بحاجة أن يُقام عليه الدليل، والقرآن يقرر هذا العجز بأساليب متعددة.

---

[55] سورة النحل آية:76

[56] انظر: تفسير الطبري 4 /50 ، وتفسير القرطبي 4 /9، التفسير لقيم ص39.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً ــ أسلوب الترغيب والترهيب:

جاء أ سلوب الترغيب والترهيب على صور متعددة في القصص القرآني. وهذا الأسلوب له تأثيره ووقعه في نفوس كثير من البشر ومن هذه الصور:

أ. في الترغيب:

.الترغيب بالوعد بالإمداد بالخير الوفير، و ! غ اق بأنواع النعم. قال تعالى عن نوح عليه السلام (فقلت استغفروا ربكم إنَّه كانَ غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموالٍ وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً) [57] وقال تعالى عن هود عليه السلام (ويا قوم استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة إلى قوتكم ولا تتولَّوا مجرمين) [58] .

---

[57] سورة نوح الآيتان: 10 ــ 12

[58] سورة هود آية: 52

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ا . الترغيب باستجابة دعاء من دعاه ومن ذلك:

أولاً: إجابة الله سبحانه لدعوة آدم وحواء عليهما السلام، بعد أن وقعا في المعصية ثم أنابا إلى الله واتجها إليه راجيين رحمته ومغفرته (فتلقّى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم) [59] .

ثانياً: إجابته سبحانه دعوة نبيه أيوب عليه السلام، بعد أن بلغ به الضر منتهاه (وأيوب إذ نادى ربه أنّي مسني الضرّ وأنت أرحم الراحمين، فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضرّ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين [60] .

[59] سورة البقرة: آية: 37

[60] سورة الأنبياء الآيتان: 83 – 84

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: ا ستجاب الله دعوة مو سى عليه الـ سلام في مواطن متعددة، قال تعالى (قال رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي، شدد به أزري وأشركه في أمري كي نسـ حك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً [61]) فأجـ ب الله تعالى دعاءه (قال قد أوتيت سؤلك يا مو سى) [62] . وطلب مو سى عليه الـ سلام المغفرة من ربه لما اقترفه من قتل القبطي الذي وجده يقتتل مع الإ سرائيلي فا ستجاب الله دعاءه وغفر له، قال تعالى (ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته و، ذا من عدوِّه فاستغاثة الذي من شيعته على الذي من عدوِّه فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان إنه عدوٌ مضلّ مبين، قال ربِّ إنّي ظلمت نفسي فاغفر لي فغفر له إنه هو الغفور الرحيم) [63] .

---

[61] سورة طه الآيات: 25 ــ 35

[62] سورة طه آية: 36

[63] سورة القصص الآ ن 15 ــ 16

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً: إنجاؤه يونس عليه السلام من الغمّ الذي حلّ به، وقد صار في بطن الحوت (وذا النّون إذ ذهب مغاضباً فظنّ أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، فاستجبنا له ونجّيناهُ من الغمّ وكذلك ننجي المؤمنين)[64] وقد ذهب يونس عليه السلام مغاضباً لقومه الذين لم يستجيبوا له ومعنى قوله تعالى: (فظن أن لن نقدر عليه) أي نضيّق عليه وهو المعنى الذي ذهب إليه ابن جرير الطبري وغيره واستشهد له الطبري بقوله تعالى: (ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله)[65] .

خامساً: إجابته تعالى دعاء زكريّا عليه السلام الذي سأل الله أن يهبه ولداً يكون من بعده نبياً قال تعالى (وزكريّا إذ نادى ربه رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين فاستجبنا له ووهبنا له يحيى وأصلحنا له زوجه إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين)[66] .

---

[64] سورة الأنبياء – الآيتان: 87 – 88

[65] سورة لطلاق آية: 7 ، انظر: تفسير ابن جرير الطبري 7 /87 وتفسير ابن كثير 4 /187

[66] سورة الأنبياء الآيتان 89 – 90

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. الوعد بالرحمة والمغفرة والنعيم المقيم الآجل في الآخرة على لسان رسله عليهم الصلاة والسلام ففي دعوة نوح عليه السلام (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون) [67] .

ورغب نوح عليه السلام قومه في الاستجابة لدعوته حيث قال لهم ما أخبر القرآن عنه: (قال يا قوم إنيّ لكم نذير مبين أن اعبدوا الله واتقوه وأطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم إلى أجلٍ مسمّى إنّ أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون) [68] .

وعدهم نبيهم عليه السلام أنهم إذا أدّوا حق الله تعالى من العبادة، واجتنبوا ما يوقعهم في عذابه غفر الله ذنوبهم وأطال، أجل أمتهم واستعمرها في الأرض.

---

[67] سورة الأعراف آية: 63

[68] سورة نوح الآيات 2 ــ 4

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد كان أتباع نوح يخافون على أنفسهم الإهلاك من قومهم بسبب إجابتهم لنوح عليه السلام فكأنّه عليه السلام أمّنهم من ذلك ووعدهم أنّهم بإيمانهم يبقون الأجل الذي ضرب لهم لو لم يؤمنوا أي أنكم إن أسلمتم بقيتم إلى أجل مسمّى آمنين من عدوكم[69] .

ورغّبهم في موضع آخر فيما خبر القرآن عنه: (فقلت استغفروا ربَّكم إنَّه كان غفّاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنَّات ويجعل لكم أنهاراً)[70] .

بينّ لهم نبيّهم عليه السلام أنّهم إذا سألوا الله المغفرة من ذنوبهم السابقة بإخلاص النيّة، وعبدوا الله وحده فإن الله تعالى يُمدّهم بنعمه في الدنيا من كثرة الرزق، ويسقيهم من بركات السماء، ويمدّهم بأموال متنوعة وبنين، ويجعل لهم بساتين فيها أنواع الثمار ويظللّها بالأنهار الجارية بينها وينبت لهم الزرع ويدرّ لهم الضرع، وهذا مقام الدعوة بالترغيب.

---

[69] تفسير النسفي 4/294 .

[70] سورة نوح الآيات 11 – 12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى في شأن صالح عليه السلام: (قال يا قوم لم تستعجلون بالسيئة قبل الحسنة لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون) [71] . والمعنى لم تبادرون فعل السيئات وتحرصون عليها، قبل فعل الحسنات، التي بها تحسن أحوالكم وتصلح أموركم الدينية والدنيوية؟ والحال أنه لا موجب لكم، إلى الذهاب لفعل السيئات؟ لولا تستغفرون الله بأن تتوبوا من شرككم وعصيانكم وتدعو الله بأن يغفر لكم لعلكم ترحمون؟ فإن رحمة الله قريب من المحسنين، والتائب من الذنوب هو، من المحسنين [72] .

وفي دعوة شعيب عليه السلام قال تعالى: (واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إن ربي رحيم ودود) [73] . إن ذيهم حثهم على التوبة والاستغفار وبينّ لهم أن الله تعالى عظيم الرحمة فيرحم من يطلب منه المغفرة، والله تعالى كثير الودّ متحبب إلى عباده فيحب من يتوب ويرجع إليه، فهو عظيم اللطف والإحسان بعباده [74] .

---

[71] سورة النمل آية: 46

[72] انظر: تفسير السعدي الكريم الرحمن 1/508

[73] سورة هود آية: 90

[74] انظر: روح المعاني 2 /122 ــ 123 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي دعوة موسى عليه السلام قال تعالى: (واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنّا هُدْنا إليك قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كلَّ شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون) [75] .

أخبر الله سبحانه عن موسى عليه السلام أنه طلب المغفرة والرحمة، بالتسليم لله والاعتراف بحكمة ابتلائه وختمه بإعلان الرجعة إليه والالتجاء إلى رحابه، فكان دعاؤه نموذجاً لأدب العبد الصالح في حق الرب الكريم ونموذجاً لأدب الدعاء في البدء والختام ثم يجيئه الجواب: (قال: عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء)، فالعذاب يصيب به من يستحق عنده العذاب أما رحمته فقد وسعت كل شيء وهي تنال من يستحقها فالرحمة والعذاب لا يأتيان جزافاً أو مصادفة تعالى الله عن ذلك علوّاً كبير [76] .

---

[75] سورة الأعراف آية :156 .

[76] انظر: تفسير الظلال [1/377] بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي دعوة النبي عليه الصلاة والسلام قال تعالى: (قل للذين كفروا إن ينتهوا يُغفر لهم ما قد سلف وإن يعودوا فقد مضت سنة الأولين) [77] .

والمعنى: قل للذ ن كفروا إن ينتهوا عن كفرهم، وذلك بالإ سلام لله وحده لا شريك له، يُغفر لهم ما م ضى من ذنوبهم وجرائمهم قبل الإ سلام وإن يعودوا إلى كفرهم وعنادهم فقد مضت سنة الأولين في نصر الله أنبياءه وأولياءه وإهلاك أعد ئ [78])

ا . الترغيب بالوعد بالنصر والتأييد والعزة:

قال تعالى مخبراً عن و عده بتأييد المؤمنين: (يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى بن مريم للحواريّين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيَّدنا الذين آمنوا على عدوّهم فأصبحوا ظاهرين) [79] .

---

77 سورة الأنفال آية: 38

78 انظر: تفسير البغوي ! /248 بتصرف.

79 سورة الصف آية: 14

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال لزمخشري: (الحواريون: هم أصفياؤه ــ أي أصفياء عيسى ــ وهم أول من آمن به، وكانوا اثني عشر رجلاً، وحواريّ الرجل: صفيّه وخلصاؤه أي خاصته)[80] . فالآية تحث المؤمنين بأن يكونوا أنصار دين الله كالحواريين الذين استجابوا له.

ب: في الترهيب :

ورد الترهيب في أسلوب الدعوة في القصة القرآنية في صور متعددة منها:

* الترهيب بتوجيه العذاب إلى المعرضين عن دين الله تعالى إن أصروا على إعراضهم واستكبارهم عن قبول دعوة المرسلين بعد وضوح الحق. فمن ذلك:

[80] تفسير الزمخشري 1/528

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قول الله تعالى فيما جاء في القصـــص القرآني عن نوح عليه الســـلام (إنّا أرســـلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم قال يا قوم إنّي لكم نذير مبين) [81] والمراد بالعذاب الأليم هنا: العذاب العاجل في الدنيا. بدليل أن الأقوام كانوا يقولون لر سلهم ـــــ حين يبلغ الإصرار على الكفر منتهاه (ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين).

وقوله تـ الى فيما جاء في دعوة هود عليه الســـلام (فإن تولوا فقد أبلغتكم ما أُر سلت به إليكم ويـ ستخلف ربي قوماً غيركم ولا تـ ضرونه شيئاً إنَّ ربي على كلِّ شـــيء حفيظ) [82] والمعنى: أي فإن تتولوا مجرمين ولم تنتهوا بنهيي لكم عن التولّي، ولم تطيعوا أمري لكم بعبادة الله وحده وترك الإشـــراك به،(فقد أبلغتكم ما أُر سلت به إليكم). أي فقد أبلغتكم ر سالة ربي التي أر سلني بها إليكم وليس عليّ غير البلاغ، ولزمتكم الحجة، وحقت عليكم كلمة العذاب (ويســـتخلف ربي قوماً غيركم) إذ هو أهلككم بإصراركم على كفركم وإجرامكم ولا تضروني شيئاً بتوليكم عن الايمان فإنه غني عنكم وعن ايمانكم [83] .

---

[81] سورة نوح آية: ـــ2

[82] سورة هود آية: 57

[83] تفسير المنار 2 /118

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

!. الترهيب بذكر مصير الأمم التي كذبت رسلها وأصابها ما أصابها من إنزال العذاب الذي يستأصلهم بسبب إعراضهم وهي سنة من سنن الله تعالى مع الأمم التي وقفت من دعوات الرســـل موقف الإعراض والجحود قال تعالى مخبراً عن وعيد شعيب عليه السلام قومه بعذاب الله العاجل:

(ويا قوم لا يجرمنَّكم شقاقي أن يصيبكم مِثلُ ما أصاب قوم نوح أو قوم هود أو قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد)[84] والمعنى: أي لا تحملنّكم عداوتي على تكذيبي فيكون جزاؤكم إصابة العذاب إيّاكم كما أصاب من قبلكم وما مكان قوم لوط ببعيد منكم، أو ليس زمانهم ببعيد من زمانكم فاخشوا مثل أيامهم إن عصيتم الله كما عصوه[85].

---

[84] سورة هود آية: 89

[85] زبدة التفسير من فتح القدير ص297

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك ما ذكره الله تعالى أيضاً عن شعيب عليه السلام في دعوته لقومه وهو ينذرهم المعاجلة بالعقوبة إلى مصير المفسدين من قبلهم وذلك في قوله تعالى: (ولا تقعدوا بكلِّ صراط توعدون وتصدّون عن سبيل الله من آمن به وتبغونها عوجاً واذكروا إذ كنتم قليلاً فكثَّركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين) [86] .

يذكر شعيب قومه بنعم الله عليهم ويأمرهم أن ينظروا ما حلّ بالأمم الخالية والقرون الماضية من العذاب والنكال باجترائهم على معاصي الله وتكذيب رسله [87] .

وفي دعوة هود لقومه أيضاً حيث ذكّرهم بأن الله جعلهم خلفاء من بعد قوم نوح الذين حلّ بهم عذاب الله وسخطه قال تعالى فيما أخبر عنهم (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون) [88] .

---

[86] سورة الأعراف آية: 86

[87]) تفسير ابن كثير ؛ /222

[88] سورة الأعراف آية: 69

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففيه تذكير لهم بأن جعلهم من ذرية نوح الذي أهلك الله أهل الأرض الذين خالفوه وكذبوه وهذا فيه وعيد ضمني لهم، بأن يصيبهم ما أصاب قوم نوح ولذلك كان ردّ قومه (قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان ما يعبد آباؤنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) [89] .

وفي دعوة النبي عليه الصلاة والسلام قال تعالى: (استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مردَّ له من الله مالكم من ملجأٍ ومئذٍ وما لكم من نكير) [90] وقوله تعالى: (وأنذرهم يوم الآزفة إذ القلوب لدى الحناجر كاظمين ما للظالمين من حميم ولا شفيع يُطاع) [91] . وقوله تعالى: (واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم يُنصرون) [92] .

---

[89] سورة الأعراف آية: 70

[90] سورة الشورى آية: 47

[91] سورة غافر آية: 18

[92] سورة البقرة آية: 48

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ا . الترهيب بالوعيد في العذاب الآجل في الآخرة: وهو من الأســـاليب التي تلين له بعض القلوب، حين يتلى عليها القرآن الكريم. وقد ورد ، ذا الأســـلوب في القصص القرآني على لسان كثير من الر سل عليهم الصلاة والسلام وأتباعهم قال تعالى مخبراً عما جاء في دعوة مؤمن آل فرعون: (ويا قوم إنّي أخاف عليكم يوم التناد يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصـــم ومن يضـــلل الله فما له من هادٍ [93] وقوله (لا جرم أ ما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردّنا إلى الله وأنَّ المسرفين هم أصحاب النارِ [94] .

والمراد بيوم التناد: يوم القيامة. وسمي بذلك لأن الناس يومئذ ينادي بعضهم بع ضاً في مواقف متعددة، حيث يُدعى كل أناس بإمامهم، وينادي بع ضهم بع ضاً: فينـ دي أ صحاب الجنة أ صحاب النار، وأ صحاب النار أ صحاب الجنة، ويُنادي أصحاب السعادة والشقاوة ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلان بن فلان قد شقي شقاوة لا يـ سعد بعدها أبداً. ويُنادى حين يذبح الموت. يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلـ د فلا موت. [95])

---

[93] سورة غافر الآيتان: 32 ــ 33

[94] سورة غافر آية: 43

[95] انظر: تفسير البغوي ا/97

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك قوله تعالى (ونادى أ صحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بـ سيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تـ ستكبرون أهؤلاء الذين أقـ سمتم لا ينالهم الله برحمة دخلوا الجنة لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون)[96] .

فأ صحاب الأعراف يُنادون رجالاً من أهل الـ نار ـــــ منعهم كبرياؤهم عن الإيمان، وغرّهم أموالهم وأولادهم، وأهل الأعراف يعرفونهم بعلامتهم ـ ما أغنى عنكم أنـ صاركم ولا كثرة جماعتكم، ولا اسـ تكباركم في الدنيا، والاسـ تفهام للتقريع والتوبيخ: والمعنى لـ قد كنتم تزعمون أنّ هؤلاء المؤمنين من الفقراء والعبـ يد ـ إشارة إلى ضعفاء أهل الجنة ـــــ لا ينالهم الله برحمته ولا يدخلون الجنة، حتى أقسمتم على كل ذلك، فأنتم الآن تذوقون العذاب، وهم في نعيم مقيم)[97]

فكما كان المـ ستكبرون يـ سخرون من فقراء المـ سلمين في الدنيا، فإنهم في الاخرة يواجهون بما يزيد ألمهم وحسرتهم، وهذا من العذاب المعنـ وي الأليم.

---

[96] سورة الأعراف الآيتان 48،49

[97] انظر: أضواء البيان 1/101 ، روح المعاني 8/125 بتصرف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصة القول:

. إن أسلوب ضرب الأمثلة من أقوى الوسائل إن لم يكن أقواها في إبراز الحقائق في صورة الشيء المحسوس، والقرآن الكريم أكثر من استعمال هذا الأسلوب وذلك لما له من مردود كبير في إيصـــال الدعوة إلى الله تعالى إلى الناس ، وإن وظيفة المثل القر ني ايضاح المبهم وتقريب الممثل له الى ذهن المخاطب والتقرير لاثبات أي حقيقة يريد أن يؤكدها القرآن الكريم عن طريق الاحتجاج والاقناع وعن طريق ايراد جوانب الحسن والقبح للمثل له .

. إن أســـلوب الترغيب والترهيب له أهمية كبيرة في دعوة الناس إلى الله تعالى. فامتلاء النفوس بالرغبة فيما عند الله تعالى من الخير والنعيم يجعلها تتجه إلى طاعة الله عز وجل وتبتعد عما يسخطه.

فأ سلوب الترغيب والترهيب يظهر فيه منهج العاطف بـ شكل جلي حيث يرتكز هذا المنهج الدعوي على القلب ويحرك الشعور والوجدان .

ومن هنا جعل الله تعالى من وظائف الر ـ ل تب شير الناس وإنذارهم والدعاة إلى دين الله هم ورثة الأنبياء فجدير بهم أن يكثروا من ا ستعمال أ سلوب الترغيب والترهيب شريطة أن لا يطغى الترغيب على الترهيب أو العكس.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث الدعوة إلى الله تعالى من خلال التذكير بنعم الله ولفت النظر إلى الآيات الكونية

أ سلوب التذكير بنعم الله ولفت النظر إلى الآيات الكونية جاء في القـ صص القرآني عن كثير من أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة والسلام.

فنوح عليه الســـلام بيّن لقومه النعم التي أنعم الله بها على عباده الأمر الذي يدفع إلى الإقرار بربوبيته وألوهيته قال تعالى (ما لكم ! ترجون لله وقاراً وقد خلقكم أطواراً ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقاً وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً[98]) .

قال الفخر الرازي: ؛ اعلم أنه لما أمر في هذه الآية: (ما لكم لا ترجون لله وقاراً) بتعظيم الله، استدل على التوحيد بوجوه من الدلائل:

[98] سورة نوح الآيات: 13 ــ 20

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأول: قوله: (وقد خلقكم أطواراً) أي: حالاً بعد حال. تراباً ثم نطفة ثم علـ ... الخ.

الثاني: قوله تعالى (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً وجعل القمر فيهنّ نوراً وجعل الشمس سراجاً) وهذه دلائل الآفاق بعد دلائل الأنفس.

الثالث: قوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً، وهذا رجوع إلى دلائل النفس.

الرابع: قوله تعالى: (والله جعل لكم الأرض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاج) [99] .

وهذا تنبيه على الدلائل الظاهرة الدالة على قدرة الله تعالى .

قال الإمام ابن كثير: (وكل هذا ينبههم به نوح عليه الـ سلام، على قدرة الله وعظمته في خلق الســـماوات والأرض، ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماويّة والأرضية فهو الخالق الرازق، جعل السماء بناءً والأرض مهاداً،

[99] سورة نوح آية: 9 ، وانظر تفسير الرازي 10/ 139 ــ 140

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأو سع على خلقه من رزقه، فهو الذي يجب أن يُعبد ويُوحدّ، ولا يـ شرك به أحد، لأنه لا نظير له ولا عديل ولا ندّ ولا كفء، ولا صـــاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مُشير بل هو العلي الكبير[200] .

وهود عليه السلام ذكّر قومه بالنعم التي أسبغها الله ـ يهم مما يوجب الشكر ما قاله تعالى على لـ سان هود عليه الـ سلام: (واتقوا الذي أمدَّكم بما تعلمون أمدّكم بأنعام وبنين وجنّاتٍ وعيون إنّي أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيم[201] .

ودعاهم هود عليه الســـلام إلى أن يذكروا هذه الآلاء لعلها تكون ســـبباً في فلاحهم قال تعالىمخبراً عمّا قاله هود لقومه: (أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على ر جل منكم لينذركم واذكروا إذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون[202] .

---

[200] تفسير ابن كثير ا /426

[201] سورالشعراء الآيات: 132 ــ 135

[202] سورة الأعراف آية: 69

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما جاء من التذكير بنعم الله تعالى في قصـــة صـــالح عليه الســـلام قوله(واذكروا إذ جعلكم خ فاء من بعد عاد وبوأكم في الأرض تتخذون من سهولها قصـــوراً وتنحتون من الج بال بيو تاً فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) [203] .

وفي مو ضع آخر يقول تعالى اخبارا ً عن صالح عليه السلام (أتُترَكون فيما ههنا آمنين في جناتٍ وعيون وزروعٍ ونخلٍ طلعُها هضـــيم وتنح ون من الجبال بيوتاً فارهين) [204] .

فهذا الأســـلوب الذي تراه من تذكير القوم بما غمرهم الله به من فضـــله، وعمهّم بإح سانه، وجعلهم أجلاء عظماء في شؤون الحياة وو سائل العمران، فيه تنبيه على أنه لا ينبغي لمن كرّمهم الله ذلك التكريم أن يلوثوا أنف سهم بالمعا صي، ويدنسوها بالجرائم، وهو أسلوب غاية في البيان وإلزام الحجة والبرهان، إذ يُشعر الإن سان المخاطب بعلو نف سه وكبر منزلته ثم يطالبه بحقوق هذه العزة وما تتطلبه تلك المنزلة،

---

[203] سورة الأعراف آية 74

[204] سورة الشعراء الآيات: 146 ــ 149

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويعرِّفه أن عصـــــيانه لخالقه ورب نعمته، امتهان ونزول عن المكان اللائق بها وتعريضـــــها لما يوردها موارد لهلاك العاجل والآجل، ولهذا قال صـــــالح عليه الســـــلام: (أتتركون فيما ها هنا آمنين) يحذرهم أن يظنوا أن يُتركوا في هذه النعم التي غمرهم الله بها آمنين على أنف سهم من حلول عذاب الله بهم الذي يبدّل نعيمهم شقاء وأمنهم خوفاً لمقابلتهم هذه النعم بالكفر دون الشكر عليه [205] .

وشعيب عليه السلام لم يُغفل تذكير قومه ــ وهو يدعوهم إلى الله تعالى ــ بواحدة من أ صول النعم الإلهيه عليهم، وهي نعمة الوجود من العدم، وأنه سبحانه وحده الذي وهبهم هذه النعمة كما وهبها من قبلهم من الأمم، قال الله تعالى مخبراً عن نبيه شعيب: (واتَّقوا الذي ـ لقكم والجبلّة الأولين) [206] .

---

[205] الشيخ محمد أحمد العدوي: دعوة الرسل ــ طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر عام 1354 هـ، ص34،28 ــ 35

[206] سورة الشعراء آية: 84 ، قال الراغب الأصفهاني ــ في تفسير الجبلة ــ (أي المجبولين على أحوالهم التي بنوا عليها وسبلهم التي قيّضوا لسلوكها) مفردات الراغب: 87

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومو سى عليه الـ سلام في دعوته فرعون لفت نظره إلى آيات الله في الكون ونعمه التي لا تُعد ولا تحصى، فإن ذلك أدل على المقصود أي إفحام الخصم بذكر دلائل التوحيد المبثوثة في الأنفس وفي الكون كله فقال: (الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى) [207] .

ولما كانت هذه الآيات البينات كافية في الهداية إلى الله عز وجل، والحمل على توحيده وعبادته، ختمها بقوله: (إنَّ في ذلك لآيات لأولي النهى). أي : العقول التي من شأنها أن تنهى صاحبها عن الغي، ومن عمي عن ذلك فلا عقل له أصلاً، لأن عقله لم ينفعه، وما لا ينفع في حكم العدم. والنُهى : جمع نُهية وإنما سـمّي العقل نهيةً إما لأنّه ينهى عن المحظور ، او لأن الأمور ينتهى بها إليه [208] .

---

[207] سورة طه الآيتان: 53 ــ 54

[208] قتبس من البقاعي ـــ نظم الدرر ـــ 2 /294 ـــ 298- ،سعيد حوى ـالأساس في التفسير ـ دار السلام للطباعةوالنشر الطبعة الأولى 405 ه ـ 985 م ـ 7 /3364

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد ذكَّر موسى قومه وهو يدعوهم بنعم الله تعالى في أكثر من موضع في القرآن الكريم ففي سورة إبراهيم عليه السلام يقول تعالى (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا أن أخرج قومك من الظلمات إلى النّور وذكِّرهم بأيّام الله إنَّ في ذلك لآيات لكل صبّار شكور وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم إذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلك بلاء من ربكم عظيم)[209] .

قال ابن كثير: (وذكرهم بأيّام الله): أي بأياديه ونعمه عليهم، في إخراجه، إياهم من أسر فرعون وقهره وظلمه وغشمه، وإنجائه إياهم من عدوهم، وفلقه لهم البحر، وتظليله إياهم الغمام، وإنزاله عليهم المنّ والسلوى، إلى غير ذلك من النعم)[210] .

---

[209] سورة إبراهيم آية : 5 ــ 6

[210] تفسير ابن كثير : 2/523

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك تذكيرهم بنعمة النبوة التي جعلها في عدد من بني إسرائيل، وسعة الرزق الذي صاروا به ملوكاً، حتى كانوا أغنى العالمين يومئذ: (وإذ قال مو سى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله ـ ليكم إذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكاً وآتاكم ما لم يؤت أحداً من العالمين).

وفي دعوة نبينا عليه الـ صلاة والـ سلام يظهر هذا الأ سلوب وا ضحاً في مواجهة قومه. قال تعالى: (خلق الـ سماوات والأرض بالحقّ تعالى عمّا يُ شركون، خلق الإن سان من نطفة فإذا هو خ صيم مبين، والأن ام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون، ولكم فيها جمال حين تُريحون وحين تســـرحون، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشـــقّ الأنفس إنّ ربّكم لرؤوف رحيم، والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون، وعلى الله قصد السبيل، ومنها جائر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو شاء لهداكم أجمعين، هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كلِّ الثمرات، إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون، وسـَخّر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إنّ في ذلك لآيات يعقلون، وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه ، إنَّ في ذلك لآية لقوم يذّكرون، وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون، وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً و سبلاً لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون، أفمن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون وإن تعُدّوا نعمة الله لا تحصوها إنّ الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون أموات غير أحياء وما يشعرون أيّان يبعثون[211] .

[211] سورة النحل الآيات: 3 ــ 21

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقر ن الكريم يقرر وحدانية الله تعالى عن طريق الا ستـ شهاد بهذه الآيات العظيـمة، والنعم الكثيرة. ثم تبين الآ يات (أفمن يخلق كمن لا يخلـ .) أي كيف يُ سوىَّ بين الخالق العظيم مـ صدر هذه النعم، ومـ صدر الوجود ـــــــ وبين هذه المخلوقات التي لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضراً. وعبّر الـ رآن عن الأوثان بـ ــ (من) لأنهم نحلوها العقل والتمييز[12]؛[169] فهذه الآيات فيها عدد من البراهين الدالّة على توحيد الله تعالى في ربوبيته المستلزمة توحيده في ألوهيته ووجه ذلك :

أولاً: إن الله تعالى عدّد كثيراً من دلائل التوحيد على الوجه الأكمل والترتيب الأحسن، ؛لم يبق شبهة في أنّ الخالق هو الله سبحانه، لما ثبت من تمام علمه وقدرته، وكمال حكمته، لجعله تلك الدلائل نعماً عامّة.

مع اتـضاح عجز كل ما يدعون من دونه ـــــــ قال تعالى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وهذه من أقوى الحجج على توحيد الله تعالى. وهذا تبكيت للكفرة وإبطال لعبـ دتهم.

---

[69]: ابن الجوزي ــ زاد المسير في علم التفسير ــ للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي ت (97 –08ه)ــ المكتب الإسلامي ــ الطبعة الثالثة 404|ه 984 م ــ 1 /437

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: قوله تعالى (أفلا تذكرون) ففي هذا الاستفهام إنكار انتفاء تذكرّهم بعد وضوح الحجج التي توجب الإقلاع عن الشـــرك، والاعتراف بحق الله تعالى من العبادة والإخلاص، والتي لا تحتاج منهم ــ لكي يعودوا إلى توحيد الله سبحانه إلا لشيء من التذكير فيتضح الأمر ويتجلى اليقين[1]

ثالثاً: قوله تعالى (وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها) فضلاً ن أن تشكروها، وأكثر النعم لا يعلمها الإ نسان، فالله تعالى ينبّهه إلى هذه النعم التي توجب عليه أن يعبد الله تعالى ويشكره ويُقر بوحدانيته تعالى.

ومن الآيات الدالة عن وحدانية الله تعالى في الخلق والإنعام، قوله تعالى:(قل الحمد لله و سلام على عباده الذين ا صطفى آلله خير أما يُ شركون أمّن خلق الـ سماوات والأرض وأنزل لكم من الســـماء ماءً فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شـــجرها أءله مع الله بل هم قوم يعدلون أمّن جعل الأرض قراراً وجـ عل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون، أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء

[1] انظر: تفسير الآلوسي 4 /11 . بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويجعلكم خلفاء الأرض أءله مع الله قليلاً ما تذكَّرون، أمّن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرســـل الرياح بشـــراً بين يدي رحمته، ءله مع الله تعالى الله عمّا يُشركون، أمّن يبدؤ الخلق ثم يعيده ومن يرزقكم من الـ سماء والأرض أءله مع الله قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين [213] .

أُمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: أن يتلو هذه الآيات الناطقة والبراهين الســـاطعة على وحدانية الله ســـبحانه، وقدرته، ـ ى كل شـــيء وحكمته البالغة. والموازنة بينه ســـبحانه وبين ما يشـــركون في قوله عز وجل. (آلله خير أَمّا يـ شركون) مع أنه لا خير فيما أ شركوه أ صلاً ـــــ إنما هي إلزام وتبكيت وتهكّم بحالهم وتسفيه آرائهم الركيكة لأنهم أشركوا ما لا يقدر على شيء من خير أو نفع بالله سبحانه، ذي بيده الخير والنفع، وله الـ سماوات والأرض، وما فيهن فعبدوها هوى وعبثاً فلذلك نُبّهوا على خطئهم المفرط، وجهلهم اللامتناهي وبُعدهم عن التمييز والمعقول [214])

---

[213] سورة النمل الآيات: 59 ــ 64

[214] انظر: تفسير الكشاف ، 154/ ، أبو السـ ود محمد بن محمد العمادي ـــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـــ دار إحياء التراث العربي ــ طبعة بلا ، 293/

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الرابع

منهج القصة في بناء الشخصية الإسلامية

تمهيد :

يعرف بعض العلماء المنهج بأنه طريقة البحث عن الحقيقة في علم من العلوم او في أي نطاق من نطاقات المعرفة الانسانية [*] والشخصية عموماً انها (جملة من الصفات الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية والخلقية التي تميز الشخص عن غيره تمييزاً واضحاً [**] ومنهج القرآن في رسم الشخصية يختلف عن طريقة كتاب القصص لان الهدف يختلف فهدف القرآن في قصصه هو التأسي والاقتداء بالشخصية الخيرة والتنفير من الشخصية الشريرة فالقرآن الكريم يكشف عن مزاج الشخصية وانفعالاتها وسلوكها لان هذا البعد النفسي الداخلي للشخصية وهو حقيقة الانسان وجوهره [***]

---

[*] علي سامي النشار - الاسلام والعلم التجريبي ص120 -121 .

[**] انظر : بحوث المؤتمر التربوي في عمان تحرير مقرر المؤتمر د.فتحي حسن ملكاوي ؛ /232 .

[***] انظر : التهامي نفره - سيكولوجية القصة في القرآن الكريم ص 360 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن القصة القرآنية تجعل الداعية متحمساً لدعوته، واثقاً من النصر والنجاح في نهاية الأمر. قال تعالى: (وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ(171)إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ(172)وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ) [15].

لقد استقرت هذه العقيدة في نفوس الدعاة الى الله تعالى من خلال ما قصه الله سبحانه في كتابه العزيز ألا وهي أن كل دعوة لله يخلص فيها أتباعها فهي غالبة منصورة بالرغم من كل العقبات والصعاب التي توضع في طريقها.

وذلك كله يتضح بما أفاضه القصص القرآني من طمأنينة على نفس النبي صلى الله عليه وسلم مكّنته من مواصلة دعوته بعد أن كاد اليأس يجد سبيله إلى نفسه.

وقد أوضحت القصة القرآنية له أخبار السابقين مبينّة ما كان من الأمم، حيث كذبوا الرسل واتهموهم في عقولهم وألحقوا الأذى بهم.

لكن الرسل عليهم الصلاة والسلام ثبتوا وانتصروا، وبذلك تُطمئن قصتهم نفس الداعية وتُثبّت فؤاده.

---

[15] سورة الصافات: الآيات 171 – 173

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصة القول:

فالقصة القرآنية تمدّ الداعية بمجموعة من المعاني والقيم فهو من قصة آدم يحب التزام طريق الله وطاعته، والتوبة من المعصية، ويحذر من إبليس وغوايته، ومن قصة نوح وهود يحب الهدى والنفع والطاعة ويكره الجدل والمراء والغرور، ومن قصة شعيب زن بالقسط ويبتعد عن التطفيف في الميزان، ومن قصة لوط ويوسف يتمسك بالطهر والعفة والأخلاق الفاضلة، ومن قصة إبراهيم تتبيّن له أدلة التوحيد وبطلان الشرك والشركاء، ومن قصة أيوب وإسماعيل وغيرهما يتعلم دروس الصبر، ومن قصة فرعون يكره الظلم والجبروت ومن قصة موسى يتعلم دروس العلم والتواضع والأدب في طلبه، إلى غير ذلك من القيم والمعاني الكثيرة المبثوثة في ثنايا القصص القرآني.

وسيكون الحديث في هذا الفصل عن : منهج القصة القرآنية في الدعوة إلى بناء العقيدة ، والدعوة إلى بناء الأخلاق ، والدعوة إلى بناء السلوك .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأ ل منهج القصة في الدعوة إلى بناء العقيدة

إن القرآن الكريم الذي يتضمن المنهج الربّاني لإصلاح البشرية قد خصصّ حيزاً واســـعاً للحديث عن العقيدة حيث أعطاها القرآن الأولوية العظمى لأن هذا وحده هو السبيل الحقيقي لإصلاح الأمم.

فالعقيدة بمعناها المطلق تعني الإيمان بوجود الخالق، والناس يعرفون أن هناك إلهاً لهذا الكون (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ)[216] .

فالإنسان بفطرته لا يستطيع أن ينكر هذه الحقيقة، فهذه السماوات والأرض لا يدعى أحد أنه خلقها أو شارك في خلقها، ولم ن شأ مصادفة، ولا يمكن أن تكون بهذا التنظيم والتنسيق بلا مدبّر لها.

لقد نزلت الكتب الـ سماوية وأر سل الر سل عليهم الـ صلاة والـ سلام ليعلّموا الناس العقيدة الـ صحيحة. ليقولوا لهم: قولوا لا إله إلا الله، اعبدوا الله ما لكم من إله غيره.

---

[216] سورة لقمان آية 25 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فليست مشكلة البشرية من أول ا اريخ إلى آخره ــ أنهم لا يعرفون وجود الله ولا يعبدونه بصورة من الصور، إنما مشكلتهم أنهم لا يعرفونه المعرفة الحق، ومن ثم لا يعبدونه كما تنبغي له العبادة سبحانه وتعالى.

فالإيمان بالله تعالى، والإيمان باليوم الآخر، والإيمان بالكتب والرســـل والوحي، هي مو ضوعات ذ اولتها القـ صة القرآنية وكلها مرتبطة بالعقيدة. إلا أنّ قـ ضية الألوهية هي المو ضوع الرئيـ سي في العقيدة ولا سيمّا في قـ صص القرآن المكي [17] .

وسنلاحظ ذلك واضحاً خلال ر ضنا لجوانب من قصص الأنبياء الكرام:

أ ــ نوح عليه السلام يدعو قومه إلى توحيد الله وعبادته :

إن دعوة نوح عليه السلام ــ وهي دعوة أول رسول ــ كانت قائمة على أساس التحذير من الشرك بالله تعالى، قال تعالى (كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ(105)إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَ لَا تَتَّقُونَ(106)إِنِّي لَكُمْ رَســـُولٌ أَمِينٌ(107) فَاتَّقُوا الـ لَّهَ وَأَطِـ عُونِ(108)وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ [18] .

[17] انظر: محمد قطب ــ دراسات قرآنية ص26

[18] سورة الشعراء ــ الآيات: 105 ــ 109

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقوم نوح لم يكذبوا إلا نوحاً، ولكن سبحانه يذكر أنهم كذبوا المرسلين، فالرسالة في أصلها واحدة، وهي دعوة إلى توحيد الله، وإخلاص العبودية له، فمن كذب بها كذب بالمرسلين أجمعين، والقرآن يؤكد هذا المعنى ويقرره في مواضع كثيرة، ومتعددة، لأن القرآن أصل العقيدة الإسلامية، التي تُحتضنُ بها الدعوات جميعاً، وتنقسم البشرية كلها إلى صفين: صف المؤمنين وصف الكافرين، على مدار الرسالات ومدار القرون، وينظر المسلم، فإذا الأمة المؤمنة لكل دين وكل عقيدة من عند الله هي أمته، منذ فجر التاريخ إلى مشرق الإسلام دين التوحيد الأخير، وإذا الصف الآخر هم الكفار في كل ملة وفي كل دين، وإذا بالمؤمن يؤمن بالرسل جميعاً ويحترم الرسل جميعاً، لأنهم جميعهم حملة رسالة واحدة هي رسالة التوحيد [119].

وكان قوم نوح قد وقعوا في ضلال الشرك حيث اتخذوا أصناماً فعبدوها من دون الله تعالى قال عزّ وجلّ: (وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا) [120].

---

[119] سيد قطب ــ في ظلال القرآن 9 /2607 بتصرف

[120] سورة نوح آية: 23.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر ابن كثير في تف سيره أن ودّاً و سواعاً و غوث ويعوق وذ سراً أ سماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يج سون فيها أنصاباً وسمَّوها بأسمائهم ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عبدت [121] .

ويذكر الله تعالى وفي موضع آخر أيضاً ـــــ عن نوح عليه السلام أنه دعا قومه إلى إفراد الله تعالى بالعبادة، وأن لا يعبدوا معه أحداً قال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ(25)أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ) [122] .

[121] ابن كثير ــ أبو الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ت(774) تفسير القرآن العظيم ــ الطبعة الأولى ــ 1408 هـ ــ 988) مكتبة المنار ــ الزرقاء ــ عمان ا /427

[122] سورة هود الآيتان 25 ، 26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال أهل التف سير و صف اليوم بأليم من الإ سناد المجازي لوقوع الألم فيه، واليوم ليس أليماً. إنما هو مؤلم، والألم اسم مفعول أصله: مألوم: إنما هم المألومون في ذلك اليوم، ولكن التعبير يختار هذه الصيغة هنا، لتصوير اليوم ذاته بأنه مّحملٌ بالألم، شاعر به، فما بال من فيه[123] .

وما ذكره الله تعالى عن نوح عليه السلام من قوله لقومه (اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ)[124] ذكر نظيره عن ر سله: هود، و صالح، و شعيب عليهم السلام، وهذا التوافق في الصيغة والمقاربة في التعبير عن المع ى الرئيسي مق صوده وحدة الر سالة ووحدة العقيدة، والمنهج الذي ساروا عليه في الدعوة إلى الله وتوحيده تعالى. وفي النهي عن عبادة غير الله تعالى.

[123] انظر: النسفي ــ الإمام أبو البركات عبد الله بن حمد النسفي ت (01' هـ) تفسير النسفي ــ المسمى (مدارك التنزيل وحقائق التأويل ـــــ طبعة بلا، دار الفكر للطباعة والنشر ! /85 ، الألو سي ـــــ روح المعاني 2 /36 سيد قطب، في ظلال القرآن 2 /1871.

[124] سورة الأعراف الآية 65

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب ــ هود عليه السلام يدعو قومه إلى توحيد الله وعبادته:

التحذير من عبادة غير الله تعالى، والأمر بإفراده بالعبادة جاء يضـــاً في دعوة هود عليه السلام في ما أخبر الله سبحانه عنه بقوله: (وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتْ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَومٍ عَظِيمٍ) [125] .

ذكر الله تعالى هوداً عليه السلام وهو من الرسل الكرام، الذين فضلهم الله تعالى بالدعوة إلى دينه، وإرشاد الخلق إليه حيث أنذر قومه وهم عاد قائلاً لهم (أن لا تعبدوا إلا الله) فأمرهم بعبادة الله، الجامعة لكل قول سديد، وعمل حميد، ونهاهم عن الشرك وخوفهم ـــــ إن لم يطيعوه ـــــ العذاب الشديد فلم تفد فيهم تلك الدعوة [126] .

وفي موضع آخر أيضاً يقول تعالى عن دعوة هود عليه السلام: (وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) [127] .

---

[125] سورة الأحقاف: آية: 21

[126] انظر ــ ابن ناصر سعدي ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ، 15/ بتصرف.

[127] سورة الأعراف آية: 65

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال صاحب تفسير المنار: أي أفلا تتقون ما يسخطه من الشرك والمعاصي لتنجوا من عقابه؟ فالاستفهام هنا للإنكار [128] .

إن الدافع لـ ضلال قوم هود هو الا ستكبار في الأرض قال تعالى: (فَأَمَّا عَادٌ فَا ستَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَ شَدُّ مِنَّا قُوَّ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ [129]) .

اغتر القوم بقوتهم، فاســـتكبروا، واعتقدوا أنهم يمتنعون بقوتهم من بأس الله تعالى حين تهدّدهم هود بالعذاب، وقالوا نحن نقدر ـ ى دفع العذاب ـ ن أنفســـنا بفضل قوتنا، فقد أضافوا إلى جحودهم بآيات الله وكفرهم برسله، جريمة الاستكبار في الأرض، والقهر لعباد الله من حولهم.

---

[128] انظر محمد رشيد رضا تفسير القرآن الحكيم ــ الشهير بتفسير المنار ــ دار الفكر ــ الطبعة الثانية ــ 988 م ــ 8/496

[129] سورة فصلت آية: 15

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وردّ الله عليهم: (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَـــدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ، حيث كفروا بالمعجزات التي أيّد الله بها رسـلـ [230] . و و نظروا إلى الأمور نظرة صحيحة لم يغتروا بقوتهم، ولقد عاقبهم الله تعالى عقوبة تنا سب قوتهم التي اغتروا بها.

ج ــ إبراهيم عليه السلام يدعو قومه إلى توحيد الله وعبادته:

ومما ورد في قصة إبراهيم عليه السلام، ما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله (وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ(16)إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [231] .

---

[230] انظر: القرطبي ــ الجامع لأحكام القرآن ــ 5 /347

[231] سورة العنكبوت الآيتان: 16 ــ 17

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

دعاهم إبراهيم عليه الـ سلام إلى عبادة الله تعالى حتى يتقوا بذلك عذابه، لقد دعاهم دعوة لا غموض فيها ولا تعقيد، وهي مرتبة في عرضها ترتيباً دقيقاً يحسن أن يتأمّله أصـــــحاب الدعوات، وبعد دعوتهم إلى عبادة الله تعالى ثنىّ بتحبيب هذه الحقيقة إليهم، وما تتـ ضمنه من الخير لهم، لو كانوا يعلمون أين يكون الخير (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) وفي هذا التعقيب ما يـ فزهم إلى نفي الجـ هل عنهم، واختـ يار الخير لأنفســـهم وهو في الوـ قت ذاـ ته حقيـ قة عميـ قة لا مجرد تهييج خطابي [32] .

وفي الخطوة الثالثة بين لهم فســـاد ما هم عليه من العقيدة من عدة وجوه: أولها أنهم يعبدون من دون الله أوثاناً وهي عبادة سخيفة، وبخاصة إذا كانوا يعدلون بها عن عـ ادة ا ... وثانيها: أنهم بهذه العبادة لا يستندون إلى برهان أو دليل، وإنما يخلقون إفكاً ويُنـ شئون باطلاً، ويخلقونه خلقاً بلا سابقة أو مقدمة، ويـ نشئونه إـ ن شاءً من عند أنفـ سهم بلا أـ صل ولا قاعدة ، ثالثها: إن هذه الأوثان لا تقدم لهم نفعاً ولا ترزقهم شيئاً.

[32] سيد قطب في ظلال القرآن ، 2728/

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا أخذهم خطوة خطوة، وهذه الخطوات تُعدّ نموذجاً لطريقة الدعوة جديراً أن يتملاّها أصحاب كل دعوة، لينسجوا على منوالها في مخاطبة النفوس والقلوب [133].

كان توحيد إبراهيم عليه السلام إيماناً بإله يعلو على ملوك الأرض ونجوم السماء ويتساوى عنده الخلق جميعاً، إن هذا التوحيد قد رفع مكانة الإنسان في ميزان الخليقة فليس في الكون إلا خالق ومخلوق، وهو أشرف مخلوق عند الله [134].

د. موسى عليه السلام يدعو قومه إلى توحيد الله وعبادته:

وفي قصة موسى عليه السلام أخبر الله سبحانه وتعالى عنه مقالته لبني إسرائيل بعد أن ذهب لميقات ربه وعاد إليهم وقد أضلهم السامريّ، بما اتخذ لهم من عجل عكفوا على عبادته في قوله تعالى: (وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا(97) إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا) [135].

---

[133] المرجع السابق ج2/ 2728 ــ 2729

[134] انظر: عباس محمود العقاد ــ إبراهيم أبو الأنبياء ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت ص309 بتصرف.

[135] سورة طه الآيتان: 97 ــ 98.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بعد أن وقع بنو إسرائيل في الشرك، بعبادتهم العجل، عمد نبيّ الله موسى عليه السلام إلى العجل فأحرقه وهو دليل حسي على ضلال من يعبد الجماد الذي لا يملك لنفسه شيئاً من ضر أو نفع فها هو يُحرق ويُلقى رماده في البحر، دون أن يدافع عن نفسه، فكيف يملك ضراً أو نفعاً لمن يعبده، أليس من سفاهة العقول وحقارتها وتفاهتها أن تعكف على عباده مثل هذا الجماد العاجز؟ ثم بين موسى عليه السلام لبني إسرائيل أن الإله الذي يستحق العبادة هو الله تعالى: (إِنَّمَا إِلَهُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا). فلا تنبغي العبادة إلا له فإن كل شيء فقير إليه [236].

هـ ــ دعوة الرجل المؤمن (في سورة يس) إلى توحيد الله وعبادته:

وجاءت الدعوة إلى الله وحده، والتحذير من عبادة غير الله سبحانه وتعالى على لسان الرجل الصالح أخبر الله تعالى عنه ذلك في القصص القرآني قال تعالى: (أأتخذ من دونه آلهةً إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُونِ(23)إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [237] .

---

[236] انظر: تفسير ابن كثير 4/160

[237] سورة يس الآيتان: 23 -24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كأنه قال: ما الذي منعكم من عبادة الله سبحانه، وهو الذي أنعم ؛ ليكم بنعمة الوجود بدليل قوله: (وإليه تُرجعون) وقد قدّم انتفاء المانع ؛ مالي لا أعبد) والمعنى لا شيء يمنع من عبادته سبحانه، ثم ذكر المقتضي لعبادة الله تعالى: (الذي فطرني) وصرف الكلام إلى نفسه ابتداءً أدعى للقبول، ثم في قوله (وإليه تُر ـ عون) بتوجيه الخطاب ليهم تهديد لهم بما يصيبهم عند رجوعهم إلى الله سبحانه، إذا استمروا على حالهم من الشرك بعدما ظهرت لهم دلائل التوحيد ورأوا نعم الله عليهم سابغة وبذلك يكون قد أوضح لهم المبدأ والمعاد، وهما من أقوى الحجج الحاملة على توحيد الله سبحانه ونبذ ما يُعبد من دونه. ثم نكر عليهم اتخاذ آلهة من دون الله سبحانه، إنكاراً يحمل في طيّه الحكم ببطلانها "أءتخذ من دونه آلهة، فالاستفهام للإنكار، وهم المعنيّون به، والآلهة المتخذة باطلة، لأنها من اتخاذ العبد، وصنعه وزوره وبهتانه وكلها من دون الله سبحانه، فهي في الدون منزلة، وعجزاً وض عفاً، والإله الحق، هو واجب الوجود، وله الكمال المطلق، وهو المنزّه عن كل نقص وعيب سبحانه،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودليل ذلك عجزها عن جلب النفع ودفع الضر:(إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنقِذُون) وما دام الأمر كذلك فإن من يعبد ما في غاية الضلال "إِنِّي إِذًا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ [38] .

و ــ البعث والجزاء في القصص القرآني:

ومن عناصر العقيدة التي عالجها القصص القرآني الإيمان بالبعث والجزاء وقدرة الله تعالى على إحياء الموتى، وقد ورد في هذا الشأن قصص كثيرة منها:

. ما ذكره الله تعالى عن الألوف من بني إسرائيل الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت فأماتهم الله ثم أحياهم (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمْ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ [39]) .

---

[38] انظر: الخطيب الشربيني ــ محمد بن محمد الشربيني، شمس الدين ت(977 هـ) تفسير القرآن، المسمى (بالسراج المنير) ــ دار المعرفة للطباعة والنشر ــ بيروت، لبنان ــ الطبعة الثانية 1/344 ــ 345 بتصرف .

[39] سورة البقرة آية: 243 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عن ابن عباس قال: كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا نأتي أرضـــاً ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضـــع كذا وكذا، قال لهم الله موتوا فماتوا فمرّ عليهم نبيّ من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم حـ ى يعبدوه فأحياهم [240] ، وكان في إحيائهم عبرة ودليل قاطع على وقوع المعاد الجسماني يوم القيامة [241] .

! . وفي قـ صة الرجل الذي مرّ على قرية خربة، فا ستبعد عودتها إلى الحياة، فأراه الله برهان قدرته على البعث في نفســـه، قال تعالى: (أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشـــِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشـــرَابِكَ لَمْ يَتَســـَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنـ شِزُهَا ثُمَّ نَكْـ سُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) [242] .

---

[240] انظر ــ د. محمد الأشقر زبدة التفسير ص0، تفسير ابن كثير 282/

[241] تفسير ابن كثير 282/

[242] سورة البقرة آية: 259

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذه الآية اشتمت على برهان واضح الدلالة على قدرة الله سبحانه وتعالى، وأن الله تعالى كما أعاد الحياة إلى هذا المارّ ـــــ بعد أن أماته مائة سنة فإنه قادر على البعث، وقد جعل الله تعالى سبحانه ما حصل لهذا المارّ من الإحياء بعد الإماتة آية للناس. وفي هذه القصة براهين ربانية في وضوح الحياة والموت والبعث وهي تدل على قدرة الله تعالى المطلقة، ومن هذه البراهين: أن الله تعالى أماته مائة عام ثم بعثه حيث ضرب الله مثلاً له من نفسه بعد أن تساءل ذلك الرجل (أنىّ يحيي هذه الله بعد موتها) والله تعالى الذي أحياه بعد أن أماته قادر على إحياء هذه القرية. والبرهان الثاني الدال على البعث والنشور: موت حماره وبقاء عظامه، هيكلاً عظمياً: (وانظر إلى حمارك، ولنجعلك آية للناس) ثم بعث الله تعالى ذلك الحمار بطريقة عجيبة رآها الرجل أمام عينيه. (وانظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً) أي نرفع بعضها إلى بعض ثم نسترها به كما ستر الجسد باللباس [243] . فهذا الرجل الذي أماته الله تعالى كان موته خاصاً ليريه آيات عملية من نفسه وطعامه وحماره ويُري الآخرين آيات من قصته [244] .

---

[243] انظر: تفسير الألوسي 1/23 بتصرف

[244] انظر: د. صلاح الخالدي ـ مع قصص السابقين الطبعة الثانية 51416 ـ 996 م دار القلم دمشق ص70

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ا . وفي قصة القتيل من بني إسرائيل الذي لم يعرف قاتله، حتى اختلفوا لأجل ذلك واختصموا، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليكون سبباً لإحياء الله سبحانه له، فلما فعلوا أحياه الله تعالى، وأخبر عن قاتله، وفي ذلك يقول تعالى: (وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ(72)فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)[45] .

فذبح البقرة كان وسيلة لإقامة الدليل العملي على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى ليزداد المؤمنون إيماناً ويزول الشك من قلوب غيرهم فيتحوّلوا إلى الإيمان، ثم قال تعالى: (كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى) أي أن إحياء قتيل بني إسرائيل دليل على بعث الناس بعد الموت، لأنَّ من أحيا نفساً واحدة بعد موتها قادر على إحياء جميع النفوس وقد صرح الله عز وجل بهذا في قوله تعالى: (مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ)[46] .

---

[45] سورة البقرة آية: 2 –73

[46] سورة لقمان آية: 8، وانظر: محمد الأمين بن محمد المختار الحكمي الشنقيطي ــ أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ــ طبعة بلا عالم الكتب ــ بيروت /79

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ا . ومن الأدلة العملية على البعث وعلى قدرة الله تعالى على إحياء الموتى: ق صة إبراهيم عليه الســـلام في ســـورة البقرة حيث قال تعالى: ..فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصـــُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ ســـَ ..)

247 .

جاءت هذه الآية الكريمة م سبوقة بمحاجةّ الملك الذي كان في زمن إبراهيم عليه الـسلام إذ حاجّه في الله عز وجل، محاجة تدل على جحوده، وادعائه الربوبية لنف سه، إلا أنه عجز عن دفع الحق بالباطل، وبهت وتحيّر لما سمع حجة إبراهيم عليه الـ سلام، وذ صاعة برهانه الذي ساقه دليلاً على ربوبية الواحد القهار، الذي بيده ملكوت كل شـــيء، وظهر بذلك عجز ذلك الملك وســـقوط حجته، وبطلان ما ادعاه لنفســـــه من الربوبية، والذي يظهر أن الملك لما ادّعى القدرة على إحياء الموتى، وأبرز صورتها في العفو عن محكوم عليه بالقتل، وقتل آخر بريء ــ

247 سورة البقرة آية: 260

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما قيل [248] بدعوى أن هذه هي طريق الإحياء والإماتة، وهو أمر يتنافى مع ما يدعو إليه رسـل الله من الإيمان بالبعث، الذي يعني إعادة الحياة إلى الناس بعد موتهم، وكان فيما فعله الملك فتنة لأتباعه ، وهذا ليس بمعارضـة لإبراهيم عليه السـلام بل هو كلام خارج عن مقام المناظرة، ليس بمنع ولا بمعارضـة، بل هو تشـغيب محض، وهو انقطاع في الحقيقة، ولما كان انقطاع مناظرة هذا الملك قد تخفى على كثير من الناس ممّن حضره وغيرهم، ذكر له إبراهيم عليه السلام دليلاً آخر يُبيّن وجود الصانع، وبطلان ما ادعاه ذلك الملك نفسه من القدرة على إحياء الموتى قال له إبراهيم عليه السلام: (فإنّ الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب).

[248] انظر: تفسير ابن كثير 6298/ البغوي ـ الحسن بن مسعود بن محمد الفراء البغوي ت(516 هـ ـ) تفسير البغوي المسمّى معالم التنزيل ـ إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن العك ـ مروان سوار ـ الطبعة الثالثة 1413 هـ ـ 1992 م ـ دار المعرفة لبنان 247/ الخازن ـ علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ـ ت(25 ') لباب لتأويل في معاني التنزيل المعروف بتفسير الخازن طبعة بلا ـ دار الفكر ـ 83/ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي هذه الشمس مسخرّة كل يوم، تطلع من المشرق كما سخّرها خالقها فإن كنت كما زعمت تحيي وتميت فأت بهذه الـ شمس من المغرب فإن لم تفعل فلـ ست كما زعمت ، فبيّن ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان ما سلكه وتبجح به عند جهلة قومه، ولم يبق له كلام يجيب به الخليل به (فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)[249] .

ومن جهة أخرى أيضاً: ينال إبراهيم عليه السلام ما أراده من الوصول إلى رقى درجات الإيمان، وهي الطمأنينة، فقلبه مطمئن بالإيمان ولكنه يحب أن يرى عملية الإحياء بطريقة عملية واقعية، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنْ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)[250] .

---

[249] انظر: أبو الفداء إسماعيل بن كثير ت(774 هـ) قصص الأنبياء ـ الطبعة الأولى ـ دار الفكر للطباعة والنشر ص168 ـ 69 ، والآية: 258 من سورة البقرة.

[250] سورة البقرة آية: 260 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فصـــارت هذه الآية، من أكبر البراهين على كمال عزة الله وحكمته، وفيه نبيه على أن البعث فيه يظهر للعباد كمال عزة الله تعالى وحكمته وعظمته و سعة سلطانه، وتمام عدله وفضلا [151] .

و سؤال إبراهيم عليه الـ سلام ربه عن كيفية إحياء الموتى، وقوله بعد ذلك (ولكن ليطمئن قلبي، ليس من باب الشـــك فقد نقل القرطبي في تفســـيره عن ابن عطية في توجيه حديث النبي صلى الله عليه و سلم وهو قوله: (نحن أحق بالـ شكّ من إبراهيم، قال رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن) [152] .

قال ابن عطية: وأما قول النبي صلى الله عليه و سلم "نحن أحق بالـ شك من إبراهيم" فمعناه، أنه لو كان شـــاكاً لكنّا نحن أحق بالشـــك منه، ونحن لا نشـــك، فإبر هيم عليه الســـلام أحرى أن لا يشـــك، فالحديث مبني على نفي الشـــك عن إبراهيم [153] .

---

[151] انظر : عبد الرحمن ناصر السعدي ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان /209 بتصرف

[152] انظر: ابن كثير قصص الأنبياء ــ ص168 ــ 169 أخرجه البخاري كتاب الأنبياء باب قوله عز وجل (ونبئهم عن ضيف ابراهيم إذ دخلوا عليه) 1/405 ، وأخرجه مسلم ــ كتاب الإيمان باب زيا ة طمأنينة القلب بتظاهر الأدلة /133

[153] انظر: القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ــ تحقيق عبد السلام عبد الشافي ــ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى 1413 هـ ــ 993 م ــ 4 /353

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال القرطبي ـــــ بعد نقله كلام ابن عطية: قلت: هذا الذي ذكره ابن عطية وهو بالغ، أي بالغ الأهمية ـــ ولا يجوز على الأنبياء صلوات الله عليهم، مثل هذا الشـــك فإنه كفر، والأنبياء متفقون على الإيمان بالبعث، وقد أخبر الله تعالى أن أنبياءه وأولياءه ليس للشيطان عليهم سبيل

فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[254] وقال تعالى مخبراً عن إبليس: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾[255] . وإذا لم يكن له عليهم ســـلطان فكيف يشكك هم[256] .

---

[254] سورة الحجر آية: 42

[255] سورة الحجر آية: 40

[256] انظر: تفسير القرطبي 1/298 ـــ 299 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصة القول في هذا المبحث

أن القـ صة القرآنية لها دور كبير في شرح العقيدة وتر سيخها في النفوس بأســـلوب يؤثر في قلوب الناس ووجدانهم ، فالثبات على العقيدة والتمســـك بها وعدم التنازل عنها حثت عليه القصـــة القرآنية من خلال ا ستعرا ضـها لقـ صص الأنبياء والمر سلين ـ يهم صلوات الله و سلامه ، فالعقيدة تمثل قاعدة الإيمان لأن الإيمان عقيدة تستقر

في القلب وينطق بها اللســـان وتظهر على الجوارح وهذا المعنى للإيمان هو رأي جمهور العلماء وتشهد له نصوص الكتاب والسنة .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني الدعوة إلى بناء الأخلاق

تبين القصة القرآنية أن دعوة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام دعوة إلى الخير وحسن المعاملة، وإصلاح العمل، وتقويم النفوس وتهذيب الأخلاق، وتتناول القصة القرآنية كثيراً من القيم الأخلاقية التي يهدف القرآن الكريم من خلال القصة القرآنية إلى تعميق الإيمان بها في القلوب وظهور آثارها في حياة الأمم والمجتمعات. ومن هذه القيم الأخلاقية التي دعت إليها القصة القرآنية.

أولاً ــ العدل:

العدل في القرآن يُبذل للعدو كما يبذل للصديق قال تعالى (وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ)[257]

[257] سورة المائدة آية: 8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد بيّن القرآن الكريم هذا الموضوع بياناً شافياً وذلك من خلال القصة القرآنية ففي قصة داود علاج لميزان العدل: (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ(21)إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ(22)إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ(23)قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ(24)فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ(25)يَادَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ[58؛11] .

[11] سورة ص الآيات:21 ــ 26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و ملخص الفتنة التي امتحن الله بها نبيه داود عليه الـ سلام: أن شخ صين تـ سوّرا على داود المحراب ففزع منـ ما، فبادرا يطمئنانه وقالا: لا تخف خـ صمان بغى بعضنا على بعض وجئنا للتقاض أمامك. والقضية كما عرضها أحد الخصمين تحمل ظلماً صارخاً مثيراً لا يحتمل التأويل، ولهذا اندفع داود عليه الـ سلام يقـ ضي على إثر سماعه لهذه المظلمة الـ صارخة، ولم يوجه إلى الخـ صم الآخر حديثاً، و مـ يـ سأله عمّا يقول ردّاً على ادعاء خـ صمه، وهكذا أ صدر حكمه قائلاً: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ﴾ [59] .

ويبدو أنه عند هذه المرحلة اختفى عنه الخصمان ـــــ اللذان جاءا لامتحان النبي الملك الذي ولاّه الله أمر الناس ليقـ ضي بينهم بالحق والعدل ويتبـ ن الحق قبل إ صدار الحكم، وقد اختارا أن يعر ضا عليه القـ ضية في صورة صارخة مثير ... ولكن القا ضي عليه ألا يُـ ستثار وعليه ألا يتعجل، وعليه ألا يأخذ بظاهر قول واحد قبل أن يمنح الآخر فرصـــة الإدلاء بقوله وحجته فقد يتغير وجه المســـألة كلها أو بعضـــه وينكشـــف أن ذلك الظا ر كان غير صـــحيح، عند هذا تنبّه داود إلى أنه الابتلاء كله :

[59] تفسير الظلال ، /3018

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(وَظَنَّ دَاوُودُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ) وهنا أدركته طبيعت ... إنه أوّا ... (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) [60] ومعنى (خر راكعاً) أي خرّ ساجداً وقد يُعبر عن السجود بالركوع (وأناب) أي تاب من خطيئته ورجع إلى الله [61] . وخطيئته هي ا ستعجاله في إصدار الحكم قبل أن يسمع حجة الخصم الآخر.

قال الإمام الزمخ شري عند قوله تعالى (وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَ صْمِ إِذْ تَ سَوَّرُوا الْمِحْرَابَ(21)إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُو .) إلخ هذه الآية: (ظاهرة الاستفهام ومعناه الدلالة على أنه من الأنباء العجيبة التي تـ شيع ولا تخفى على أحد والتـ شويق إلى استماعه) [62] .

---

[60] المرجع السابق 6/ 3018

[61] تفسير القرطبي 5 /182

[62] الزمخشري ــ الكشاف 1/ 82

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقصة تعالج ميزان العدل وعدم التسرع في إصدار الحكم، والسماع من الخصمين كليهما وعدم الاكتفاء بسماع كلام طرف واحد دون سماع كلام الطرف أو الخصم الآخر، والرجوع إلى الحق والاستغفار من الخطيئة.

وأكدت القصة على أن المقياس الحقيقي للحكم العادل هو إدراك الحق. وألا يكون للهوى سلطان في الحكم، ولابد لمن يقضي بالأحكام أن يكون عالماً مؤمناً مدركاً للحق بعيداً عن الهوى.

ب: وفي قصة سليمان عليه السلام مع رعيته نموذج للعدل وقد ظهر هذا السلوك جليّاً عندما تفقد سليمان الطير قال تعالى: (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ(20)لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ)[263] . والمعنى: (هل أخطأه بصري من الطير فلم أره مع حضوره لو ساتر ستره عنيّ، أم غائب فلم يحضر؟)[264] .

---

[263] سورة النمل الآيتان: 20 – 21

[264] تفسير ابن كثير 1/348

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد هدّد سليمان عليه السلام بإنزال العذاب بالهدهد فقال: (لأعذّبنه عذاباً شديداً أو لأذبحنّه) ، ولكنه استدرك فقال: (أو ليأتنّي بسلطان مبين) أي: أن الهدهد لا يُرفع عنه العذاب والمساءلة عن تغيّبه بدون إذني، إلا إذا جاء بعذر واضح مقبول عن تغيبّه، فقد تكون للهدهد حجة وعذر، فلا يجوز لسليمان وهو نبيٌّ قبل أن يكون ملكاً أن يصدر حكماً نهائياً على الهدهد قبل أن يستمع إلى حجّته وعذره، إن كان له عذرٌ أو حجة[65] .

وخلاصة القول إن سياسة سليمان في رعيته كانت تقوم على العدل والحزم والاهتمام البالغ بشؤونهم حيث لم يخف عليه غياب الهدهد وقد أعلن العزم على عقاب الهدهد لغيابه دون إذنه ولكنه أوقف الحكم لحين ظهور العذر المقبول والحجة الدالة على صدقه. وهذا من العدل الذي ينبغي للدعاة أن يتعلّموه ويعلّموه غيرهم.

جـ. ومن السياسة العادلة في القصة القرآنية ما أخبر الله تعالى عنه في سيرة ذي القرنين التي كانت قائمة على أساس العدل بين الناس

[65] في ظلال القرآن 5/2638 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتفريق بين المسيء والمحسن، وبين الظالم والعادل. قال تعالى مخبراً عن ذلك: (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نُكْرًا(37)وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا) [66] . فالظالم ينبغي أن يأخذ ما يستحقه من العقاب والمساءلة، والمحسن ينبغي أن ينال ما يستحقه من إحسان وتقدير.

ثانياً ــ شكر الله تعالى على نعمه والتحذير من كفرانها:

من القيم الأخلاقية التي عالجتها القصة القرآنية ودعت إليها: شكر الله تعالى على آلائه وجزيل عطائه. قال تعالى عن سليمان عليه السلام: (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ(18)فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [67] .

---

[66] سورة الكهف الآيتان: 37 ــ 88

[67] سورة النمل ــ الآيات: 8 ، 19

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى: حتى إذا مر سليمان عليه الـ سلام بمن معه من الجنود على وادي النمل قالت نملة ما قالته. وقولها: (لا يشعرون) أي من عدل سليمان وفض ه وفضل جنده أنهم لا يقتلون نملة فما فوقها بغير وجه حق، إلا إذا وقع ذلك منهم بدون ق صد و لا علم. (فتبسم ضاحكاً من قولها) أي: تبسم سليمان شارعاً في الضحك، بمعنى أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك، وإنما ضحك سليمان عليه السلام لأمرين: (الأول): إعجابه بما دلَّ عل ه قولها: (وهم لا يشـــعرون) من ظهور رحمته ورحمة جنوده وفضله وفضلهم، ومن شهرة حاله وحالهم في باب التقوى، (الثاني): سروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحداً، من سماعه لكلام النملة وإحاطته بمعناه. [68]

وقوله تعالى مخبراً عن سليمان عليه السلام: (وقال ربِّ أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليَّ وعلى والديَّ وأن أعمل صالحاً تر ضاه) أي: ألهمني أن أشـــكر نعمتك التي أنعمت عليّ: من تعليمي منطق الطير والحيوان، وما مننت به عليَّ و على والديّ بالإ سلام لك وبالإيمان بك، وأن تعينني على أن أعمل صالحاً تحبه وترضاه، وأدخلني برحمتك إذا توفّيتني وبالرفيق الأعلى من أوليائك. [69]

---

[68] تفسير الفخر الرازي 4/ 188

[69] تفسير ابن كثير 1/ 347

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ودعاء سليمان عليه السلام لربه اشتمل على أن يلهمه شكر نعمته التي أنعم عليه وعلى والديه، لأن الإنعام على الآباء إنعام على الأبناء، ولأن انتســـاب الابن إلى أبٍ صالح نعمة من الله تعالى على الابن تستحق الشكر. وقوله: (بر حمتك) يدل على أن دخول الجنة يكون برحمة الله وفضله، لا باستحقاق من جانب العبد [270] .

ولقد علَّم الله تعالى نبيه داود عليه السلام صنعة الدروع وهذه نعمة تستحق الشكر لله تعالى، قال تعالى (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ ۚ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ) [271]

أي أن الله تعالى علم نبيه داود عليه السلام صنعة الدروع الملبوسة، وكانت الدروع قبل داود صفائح فحلقّها و سرّدها أي جعلها حلقاً وأدخل بعضها في بعض كما قال تعالى عن داود: (وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ(10)أَنِ اعْمَلْ ســـابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ) [272]

---

[270] تفسير الفخر الرازي 24/188

[271] سورة الأنبياء، آية: 80

[272] سورة سبأ، الآيتان 10 و11 ، و انظر: تفسير القاسمي 13/ 279

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي جعلنا الحديد في يد داود ليناً كالطين أو العجين أو الـ شمع يـ صرفه بيده كيف يـ شاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة. ومعنى (سابغات) الدروع الوا سعة الـ ضافية. وقوله: (وقدِّرفي الـ سرد أي لا تجعل المـ سامير دقاقاً فتقلقل ولا غلاظاً فتقصم الحلق. و لسرد: نسج الدروع[273] . وقيل معنى (قدِّر في السرد) لا تصرف جميع أوقاتك فيه بل مقدار ما يحصـــــل به القوت وأما الباقي فاصـــــرفه إلى العبادة[274] .

وقوله تعالى عن الدروع التي علم الله تعالى نبيّه داود صنعها (لتحـ صنكم من بأ سكم فهل أنتم شاكرون) أي لتحفظكم هذه الدروع من جر حات قتالكم ومن آلات حربكم كالـسيف والـسهم والرمح التي تـسبب لكم الجراحات أو القتل[275] وفي هذه الآية دلالة كما يقول الرازي ـــــ على أن أول من عمل الدروع ثم تعلم الناس منه صنعتها هو داود عليه السلام،

---

[273] الزمخشري ــ الكشاف 1/571

[274] روح المعاني 2/ 115

[275] تفسير القرطبي 1 /320

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حيث توارث الناس عنه ذلك، فعمّت النعمة بها كل المتحاربين من الخلق إلى آخر الدهر، فلزمهم شـــكر الله تعالى على هذه النعمة، ولهذا قال تعالى: (فهل أنتم شاكرون) أي اشكروا الله على ما يسَّره لكم من هذه الصنعة [276] . وبين الله تعالى أن من يشكر نعمه هم قلة (وقليل من عبادي الشكور) [277]

وذكر الله تعالى عبداً من عباده الصالحين لشاكرين وهو لقمان عليه السلام (وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [278] .

إن هذه خلاصة الحكمة: ن أشكر ... والقرآن كثيراً ما يعبر عن العبودة بالشكر وإنها لكذلك فلن يشكر قلب لله حق شكره حتى يكون عبده حق عبادته وهنا يخطر على البال ما قاله الشيطان متوعداً بني آدم

---

[276] تفسير الفخر الرازي 25/201

[277] سورة سبأ آية: 13

[278] سورة لقمان آية: 12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(قال: فبما أغويتني لأقعدنَّ لهم صراطك المستقيم، ثم لآتينَّهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين) [279] .

فالشكر والإيمان صنوان. والكفر وعدم الشكر صنوان، والشكر ليس كلمة تقال باللسان بل هو سلوك عملي، كما أن الإيمان سلوك عملي (اعملوا آل داود شكراً). ففي قصة آل داود تعرض صفحة الإيمان بالله تعالى والشكر على إفضاله وحسن التصرف في نعمائه، ولقد أثنى الله تعالى على رسله ووصفهم بصفة الشكر فقال تعالى عن نوح عليه السلام: (إنَّه كان عبداً شكوراً) [280] .

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (إنَّ إبراهيم كان أمّة قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) [281] وقال تعالى عن موسى عليه السلام (قال يا موسى: إنّي اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين) [282] .

---

[279] سور الأعراف : الآيتان6 –17 وانظر محمد قطب دراسات قرآنية ص97 بتصرف.

[280] سورة الإسراء آية: 3

[281] سورة النحل آية: 121

[282] سورة الأعراف آية: 144

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقرآن الكريم يجعل أنبياءه نموذجاً للهداية والطاعة والشـــكر والإنابة لله تعالى. وتعرض القصـــة القرآنية في الجانب الآخر حيث تتحدث عن بطر ســـبأ بالنعمة وزوالها ، نهم وتفرقهم بعد ذلك وتمزقهم كل ممزق.

قال تعالى مخبراً عن قـ صتهم: (لقد كان لـ سبأ في مـ سكنهم آية جنّتان عن يمين و شمال كلوا من رزق ربكم وا شكروا له بلدة طيبة وربٌّ غفور، فأعر ضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدّلناهم بجنّتيهم جنتّين ذواتَي أُكُل خمط وأثل وشيء من سدر قليل ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور وجعلنا بينهم وبين القرى التي باركنا فيها قرى ظاهرة وقدّرنا فيها الســـير ســـيروا فيها ليالي وأيّاماً آمنين، فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزّقناهم كل ممزّقٍ إن في ذلك لآيات لكل صـ ر شكور). [283]

(تبدأ القصة بو صف ما كانوا فيه من رزق ورغد ونعيم، و سبأ اسم لقوم يـسكنون جنوبي اليمن، كانوا في أرض مخـصبة ما تزال منها بقية إلى اليوم ، وقد ارتقوا في سلم الحضارة

[283] سورة سبأ الآيات: 15 – 19

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى تحكمّوا في مياه الأمطار الغزيرة التي تأتيهم من البحر في الجنوب والشـــرق، فأقاموا خزاناً طبيعياً يتألف جانباه من جبلين، وجعلوا على فم الوادي بينهما ســـدّاً به عيون تفتح وتغلق، وخزّنوا الماء بكميات عظيمة وراء الســـد، وتحكمّوا فيها وفق حاجتهم ... فكان من هذا مورد مائي عظيم وقد عُرف باسم "سد مأرب". وهذه الجنان عن اليمين وعن الشمال رمز لذلك الخصب والوفرة والوفاء والمتاع الجميل، ومن ثمّ كانت آية تذكرهم بالمنعم الوهّاب[84] .

وتبين الآيات في هذه القصـــة أن الله تعالى أمرهم بشـــكر هذه النعم وذلك بطاعة الله تعالى وتوحيده، لأن الشـــكر ســـبب لاســـتمرار النعم وزيادتها كما قال تعالى: (وإذ تأذَّن ربكم لئن شكرتم لأزيدنَّكم ولئن كفرتم إنّ عذابي لشديد)[85] . إن كفر النعمة سبب لزوالها كما حصل مع قوم سبأ. قال تعالى مخبراً عمّا كان منهم: (فأعرضوا)، أي كفروا بالله، ورفضوا عبادته وشكره، وتولوا عن طاعته، وآثروا الدنيا على الآخرة، وجحدوا نعم الله تعالى.

---

[84] تفسير الظلال: 2900/

[85] سورة إبراهيم آية: 7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمقام يقتضي أنهم عرضوا عن الشكر ويدخل فيه الإعراض عن الإيمان لأنه أعظم الكفر والكفران [286] .

إن الإعراض عن شرع الله نذير شر وهلاك قال تعالى: (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنَّة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان، فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) [287] .

إن قوم سبأ لما أعرضوا عن شكر الله تعالى حوّل الله نعمتهم إلى نقمة وخيرهم إلى شرٍ، وهذا من آيات الله تعالى وعبرة ودرس لمن جاء من بعدهم أن يشكروا نعمة الله تعالى وإلا حلّ بهم ما حل بقوم سبأ.الذين أبدلوا بجنتيهم جنتين من الأشجار الصحراوية المرّة الشائكة الكريهة.

---

[286] الآلوسي – روح المعاني 12/ 126

[287] سورة النحل آية: 112

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال ابن كثير: "فهذا الذي صار أمر تلكَ الجنتين إليه بعد الثمار النا ضجة والمناظر الحســـنة والظلال العميقة والأنهار الجارية، تبدلت إلى شـــجر الأراك والطرفاء والسدر ذي الشوك الكثير والثمر القليل وذلك بسبب كفرهم وشركهم بالله وتكذيبهم الحق وعدولهم عنه إلى الباطل [288] .

ففي قصة سبأ دلالة واضحة على نعم الله على عباده واستمرار هذه النعم إن اســـتخدمت في طاعة الله، وأن ما حصـــل للناس من نعمة فبفضـــل الله تعالى وكرمه وأن ما يصيب الناس من العذاب والفقر والقحط فيما كسبت أيديهم وفيها دلالة كذلك على أن البناء الحضـــاري لا يمكن أن ينهض على جانب واحد وهو الجانب المادي فلا بد من الجانب الروحي وبالتالي يكون التوازن الذي يحقق قيام الحضارة ، وإن من أسباب اندثار الحضارات قيامها على الجانب المادي فقط وهدمها للجانب الروحي .

[288] تفسير ابن كثير 6/511

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي نهاية القصة يبين القرآن أن الشيطان حقق هدفه وغا ته فيهم ونجح في إغوائهم وإبعادهم عن منهج الله تعالى، قال تعالى: (ولقد صـــدّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين، وما كان له عليهم من سلطان) [89] .

إن الشيطان لم يكن له عليهم تس ط، ولكنهم هم الذين استسلموا له فلولا استسلامهم ما حلّ بهم سخط الله، ولكنها أمانيّ دعاهم إليها فأجابوه إلى ما يريده منهم من البعد عن طاعة الله تعالى فاستحقوا ما أصابهم، وما ربك بظلام للعبيد.

ثالثاً ــ الأمانة:

تبيّن القصـــة القرآنية أن الأمانة من الصـــفات التي اتصـــف بها أنبياء الله تعالى، فكل رسول يأتي إلى قومه يخبرهم بأنه مرسل إليهم من عند الله تعالى وهو أمين على هذه الر سالة التي ؤت ن عليها والتي جاءت إليه عن طريق أمين الوحي جبريل عليه السلام. قال تعالى مخبراً أن رسله اتصفوا بهذه الصفة الطيبة:

[89] سورة سبأ آية: 21

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

(إذ قال لهم أخوهم نوح ألا تتقون إني لكم رســـول أمين) [190] وقال تعالى عن هود عليه سلام: (إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون إني لكم ر سول أمين) [191] . وما ذكره الله تعالى عن نوح وهود عليهما السلام ذكره عن صالح ولوط وشعيب عليهم الســـلام وهكذا قال كل رســـول لقومه إنه لا يخون ولا يخدع ولا يغش. أمين فيما يبلغهم، وكان كل قوم يعرفون أمانة الأنبياء وصدق م.

وذكرت الآيات القرآنية في ق صة يو سف عليه ال سلام أنه قال للملك: (قال اجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ عليم) [192] . أي ولّني جميع الغلات لـ ما يـ ستقبلونه من الـ سنين التي أخبرهم بـ شأنها فيتـ صرف لهم على الوجه الأر شد والأصلح، فيوسف عليه السلام مدح نفسه وطلب الولاية لـ فسه ـــــ ولاية الغلاّت وتوزيعها على الناس وذكر عن نفسه أنه خازن أمين، فقال إني حفيظ عليم أي أمين أحفظ ما وُكّ ن عليه عالم بوجوه التصرف فيها [193] .

---

[190] سورة الشـ راء الآيتان: 106 ــ 107

[191] سورة الشعراء الآيتان: 124 ــ 125

[192] سورة يوسف آية: 55

[193] تفسير ابن كثير 2/482 تفسير القاسمي 1/242

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذكر الزمخشري سبب طلب يوسف الولاية: (وإنَّما قال ذلك ليتوصَّلَ إلى إمضاء أحكام الله تعالى، وإقامة الحق وبسط العدل ، ولعلمه أنّ أحداً غيره لا يقوم مقامه في ذلك، فطلب التولية ابتغاء وجه الله تعالى لا لحب الملك والدنيا، فهذه الآية أصل في جواز مدح الإنسان نفسه، وفي طلب الولاية لمصلحة شرعية إذا كان واثقاً من نفسه بالقدرة على القيام بحقوق هذه الولاية ومتطلباتها)[294] .

جاء في الظلال: (والأزمة القادمة وسنو الرخاء التي تسبقها في حاجة إلى الحفظ والصيانة والقدرة على إدارة الأمور بدقة وضبط الزراعة والمحاصيل وصيانتها. وفي حاجة إلى الخبرة وحسن التصرف والعلم بكافة فروعه الضرورية لتلك المهّمة في سنوات الخصب وفي سني الجدب على السواء ومن ثم ذكر يوسف من صفاته ما تحتاج إليه المهمّة التي يرى أنه أقدر عليها، وأنّ وراءها خيراً كبيراً لشعب مصر وللشعوب المجاورة: "إنيّ حفيظ عليم" ولم يكن يوسف يطلب لشخصه وهو يرى إقبال الملك عليه فيطلب أن يجعله على خزائن الأرض ...

[294] تفسير الزمخشري 1/299 – 300

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنما كان حـ صيفاً في اختيار اللحظة لتي يُ ستجاب له فيها لينهض بالواجب المرهق الثقيل ذي التبعة الـ ضخمة في أ شد أوقات الأزمة، وليكون مـ سؤولاً عن إطعام شعب كامل و شعوب كذلك تجاوره طوال سبع سنين لا زرع فيها و لا ضرع، فليس هذا غنماً غنمه يو سف لنف سه فإن التكفل بإطعام شعب جائع سبع سنوات متوالية لا يقول أحد إنه غنيمة. إنما هي تبعة يهرب منها الرجال، لأنها قد تكلفهم رؤو سهم، والجوع كافر، وقد تمزق الجماهير الجائعة أجـ سادهم في لحظات الكفر والجنون[295] .

وأو ضحت القصة القرآنية أهمية الأمانة في قول يعقوب عليه السلام عندما طلب منه بنوه السماح لأخيهم بالذهاب معهم حيث قالوا (يا أبانا مُنِعَ منّا الكيل) أي أنذرنا بعدم بيعنا أي طعام إذا لم نأت بأخينا (فأرســـل معنا أخانا نكتل وإنّا له لحافظون) أي نرفع المانع من الكيل ونشـــتر من الطعام ما نحتاج إليه ونحن له حافظون من أن يناله مكـ و [296] .

---

[295] تفسير الظلال: 1/2005

[296] تفسير القاسمي 1/247

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلما سمع أبوهم يعقوب عليه الـ سلام طلب أ نائه قال لهم، ما أخبر القرآن الكريم عنه: (قال هل آمنكم عليه إلا كما أمنتكم على أخيه من قبل فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين) [97] .

أي قال لهم يعقوب: هل أقدر أن آخذ عليكم العهد والميثاق أكثر مما أخذت عليكم في يو سف وقد قلتم بـ شأنه (وإنّا له لحافظون) ثم خنتم بـ ضمانكم؟ فما يأمنني من مـ ثل ذ لك؟ فلا أثق بكم و لا بحفظكم، وإ نما أفوض الأمر إلى الله (فالله خيرٌ حافظاً) أي منكم ومن كل أحد. فإذا أنا طلبت الحفظ لولدي والرحمة بي (فالله خير حاف ظاً وهو أرحم الراحمين) فأرجو أن ينعم عليّ بحف ظه ولا يجمع عليّ مصيبتين [98] .

وأبرزت القصـــة القرآنية أهمية الأمانة في قوله تعالى خباراً عن قول ابنة الرجل الـ صالح لأبيها بـ شأن مو سى عليه الـ سلام حيث قالت: (يا أبت ا ستئجره إنّ خير من استأجرت القويُّ الأمين) [99] .

---

[97] سورة يوسف آية: 64

[98] انظر : تفسير ا سفي 2 / 229

[99] سورة القصص آية : 26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي: خير من اســـتأجرت لرعاية الغنم هو القوي على العمل المؤتمن فيه وهذا الكلام من ابنة الرجل الصالح كلام حكيم جامع لا يُزاد عليه، لأنه إذا ضُمنت هاتان الخصـــلتان أعني الكفاية والأمانة في القائم بأمرك، فقد فرغ بالك من القلق وتم مرادك في ا طمئنان على حقك، لأن أمرك بيد قوية أمينا [100] .

ولما و صفت هذه المرأة مو سى عليه ا سلام بالقوة والأمانة قال لها أبوها: ومن أين عرفت هذا منه؟ فقالت أما قوته ففي رفع الحجر من رأس البئر ليسقي لنا غنمنا، وهذا الحجر لا يرفعه إلا عشـــرة، وقيل إلا أربعون رجلاً، وأما أمانته فإنه قال لي امشي خلفي حتى لا تصف الريح بدنك [101] .

وكان الر سول عليه ا صلاة وا سلام أح سن قومه خلقاً وأ صدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة حتى سمّاه قومه: الأمين، لما جمع الله فيه من الصفات الحميدة.

---

[100] انظر: تفسير الكشاف ٣/403 بتصرف.

[101] انظر: تفسير البغوي ٣/442 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكما حثت القصـــــة القرآنية على الأمانة فقد حذرت من الخيانة. وأعظم مراتب الخيانة التكذيب بدعوة الأنبياء، قال تعالى مخبراً عمّا كان من امرأتي نوح ولوط عليهما الـ سلام: (ضرب الله مثلاً للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتا ا فلم يغنيا عنهما من الله شيئاً وقيل دخلا النار مع الداخلين[602] .

أي ضرب الله مثلاً للذين كفروا في مخالطتهم المسلمين ومعاشرتهم لهم أن ذلك لا يجدي عنهم شيئاً، ولا ينفعهم عند الله إن لم يكن الإيمان حاصلاً في قلوبهم.

وكان هذا المثل بنبيّين ر سولين عندهما امرأتان في صحبتهما ليلاً ونهاراً يؤاكلانهما ويـ صاحبانهما ويعا شرانهما أ شد المعا شرة والاختلاط فخانتاهما في الإيمان فلم ينفعهما ذلك شيئاً، ولا دفع عنهما محذوراً بسبب كفرهما، وقيل للمر تين (ادخلا النار مع الداخلين) وليس المراد بقوله (فخانتاهما) في فاحـ شة بل في الدين، فإن نساء الأنبياء معصومات عن الوقوع في الفاحشة لحرمة الأنبياء.

[602] سورة التحريم آية: 10

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أمّا خيانة امرأة نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وإذا آمن مع نوح أحدُ أخبرت الجبابرة من قوم نوح به، وأمّا امرأة لوط فكانت على غير دين لوط، وكانت تخبر قومها بضيوف لوط [603] .

وبينت القصـــة القرآنية أن الله تعالى لا يرضـــى الخيانة ولا يهدي كيد الخائنين قال ســـبحانه مخبراً عن قول امرأة العزيز تعليلاً وتبريراً لاعترافها على نفســـها: (ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين، وما أبرِّئُ نفســـي إنَّ النفس لأمّارة بالســـوء إلا ما رحم ربي إنَّ ربي غفورٌ رحيمٌ [604]) تقول امرأة العزيز إنما اعترفت بهذا على نفســـي ليعلم زوجي أني لم أخنه بالغيب في نفس الأمر، ولا وقع المحذور الأكبر، وإ ما راودتّ هذا الشـــاب مراودة فامتنع، فلهذا اعترفت ليعلم يوســـف أنّي لم أكذب عليه في حال الغيبة، وجئت بالصـــحيح والصدق فيما سئلت عنه. فالله تعالى لا يُسدّد كيد الخائنين

---

[603] تفسير ابن كثير 2/393 بتصرف.

[604] سورة يوسف الآيتان: 52،53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم تقول المرأة: (وما أبرّيء نفســـي إنّ النفس لأمّارة بالســـوء) أي تتحدث وتتمنى ولهذا راودته أو تعني: إنّي ما أبرّيء نفســـي من الخيانة، فإني قد خذته عندما اتهمت يو سف بما اتهمته به وأودعته الـ سجن، تريد الاعتذار ممّا كان منها. بأن كل نفس تأمر بالـ سوء إلا نف ساً رحمها الله بالعـ صمة كنفس يو سف ، [105] وأورد بعض المفسرين أن هذه العبارات من كلام يوسف [106] .

قال الألوسي: وفيه تعريض بامرأة العزيز في خيانتها أمانته ـــــ أي خيانة زوجها ـــ وبه ـــ أي بالعزيز ـــ في خيانته أمانة الله تعالى حين ساعدها على حبسه بعدما رأوا الآيات الدالة على نزاهته عليه السلام [107] .

---

[105] انظر: تفسير النسفي ؛ /262

[106] تفسير ابن كثير ؛ /463 انظر: تفسير القاسمي ؛ /77؛ .

[107] الألوسي ـــ روح المعاني 2 /261 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيكون المعنى على اعتبار أن قوله تعالى: (ذلك ليعلم أنيّ لم أخنه بالغيب وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين)، من كلا م يو سف عليه الـ سلام: أي أني لم أخنه في أهله بظهر الغيب في حرمته أو ليعلم الملك أنّي لم أخن العزيز وأن الله لا يســـدد كيد الخائن (وما أبرّئ نفسي) من الزلل وما أشهد لها بالبراءة الكلية ولا أزكيها في عموم الأحوال، وهذا من باب التواضع وهضم النفس، إن النفس لأمّار ة بالسوء إلا الذي رحمه ربي بالعصما [108] .

قال ابن كثير ــ والرأي الأول هو الأشهر، والأليق والأنسب بسياق القصة ومعاني الكلام [109] ، وهذا هو الراجح لأن الله تعالى برّأ يو سف عليه الـ سلام في كتابه العزيز .

وخلاصـــة القول: إن الأمانة من القيم الأخلاقية الرئيســـية في حياة الأنبياء وهي فضيلة لا يستطيع حملها إلا أصحاب الإيمان الراسخ، والضمير الحي، وإن الخيانة صفة مذمومة وسبب لسخط الله تعالى

[108] انظر: تفسر النسفي ! /66! ، تفسير ابن كثير ! /63! ، زبدة التفسير من فتح القا ر 310 بتصرف

[109] انظر : تفسير ابن كثير ! /463

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

رابعاً ــ التحذير من البخل والحث على الإنفاق في سبيل الله:

من القيم الأخلاقية التي دعت إليها القصـــــة القرآنية: التحذير من البخل والحث ع ى البذل والإنفاق في سبيل الله تعالى قال سبحانه: (ها أنتم هؤلاء تُدعون لتنفقوا في سبيل الله، فمنكم من يبخل ومن يبخل فإنَّما يبخل عن نف سه والله الغنيُّ وأنتم الفقراء) [10] .

و ضرب القرآن الكريم مثلاً في عاقبة البخل وما يؤول إليه أمر صاحبه، ففي قصة أصحاب الجنة الأرضية بيان شافٍ وعبرة لكل بخيل قال تعالى في هذا الصدد: (إنّا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذا أقسموا ليصرمُنَّها مصبحين ولا يســـتثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون فأصـــبحت كالصـــريم فتنادوا مصـــبحين أن اغدوا على حرثكم إن كنتم صـــارمين فانطلقوا وهم يتخافتون أن لا يدخلنّها اليوم عليكم مسكين وغَدَوا على حرد قادرين

[10] سورة محمد آية: 38

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلما رأوها قالوا إنّا لضـــالّون بل نحن محرومون، قال أوســـطهم ألم أقل لكم لولا تسبحون قالوا سبحان ربنا إنّا كنّا ظالمين، فأقبل بعضهم على بعض يتلاومون قالوا يا ويلنا إنّا كنّا طاغين عســـى ربنّا أن يبدلنا خيراً منها إنّا إلى ربنا راغبون كذلك العذاب ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون[11] .

خلاصة هذه القصة: أنه كان لرجل جنة ــ أي بستان مثمر ــ وكان هذا الرجل يؤدي حق الله تعالى منها، فلما صـــارت هذه الجنّة لأولاده منعوا الناس خيرها وبخلوا بحق الله فيها. فأهلكها الله من حيث لم يمكنهم دفع ما حلّ فيها، فاعترفوا بذنبهم ولكن بعد هلاك جنتهم[12] .

فضرب الله تعالى بأصحاب الجنّة مثلاً لأهل مكة: إنّا بلونا هؤلاء المكذبين بالخير، وأمهلناهم، وأمددناهم، من مال وولد، وطول عمر، ونحو ذلك. مما يوافق أهواءهم، لا لكرامتهم علينا. بل ربما يكون اســـتدراجاً لهم، من حيث لا يعلمون. فاغترارهم بذلك، نظير اغترار أصحاب الجنة، الذين هم فيها شركاء،

---

[11] سورة القلم: الآيات: 17 – 33

[12] تفسير القرطبي 8 /239

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حين أينعت أشجارها وزهت ثمارها، وآن وقت صرامها، وجزموا أنها في أيديهم، وطوع أمرهم، وأنه ليس ثمَّ مانع يمنعهم منها. ولهذا أقســـموا وحلفوا من غير ا ستثناء أنهم سيقطعون ثمرها عند الـ صباح، أي لم يقولوا إن شاء الله، أو أنهم أغ سموا أن لا يـ ستثنوا المـ ساكين من جملة ذلك القدر الذي كان يدفعه أبوهم إليهم، فطاف على تلك الجنة نار أحرقتها.

هذا وهم لا يشـــعرون بهذا الذي حلّ ببســـتانهم، ولهذا تنادوا فيما بينهم أن انطلقوا إلى ثمركم وزرعكم مبكريّن في الـ صباح إن كنتم قا صدين للـ صرم. وهم يتسارّون بهذا الكلام وهو قولهم لا يدخل الجنة هذا اليوم عليكم مسكين فيطلب منكم أن تعطوه ما كان يعطيه أبوكم ــ فمن شدة حرصهم وبخلهم يتخافتون بهذا الكلام مخافتة خوفاً أن يســـمعهم أحد فيخبر الفقراء. وغدوا على هذه الحالة الشـــنيعة، والقسوة، وعدم الرحمة، على إمساكٍ ومنع لحق الله، جازمين بقدرتهم عليها.

فلمّا رأوها على الوصـــف الذي ذكر الله تعالى كالصـــرم قالوا من الحيرة والانزعاج: إنّا تائهون عنها، ليست هذه جنتنا، لعلها غيرها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فلما تحققوها وتأمّلوها علموا أنها جـ تهم , رجعت إليهم عقولهم وعلموا أن الله ســـبحانه وتعالى قد عاقبهم بإذهاب ما فيها من الثمر والزرع قالوا: بل نحن محرومون، حرمنا الله ثمر جنتنا بـ سبب ما وقع منّا من العزم على منع المـ ساكين من خيرها. عندها قال خيرهم وأعقلهم، وأحـ سنهم طريقة ألم أقل لكم إنّ فعلكم هذا ، ن منعكم المـ ساكين حقهم ظلم؟ فهلاّ تنزّهون الله الآن بعد أن تيقنّتم أنه بالمر صاد للظالمين، وتـ ستغفرون الله من فعلكم وتتوبون إليه. فا ستدركوا بعد ذلك، ولكن بعد ما وقع على جنتهم العذاب، ولكن لعلّ تسبيحهم هذا، وإقرارهم على أنفسهم بالظلم، ينفعهم في تخفيف الإثم ويـ ون توبة من طغيانهم، فهم رجوا الله أن يبدلهم خيراً منها، ووعدوا أنهم سيرغبون إلى الله تعالى [13] .

[13] مقتبس مر : عبد الرحمن بن بكر الـ سيوطي، محمد بن أحمد المحلي – تفـ سير الجلاليز – طبعة بلا دار القلم للطباعة والنـ شر لبنان، بيروت ص759 ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ا /288 ــ 89! ، زبدة التفسير من فتح القدير ص758 ــ 759 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبين هذه القصة أن ما أصاب الناس من مصائب في الدنيا كالمرض وسائر المصائب والآلام فبسبب معاصيهم التي اكتسبوها ويعفو الله سبحانه عن كثير من الذنوب فلا يعاقب عليها عاجلاً، وقيل آجلا [14] وتحذر القصـــة من رذيلة البخل، لأنها توقع صاحبها في المعصية وذلك بعدم إخراج ما أوجبه الله عليهم في أموالهم.

والقصـــص القرآني و هو يحذر من البخل فهو في الصـــورة المقابلة يحث على الجود والإنفاق في سبيل الله تعالى، وهذا الجود لا يقتصر على إنفاق المال فحسب بل يتعداه إلى الجود بالنفس، وحماية الضعيف والعفو عن الزلا ... الخ.

[14] انظر: تفسير الرازي 7/ 7، روح المعاني 5/ 41

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ففي قصـــة إبراهيم عليه الســـلام مع ضـــيوفه من الملائكة دلالة واضحة على جوده وحبه للضيوف حيث كان يُكنى (أبا الضيفان) وذلك لكثرة ضيوفه، فقد كان إبراهيم عليه السلام كريماً مضيافاً، لا ينزل به أحد إلا أحسن ضيافته. قال تعالى مخبراً عن قصة إبراهيم عليه السلام مع الملائكة: (هل أتاك حديث ضـــيف إبراهيم المكرمين إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين فقربه إليهم قال ألا تأكلون فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم)[15].

وقوله تعالى (ونبئهم عن ضيف إبراهيم)[16].

وقوله تعالى (ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ فَلَمَّا رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط..)[17]

---

[15] سورة الذاريات الآيات: 24 – 29

[16] سورة الحجر آية: 51

[17] سورة هود: الآيتان: 69 – 70

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر القرآن الكريم أن الملائكة جاءوا لإهلاك قوم لوط فمرّوا على إبراهيم في طريقهم ليبشروه بغلام، فلما رآهم ظنّهم من البشر فأسرع إلى أهله فذبح لهم عجلاً ثم شواه وقدّمه لهم فلم يأكلوا فوقع في نفسه الريبة منهم، فالذي لا يأكل الطعام يريب، ويشعر بأنه ينوي خيانة أو غدراً بحسب تقاليد أهل البدو وأهل الريف عندما يتحرّجون من خيانة الطعام، أي من خيانة من أكلوا معه طعاماً، فإذا امتنعوا عن طعام أحد فمعنى هذا أنهم ينوون به شراً، وعند هذا كشفوا له عن حقيقتهم وأخبروه أنهم من الملائكة [18].

فهذه الآيات الكريمة واضحة الدلالة على كرم إبراهيم الخليل حيث كان يذبح لضيوفه الإبل والبقر مع أنه لا يعرفهم ولكنها أخلاق العظماء وصفات الكرماء.

[18] انظر: تفسير الظلال 1/1911 – 1912 بتصرف، محمد علي الصابوني – النبوة والأنبياء – الطبعة الثانية – 1400 هـ – 980 م ص147 بتصرف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قصة لوط عليه السلام مع قومه يظهر كرم لوط عليه السلام في الدفاع عن ضيوفه، حيث برز في شخصيته إكرام الضيف والذود عنه، فهو عندما رأى ضيوفه ـــــ وهم من الملائكة بصورة فتيان شعر بالمتاعب التي ســـتأتيه بســـببهم، وقد كان بإمكانه غلق باب منزله في وجوههم وتجنب ما يمكن أن يحدث له من مشـــاكل هو في غنى عنها، ولكننا نراه بالرغم من ذلك يستقبل ضيوفه ونفسه تمتلىء بالقلق وتترقب ويلات كثيرة وهو يقول في نفسه: (هذا ومٌ عصيبٌ)[619]. ويسرع قومه إلى بيته يبغون الاعتداء الفاحش على ضـــيوفه فينبري مدافعاً عنهم وهو يعرض على قومه أن يزوجهم بناته عوضـــاً عن اقتراف الفاحشـــة مع ضيوفه،

[619] سورة هود آية: 77

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم لما رأى إصرارهم على عزمهم السيئ أخذ يفكر بالدفاع عنهم بالقوة، فيستعرض قواه منفرداً ومع ضيوفه و قابلها مع قوة خصومه فيرى عجزه ويتمنى لو أنه يملك قوة أكبر يدافع بها عن ضيوفه (لو أنَّ لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد)[120] .

فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الجهد والكرب والنصب بسببهم، قالوا: يا لوط إن ركنك لشديد وإنهم آتيهم عذاب غير مردود وإنّا رسل ربك، فافتح الباب ودعنا وإيّاهم، ففتح الباب فضربهم جبريل بجناحه فطمس أعينهم، وقيل أخذ قبضة من تراب فأذراها في وجوههم فطمس أعينهم ...[121])

[120] سورة هود آية: 80 وانظر: عفيف عبد الفتاح طبارة – مع الأنبياء في القرآن ص150.

[121] انظر: تفسير القرطبي 9/74 بتصرف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد جاء في الحديث أنه قال صلى الله عليه و سلم (.. ورحمة الله على لوط، إنه كان ليأوي إلى ركن شـــديد، فما بعث الله من بعده نبياً إلا في ذروة من قومه)[122] .

وتبرز القصة القرآنية كرم يوسف عليه السلام في العفو عن إخوته، قال تعالى مخبراً عمّا قاله يوســـف بعد أن رفع أبويه على العرش: (وقد أحـ سن بي إذا أخرجني من الـ سجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشـــيطان بيني وبين إخوتي إنَّ ربّي لطيف لما يشـــاء إنَّه هو العليم الحكيم)[123] .

[122] صحيح البخاري ــ كتاب الأنبيـ - باب (ولوطاً إذ قال لقومه أتأتون الفاحشة وأنتم تبصرون). ا /607 بلفظ: (يغفر الله للو ط إن كان ليأوي إلى ركن شديد ، سنن الترمذي كتاب تفسير القرآن، باب: ومن سورة يوسف ا /44 . وأورده الألباني في صحيح سنن الترمذي ا /64

[123] سورة يوسف آية: 100

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذكر يو سف نعم الله عليه وإح سانه إليه بإخراجه من الـ سجن، ولم يذكر إخراجه من الجبّ اســـتعمالاً للكرم مع إخوته، لئلا يذكرّهم بقبيح صنيعهم معه بعد عفوه عليهم بقوله لهم: (لا تثريب عليكم اليوم) وأيـ ضاً فإنه خرج من الجب إلى الرقّ، ولمّا خرج من السجن آل أمره إلى السلطة والملك، فالنعمة بالإخراج من الســـجن أوضـــح وأقرب أن تكون إنعاماً كاملاً، وجاء بكم من البادية وأسكنكم الحاضرة مع جمع الشمل والانتقال من الشقاوة إلى النعمة وسكنى الحاضرة، من بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي بالحسد، وأسنده إلى الشيطان لأنه بوسوسته وإلقائه وفي هذا الإسناد إلى الشيطان إكرام من يوسف لإخوته بعدم تثريبهم ولومهم على ما فعلوه با [124] .

[124] تفسير القرطبي (9/167) ، تفسير ابن عطية (3/43) .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وجاء في الحديث عن أبي هريرة ر ضي الله عنه قيل يا ر سول الله من أكرم الناس (قال أتقاهم فقالوا ليس عن هذا نسألك قال يو سف نبيّ الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل ا ... الحديث) [25] . وفي حديث آخر: (إن الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) [26] .

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في شهر رم ضان، فيأتيه جبريل، فيعرض عليه القرآن، فإذا لقيه جبريل كان ر سول الله صلى الله عليه و سلم أجود بالخير من الريح المرسلة [27] .

وتبين القصة القرآنية أنّ الجود والكرم سنة قديمة وعادة من عادات أهل الخير والصلاح. فمن ذلك ما أخبر الله به عن موسى عليه السلام لمَّا ورد ماء مدين وهو بئر كانوا يسقون فيها مواشيهم ـــ

---

[25] أخرجه البخاري ـــ كتاب الأنبيا ، باب قوله تعالى "واتخذ الله إبراهيم خليلاً". ا /597

[26] الألباني ـــ صحيح سنن الترمذي ا /64

[27] أخرجه البخاري ـــ كتاب المناقب ، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم. ا /30

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: (ولمَّا ورد ماء مدين وجد عليه أمّة من الناس يســـقون ووجد من دونهم إمرأتين ودان قال ما خطبكما قالتا لا نســـقي حتى يُصـــدر الرعاء وأبونا شيخ كبير فسقى لهما ثم تو ى إلى الظل فقال رب إ ي لما أنزلتَ إليَّ من خير فقير[28] .

" قال أهل للغة اللام بمعنى إلى يُقال هو فقير له وفقير إليا " يقول إني لما أنزلت إليّ من أيّ طعام فقير محتاج، كان يطلب الطعام لجوعه، قال ابن عباس سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه، وهو أكرم خلقه عليه، في ذلك الزمان، ولما أخبر الرجل الصالح بأمر موسى عليه السلام دع ه فلما دخل عليه إذا هو بالع شاء مهيّأ فقال اجلس يا شابّ فتعش، فقال مو سى أعوذ بالله، فقال ولم ذاك ألست بجائع؟

[28] سورة القصص الآيتان 23،24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال: بلى ولكن أخاف أن يكون هذا عوضاً لما سقيت لهما وإنّا أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عو ضاً من الدنيا، فقال الرجل الصالح: لا والله يا ة ابّ ولكنها عادتي وعادة آبائي نُقري الضيف ونطعم الطعام فجلس موسى وأكل [29] .

خامساً ــ الحث على الزهد والتحذير من الاغترار بالحياة الدنيا:

من القيم الأخلاقية التي دعت إليها القصة القرآنية الحث على الزهد والتحذير من الاغترار بالحياة الدنيا قال تعالى: (يا أيُّ ا الناس إنَّ وعد الله حق فلا تغرُ كم الحياة الدنيا ولا يغر ُ م بالله الغرور) [30] .

---

[29] انظر: تفسير البغوي ا /441 ــ 442 - بتصرف.

[30] سورة فاطر آية:5 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي لا تخدعكم الدنيا بزينتها ومتاعها ولذاتها التي تهواها النفس، فتقبلوا عليها، وتنغمسوا فيها، وتتركوا العمل للآخرة، ولا يغرنكم الشيطان ويخدعكم ويلهكم عن العمل للآخرة ويو ، وس لكم الإقبال على شهوات الدنيا ولذاتها ولو بمعصـــية الله ثم ليُمنّيكم بالتوبة بعد ذلك التي تمحو المعاصي، فيجمعون على زعم الشيطان ــ بين التلذذ بنعيم الدنيا والظفر بنعيم الآخر[131] .

وفي القصص القرآني نماذج ممّن اغتر بالحياة الدنيا ونسي آخرته فأخذه الله تعالى بعقاب في الدنيا وما ينتظره من عذاب الآخرة أكبر وأعظم.

[131] مقتبس من: تفسير القرطبي 4 /1؛ ، تفسير القاسمي 3 /41

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى مخبراً عن قارون واعتزازه بماله: (إنّ قارون كان من قوم مو سى فبغى عليهم وآتيناه من الكنوز ما إنّ مفاتحه لتنوء بالع صبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين، وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس ن صيبك من الدنيا وأح سن كما أح سن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إنّ الله لا يحب المفسدين، قال إنَّما أوتيته على علم عندي أو لم يعلم أنَّ الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشدُ منه قوةً وأكثر جمعاً ولا يُســـ ل عن ذنوبهم المجرمون فخرج على قومه في زينته قال الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنّه لذو حظ عظيم وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلّقاها إلا الصابرون فخسفنا به وبداره الأرض

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون ويكأنّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منّ الله علينا لخسف بنا ويكأنّه لا يفلح الكافرون تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتقين [132] .

تبين هذه القصة أنّ قارون من قوم موسى قد رزقه الله أموالاً طائلة، وكنوزاً تملأ خزائن كثيرة، يثقل حمل هذه الخزائن والكنوز أو المفاتح بحيث تُتعب المجموعة من الرجال الأقوياء، وقد استخدم قارون هذه الأموال في البغي والعدوان على قومه. وإزاء هذه النعم التي أنعم الله بها على قارون انقسم الناس إلى قسمين:

[132] سورة القصص الآيات: 76 – 83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسم الأول: هم أولو العلم الذين حاولوا أن يردّوا قارون عن بغيه ونصحوه أن يوظّف هذا المال وفق منهج يرضاه الله تعالى، وهو نهج لا يحرم الأثرياء ثراءهم، ولكنه يفرض عليهم القصد والاعتدال، وأرشدوه كما أخبر القرآن عنهم: (لا تفرح إنّ الله لا يحب الفرحين وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة، ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين). لا تفرح الفرح الذي يؤدي إلى الزهو والبطر الذي يُنسي المنُعم بالمال، والفرح الذي يقود إلى الكبر والخيلاء، الفرح الذي يُشغل القلب بالمال عن طاعة الله تعالى فالله لا يحب المتباهين المتطاولين بسلطان المال على الناس: وابتغ بهذا المال الذي أعطاكه الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا أي الاستمتاع الطيّب بها وأحسن كما أحسن الله إليك،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا المال إحسان من الله تعالى فليقابل بالإحسان: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) [133] ـــــ إحسان التصرف، والإحسان به إلى الخلق وإحسان الشعور بالنعمة، وإحسان الشكران، (ولا تبغ الفساد في الأرض) لا تجعل هذه النعم التي أنعم الله بها عليك وسيلة وأداة للبغي والظلم وإنفاق المال في غير وجهه أو إمساكه عن وجه على كل حال ، فالله تعالى لا يحب المفسدين ورد عليهم قارون قائلاً: إنما حصلت عليه بوجوه التجارة ولعلمه تعالى باستحقاقي لهذا المال وبما عندي من فضل على سائر الناس [134] .

القسم الثاني: المخدوع بهذه المظاهر الزائلة فكان قولهم إنه لذو حظ عظيم" حيث تمنوّا أن يملكوا من هذه الأموال والزينة مثلما يملك قارون. كما هي عادة البشر وجرياً على سنن الجبلة البشرية [135] .

---

[133] سورة الرحمن آية: 60

[134] انظر: تفسير الزمخشري 3/ 32، تفسير القاسمي 3 /127

[135] تفسير القرطبي 3 /315

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الـ سبب الذي دعاهم إلى هذا التمنيَّ: هو الاغترار بالحياة الدنيا، وإنّ هذا الصـــنف من الناس متكرر في كل زمان حيث تســـتهوي زينة الأرض بعض القلوب، وتبهر الذين يريدون الحياة الدنيا ولا يتطلعون إلى ما هو أكرم وأعلى منها، فلا يـ سألون بأي ثمن ا شترى صاحب الزينة زينته؟ ولا بأيَّ الوسائل نال ما نال من عرض الحياة، من مالٍ أو منصب أو جاه، ومن ثم تتهافت نفوســـهم وتتهاوى، كما يتهافت الذباب على الحلوى ويتـ اوى، ويـ سيل لعابهم على ما في أيدي المحظوظين من متاع، غير ناظرين إلى الثمن الباهظ الذي أدّوه ولا إلى الطريق الدنس الذي خاضوه، ولا الوسيلة الخسيسة التي اتخذوه [36] .

[36] انظر: تفسير الظلال ز/2713

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذا الصـــنف توهم أن الحظ العظيم هو الزينة الدنيوية ولا يعلمون أن مصـــيرها إلى الفناء. ويبين القرآن الكريم في الجهة المقابلة موقف أولي العلم أ صحاب الإيمان الرا سخ الذين لم يغتروا بالحياة الدنيا فهؤلاء أنكروا على المبهورين بقارون وكنوزه حيث قالوا لهم فيما أخبر القرآن عنهم: (ويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحاً ولا يلقاها إلا الصابرون) فأهل العلم نظروا إلى ما عند قارون على أنه لا يساوي شيئاً لأنه مبنيٌّ على أســـس غير ســـليمة وبعيدة عن منهج الله تعالى وكذلك وجّهوا المفتونين بهذه الكنوز إلى طلب ما عند الله تعالى فهو خير من قارون وملكه. قال أهل التفســـير أي لا يلقى هذه الكلمة التي قالها الذين أوتوا العلم أو لا يُلقّى الجنة إلا الصابرون [137] .

[137] تفسير ابن كثير: 3/486 – انظر تفسير القاسمي 13/327 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن ثواب الله تعالى لا يبحث عنه إلا الصـــابرون على فتنة الحياة وشهواتها وملذاتها وهذه مرتبة لا يبلغها إلا أصحاب العلم والإيمان.

و لقد بلَغ قارون قمة الطغيان والكبر فا ستحق عقاب الله و سخطه وعذابه فخســف به وبداره الأرض، ابتلـ ته الأرض لا أحد ينصـــره ولا يـ ستطيع أن ينتـ صر بما يملكه من كنوز وأموال وجاه، والجزاء من جنس العمل، جزاء وفاقاً قال تعالى: (فخـ سفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينـ صرونه من دون الله وما كان من المنتـ صرين). بقيت قـ صة قارون عـظة وعبرة فهي دعوة إلى الناس أن يحذروا من الوقوع فيما وقع به قارون فيحلّ بهم ما حلّ به.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن هذا المشـــهد من الخســـف بقارون وملكه جعل الفئة المفتونة والمغرورة تستيقظ من غفلتها. قال تعالى فيما أخبر عنهم: (وأصبح الذين تمنّوا مكانه بالأمس يقولون: ويكأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر لولا أن منَّ الله علينا لخسف بنا ويكأنه لا يفلح الكافرون). عرفوا متأخرين أن هذا ابتلاء وأنّ الله أراد بهم خيراً إذ لم يعطهم ما أعطاه لقارون، ولكن أين منزلتهم من منزلة الصـــابرين أولي العلم الذين عرفوا هذا المعنى قبل الخسف بقارون.

وبعد انتهاء قصـــة قارون جاء التعقب القرآني يوجه القلوب والأنظار إلى البعد عن الاغترار بالحياة الدنيا قال تعالى: (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فســـاداً والعاقبة للمتقين).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن المتقين هم الذين لم يقعوا في مغريات الحياة الدنيا، وهم الذين يدعون الناس إلى أن تكون الآخرة أكبر همّهم ومبلغ عملهم، وهم الذين يتقون الله تعالى في ت صرفاتهم و سلوكهم فا ستحقوا تأييد الله ومعونته في الدينا وثوابه في الدار الآخرة، وصفتهم الآية القرآنية أنهم لا يبتغون العلو والإف ساد في الأرض وإنما يـ سعون بالإ صلاح ما ا ستطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

وفي القصـــــة القرآنية نموذج آخر من النماذج التي اغترت بالحياة الدنيا، فها هي آيات الله تعالى ت سرد لنا ق صة صاحب الجنتين مد نة ما وصل إليه ذلك الرجل من الطغيان قال تعالى: (واضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما ج تين من أعنابٍ وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعاً كلتا الجنتين آتت أكلها ولم تظلم منه شيئاً وفجرنا خلالهما نهراً، وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره أنا أكثر منك مالاً وأعزّ نفراً ودخل جنّته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو ظالم لنفسه قال ما أظنّ أن تبيد هذه أبداً وما أظنُّ الساعة قائمة ولئن رُدِدتُ إلى ر ي لأجدنّ خيراً منها منقلباً، قال له صـــاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثمَّ من نطفة ثمَّ ســـوّاك رجلاً لكنّا هو الله ر ي ولا أ شرك بر ي أحداً ولولا إذ دخلتَ جنَّتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله إن ترن أنا أقلّ منك مالاً وولداً فعســـى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء فتصبح صعيداً زلقاً أو يصبح ماؤها غوراً فلن تستطيع له طلباً وأحيط بثمره فأصبح يُقلِبُ كفيه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عروشها ويقول يا ليتني لم أشرك بر ي أحداً ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هنالك الولاية لله الحق هو خير ثواباً وخيرٌ عقباً [38] .

[38] سورة الكهف الآيات: 32 – 44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تُبرز لنا هذه القصة نموذجين مختلفين في نظرتهما للحياة، النموذج الأول رجل مؤمن لا يملك من مظاهر الدنيا شـــيئاً، إلا أنه يملك إيماناً عميقاً وعنده ثقة بما أعدّه الله لعباده من حســـن الثواب. والنموذج الثاني رجل صـــاحب مال، حيث رزقه الله تعالى جنّتين من أعناب، وهاتان الجنتان محاطتان بأشـــجار النخل، وبينهما الزروع ويتفجر بينهما نهر ، اغتر ذلك الرجل الكافر بما عنده من متاع الدنيا فدخل جنته وهو ظالم لنف سه، وممتلئ بالغرور، يختال على صاحبه ويتيه عليه وتبطره النعمة، يفاخره بجنته ويُعَجِّبه منها وقد وصـــل إلى درجة الكفر بالله تعالى حيث أنكر المعاد وأنكر فناء هذه الجنة ثم تبجح قائلاً ولئن كان هناك معاد وبعث بعد الموت، ورجعة ومردّ إلى الله ليكونّن لي هنالك أحســـن مما عندي الآن، لأنه لولا منزلتي العالية عند الله وكرامتي عليه ما أعطاني هذا في الدنيا [39] .

[39] انظر تفسير ابن كثير ، 82/

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى عمّا ردّ به المؤمن على كفر صاحبه، صاحب الجنتين: (قال له صـــاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سوّاك رجلاً لكنّا هو الله ربي ولا أشرك بربي أحداً)[140] .

كان هذا الرجل المؤمن معتزاً بالله تعالى محتفظاً بعقيدته لم يُخدع بالمظاهر لدنيوية الزائلة ولم يشعر بالضعف أو الاستسلام، ولم يجامل صاحبه بل تحاور معه بجرأة ويقين ثابت لا يتزعزع وأر شده إلى النعم التي أنعم الله تعالى بها عليه وذ هه إلى أصـــل خلقه ثم إن الله تعالى عدّله وكمّله إنساناً ذكراً بالغاً مبلغ الرجال.

ذكر الزمخ شري أن الرجل المؤمن جعل صاحبه كافراً بالله جاحداً لأنعمه لشكّه في البعث بعد الموت، كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافر[141] .

---

[140] سورة الكهف آية: 37

[141] تفسير الزمخشري ١/722

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعد أن ردّ المؤمن على كفر صـــاحبه، ردّ عليه غروره وافتخاره عليه بماله وتعييره بفقره قال تعالى مخبراً عن ذلك: (ولولا إذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لاقوة إلا بالله إن ترن أنا أقل منك مالاً وولد)[42] .

والمعنى: هلاّ إذا دخلت إلى جنتك ونظرت إلى ما رزقك الله منها، وأعجبك ما فيها (قلت ما شاء الله) فهذه الجنة هي ما شاء الله، فما شاء الله كان وما لم يشـــأ لم يكن، اعترافاً بأنّها وكل خير فيها إنما حصـــل بمشيئة الله وفضله، وإن أمر جنتك بيده: إن شاء تركها عامرة وإن شاء خربها، وقلت "لا قوة إلا بالله" إقراراً منك بأن ما قويت به على عمارتها وتدبير أمرها، إنما هو بمعونته تعالى وتأييده، إذ لا يقوى أحد في بدنه ولا في ملك يده إلا بالله تعالى[43] .

---

[42] سورة الكهف آية: 39

[43] انظر تفسير القرطبي: 0 /406

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم أ شار المؤمن لـ صاحبه بأن تعييره بالفقر وقلة الولد والذ صير لا يبعد أن ينعكس فيه الأمر فقال: فأنا أتوقع من صـــــنع الله أن يقلب ما بي وما بك من الغنى والفقر، فيرزقني بســـبب إيماني جنة خيراً من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته عليك، ويخرّب بستنك بأن ير سل عليها صواعق وآفات سماوية فتصبح تراباً أملساً لا تثبت عليها قدم لملامستها أو يهلكها بآفة ســـفلية من جهة الأرض بأن يصـــبح ماؤها غائراً في الأرض فلن تستطيع وسيلة تدركه بها بالحفرأو بغير.[44] .

وجّه الرجل المؤمن صـــاحبه الكافر وهو يحاوره وأخلص له في الذ صح وحثه على شكر النعم التي أنعم الله بها عليه قبل أن ينزل عذاب من عند الله تعالى، فيمحق هذه الجنة فتصبح كأنها لم تكن.

[44] انظر: المرجع السابق 0 /06، تفسير الزمخشري ! /723

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أن ذلك الرجل الكافر لم يرتدع وبقي على كفره وتجبره فاستحق عقاب الله تعالى. قال سبحانه: (وأحيط بثمره فأصبح يقلّب كفيّه على ما أنفق فيها وهي خاوية على عرو شها ويقول ا ليتني لم أ شرك بربي أحداً ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصراً هنالك الولاية لله الحق هو خيرُ ثواباً وخيرُ عقبا)" [145] .

فالله تعالى له الولاية ينصر أولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم حيث ن ص – فيما فعل بالكافر ـــــ الرجل المؤمن و صدّق قوله وتمنيّه (فعسى ربي أن يؤتين خيراً من جنتك ويرسل عليها حسباناً من السماء) ، يؤيد هذا المعنى قوله تعالى: (هو خير ثواباً وخيرُ عقباً) أي لأوليائه في الدنيا والآخرة.

[145] سورة الكهف الآيتان: 42 – 44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا التعقيب القرآني يو ضّح لنا سنة لا تتبدل ولا تتغير أن من تولى الله فهو المنتصـــر، ومن اء ز بغير الله فهو الذليل والمخذول، وأن العاقبة لهذا الرجل المؤمن الذي وجد الثواب والخير عنده ســـبحانه كما بينته هذه القصة من خلال السياق القرآني.

وتعرض القصـــة القرآنية نموذجاً من نماذج الإيمان الذي لم يغتر بالحياة الدنيا. ففي ق صة ملكة سبأ مع سليمان اختارت هذه الملكة أن تر سل إلى سليمان هدية لعله يكف عن حربها قال تعالى مخبراً عما قالته هذه المرأة: ﴿وإنّي مرسلة إليهم بهديَّة فناظرة بم يرجع المرسلون﴾ [346] .

وقول هذه الملـ كة إعلان لرأي ها وهو عدول ها عن الحرب إلى المهادنة والمسالمة والمدار ة إلى حين، حتى يتبين لها أمر سليمان، وذلك بإرســـال هديّة له تليق به لتنظر ماذا يكون جوابه فلعله يقبل هذه الهدية فيتراجع عن حربها، أو يفرض عليها خراجاً كل عام.

---

[346] سورة النمل آية: 35 .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء في المحرر الوجيز: روي أن هذه الملكة قالت لقومها: إنيّ أجرب هذا الرجل ـــــ تعني سليمان عليه السلام ـــــ بهدية أعطيه فيها نفائس الأموال، فإن كان ملكاً دنيوياً، أر ضاه المال، فعملنا معه بحـ سب ذلك، وإن كان نبياً لم يرضه المال، ولازَمَنا في أمر الدين [147] .

أرسلت هذه المرأة الهدية وفيها نفائس الأموال فلما وصلت سليمان قال لمن جاء بها ما ذكرهُ الله تعالى عن سليمان: (فلما جاء سليمان قال تمدونن بمالٍ فما آتانيَ الله خير ممّا آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون) [148] . عبرّ عن المرسلين الذين جاءوا بالهدية بـــــ (جاء) لما أراد به الرسول الذي يقع على الجمع والإفراد، والتأنيث والتذكير [149] .

---

[147] القاضي عبد الحق بن غالب بن عطية ت(46 هـــــ) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز طبعة دار الكتاب الإسلامي القاهرة ـ 408 هـ ـ 988 م 2 /110

[148] سورة النمل آية: 36

[149] تفسير ابن عطية 2 /110

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قول سليمان عليه الـ سلام (أتمدونن بمال) عدم اكتراثه بذلك المال على كثرته والمعنى أتـ صانعونني وتـ ستميلونني بمال لأترككم على كفركم و شرككم وملككم وأترك دعوتكم إلى الإ سلام؟ فالذي أعطاني الله تعالى من الإســـلام والنبوة والملك والمال خير مما آتاكم بل أنتم قوم لا تعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تُزادون من مـ ل، وبما يُهدى إليكم، لأن ذلك منتهى غايتكم ومبلغ علمكم، ولذلك لا تعرفون سبباً لرضا الغير وفرحه إلا بما يُهدى إليه من متاع الدنيا، هذا هو حالكم، أما حالي فهو خلاف حالكم؛ فلا أرضى منكم بشيء، ولا أفرح به إلا بأن تسلموا، فالإسلام وحده هو الذي أقبله منكم، ولا أبل شيئاً سوا [150] .

[150] تفسير الزمخشري 1/166، تفسير الفخر الرازي 3 /96، تفسير ابن كثير 1/151،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبين هذه القصـــة اســـتعلاء ســـليمان على إغراء المال حيث قال: أتمدونِ بمال فما آتاني الله خير مما آتاكـ ، أرادت الملكة اختبار سليمان هل هو داعية حقاً أو دخيل على الدعوة، وذلك أن أكثر الناس يُفتنون بالمال فظنّت ملكة سبأ أن سليمان عليه السلا م كغيره من الناس تؤثر فيه إغراءات المال إلا أن ســـليمان بهذه الكلمة (فما آتاني الله خير مما آتاكم) و ضع د ستوراً للدعاة بعده أن يترفعوا عن ملذات الدنيا وأن يبتعدوا عن الر شاوى التي أُلبـ ست ثوب الهدية فهدية ملكة سبأ في حقيقتها ر شوة أرادت أن تحقق من ورائها أهدافه .

ومن شـــأن الرســـل جميعاً أنهم في دعوتهم لا يأخذون أجراً ولا يريدون مغنماً دنيوياً. فنوح عليه الـ سلام قال لقومه: (ويا قوم لا أ سألكم عليه مالاً إن أجري إلا على ا ـ)[51] .

[51] سورة هود آية: 29

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى عن نبينا محمد صلى الله عليه و سلم: (قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم أن أجري إلا على الله وهو على كلِّ شـــيء شهيد) [52] .

والحكمة في إعلان رسل الله لأقوامهم أنهم لا يسألونهم أجراً على تبليغهم الدعوة: الابتعاد عما يثيره أهل الباطل من شبهات حول الرسل ودعوتهم وأنهم طلاب دنيا يهدفون من وراء دعوتهم أخذ أموال الناس، فإذا بان الرسل أنهم لا يبتغون الأجر على دعوتهم انقطعت ألسنة المبطلين وخُرست ولم يكن لهم أدنى شبهة يتمسكون بها في اتهامهم رسل الله تعالى. ومعلوم أيضاً أن الرسل عليهم الصلاة والسلام أجرهم على الله تعالى.

[52] سورة سبأ آية: 47

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال مؤمن أ صحاب القرية لقومه: (اتبعوا من لا يـ سألكم أجراً وهم مهتدون) [53] . اتبعوا هؤلاء الر سل فهم لا يـ سألونكم شيئاً من مالٍ وأجرٍ. وهذا الأمر يدعوكم إلى ا ستجابة لهم.

وفي دعوة هود عليه السلام لقومه: (يا قوم لا أسألكم عليه أجراً إن أجري إلا على الذي فطرني أفلا تعقلون) [54] إني فيما أدعوكم إليه من عبادة الله وحده لا أطلب منكم أجر اً عليه فتتهموني بطلب المنفعة لنفسي إن أجري إلاّ على الله الذي خلقني والذي أرسلني إليكم لأبلغكم دعوته. وكذلك الدعاة تباع الرسل عليهم أن يبتعدوا عما يثير التهم والشبه حولهم وأن يترفعوا عن حطام الدنيا الزائل حتى تكون دعوتهم خالصة لله تعالى لا تشوبها شائبة , لا تهمة.

---

[53] سورة ياسين آية:21

[54] سورة هود آية: 51

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث الدعوة إلى بناء السلوك

إن القصة القرآنية تمد الداعية بمجموعة من المعاني والقيم. وتوجهه إلى سلوك الطريق المستقيم. ومن ثم جاءت القصة أيضاً لترسم النموذج الكامل للمعاملة الطيبة والسلوك النموذجي الذي يجب أن يتحلى به الإنسان المسلم. ومن هذه القيم:

أولاً ــ الدعوة إلى إيفاء الكيل والميزان والنهي عن الفساد في الأرض:

ففي قصة (شعيب) عليه السلام مع قومه نموذج للدعوة إلى الخير وحسن المعاملة فقد دعا شعيب عليه السلام قومه إلى الإقلاع عن المفاسد والمنكرات وأمرهم بحسن المعاملة وإيفاء الكيل والميزان، ونهاهم عن بخس الناس أشياءهم، وعن الإفساد في الأرض، والابتعاد عن قطع الطريق. وعن سعيهم الخبيث في تشويه دعوة شعيب. قال تعالى مخبراً عما نهاهم عنه: (فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ(85)وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) [155] .

[155] سورة الأعراف، الآيتان 85، 86

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد كان قوم شـــعيب من المطففين الذين إذا اكتالوا على الناس و وزنوا عليهم لأنفسهم، ما يشترون من المكيلات والموزونات يستوفون حقهم أو يزيدون عليه، وإذا كالوهم أو وزنوهم ما يبيعون لهم يخسرون الكيل والميزان أي ينقصونه فنهاهم شعيب عليه السلام عن ذلك.

وبعد أن نهاهم شعيب عليه السلام عن بخس الناس أشياءهم نهاهم عن الإفساد في الأرض بالكفر والظلم بعد إصلاحها أي بعد ما أصلح أمرها وأهلها الأنبياء وأتباعهم الصالحون العاملون بشرائعهم ومنها: الوفاء بالكيل والوزن وإقامة العدل. وقوله تعالى: (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ) أي إن ما آمركم به، أو أنهاكم عنه هو خير لكم في دينكم ودنياكم، لأن ما آمركم به وأنهاكم عنه هو مما أمرني الله به، والله ربكم لا يأمركم إلا بما هو نافع لكم، ولا ينهاكم إلا عمّا هو ضارٌّ بكم، وإنما تتحقق هذه الخيرية لكم بما أمرتكم به ونهيتكم عنه بشرط الإيمان والتوحيد، وإلا فلا ينفع عمل دون إيمان [56] .

[56] تفسير ابن عطية 3/74، تفسير المنار 3/725

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

نهاهم شعيب عليه السلام أيضاً عن قطع الطريق الحسي والمعنوي أما الطريق الحسي ففي قوله تعالى مخبراً عما قاله شعيب لقومه: (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) أي: لا تجلسوا على كل طريق فيه ممر الناس تتوعدونهم بالقتل إن لم يُعطوكم أموالهم، وتمنعون من يريد المجيء إلى شعيب لسماع دعوته.

وأما عن قطعهم الطريق المعنوي ففي قوله تعالى: (وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا) " أي تبعدون عن دين الله وطاعته من آمن بشعيب بتهديدهم بما يؤذيهم ويضرهم إن ظلوا مؤمنين متبعين شعيباً ودعوته، وتريدون أن تجعلوا دعوة شعيب ذات عوج بما تلقونه من الشبهات الباطلة حولها، وبما تصفونها بما يشينها وينفّر الناس عنها [157] .

[157] تفسير ابن كثير ٢/٢٣١ – ٢٣٢ ، تفسير القرطبي ٧/٢٤٩ بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي القصة نفسها ينصحهم شعيب عليه السلام ويبين لهم أن قليل الحلال خير من كثير الحرام حيث قال لهم فيما أخبر الله تعالى عنه: (بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ) [58] أي ما يفضل لكم من الربح القليل الحلال بعد وفاء الكيل والميزان خير لكم من أخذ أموال الناس عن طريق التطفيف في الكيل والوزن إن كنتم مؤمنين بالله وباليوم الآخر (وما أنا عليكم بحفيظ) أي وما أنا عليكم برقيب، فافعلوا ذلك لله عز وجل لا تفعلوه ليراكم الناس [59] . ثم يبين لهم أنه يريد الإصلاح بقدر الاستطاعة (إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ) [60] أي لست أبغي فيما آمركم به وأنهاكم عنه إلا صلاحكم وإصلاحكم بقدر جهدي وطاقتي بأن تصلحوا دنياكم بالعدل وآخرتكم بالعبادة وما توفيقي في إصابة الحق فيما أريده إلا بالله عليه توكلت في جميع أموري وإليه أنيب أي : أرجع [61] .

---

[58] سورة هود آية: 86

[59] تفسير ابن كثير ٤/456

[60] سورة هود آية : 88

[61] تفسير القرطبي ٩/39 – 90

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولما أ صرّ قوم شعيب عليه الـ سلام على كفرهم بنبيّهم أهلكهم الله تعالى (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ) [62] وفي مو ضع آخر قال تعالى في معرض الحديث عن هلاكهم (فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [63] اجتمع عليهم عذاب يوم الظلة ــ وهي سحابة أظلتهم فيها نار ووهج عظيم ثم جاءتهم صيحة من السماء ورجفة من الأرض [64] .

وبعد هلاكهم تولّى عنهم شعيب عليه السلام قائلاً (يَاقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ) [65] .

من خلال ما تقدم ذكره فالق صة تبين مراعاة الأمانة و ضرورة توفرها فيما يتصل بالشؤون المـ ية، وقد ضرب شعيب عليه الـسلام المثل بالقدوة ، في مجال الن صيحة وح سن المعاملة، وهو حين يأمرهم بترك البخس في أموالهم وموازينهم إنما يريد إصلاح أمرهم بقدر استطاعته.

---

[62] سورة الشعراء آية: 189

[63] سورة الأعراف آية 91

[64] انظر: تفسير القاسمي 7/217

[65] سورة الأعراف آية 93

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً ــ الدعوة إلى العفّة والبعد عن الفواحش:

ومع نموذج آخر للقصة القرآنية في دعوتها إلى التزام السلوك السوي، يتمثل هذا النموذج في قصـــة لوط عليه الســـلام حيث بعثه الله تعالى إلى قومه ليخرجهم مما هم فيه من الانحراف ويدعوهم إلى الله عز وجل وعبادته وحده ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من الفواحش التي اخترعوها لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم وهو إتيان الذكور دون الإناث، وهذا شيء لم تكن بنو آدم تعهده من قبل ولا تألفه ولا يخطر ببالهم، حتى صنع ذلك قوم لوط عليهم لعائن الله فهم أول من سنَّ هذه السنة السيئة كما يفصح عنه قوله تعالى (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ الْعَالَمِينَ)[66] .

قال تعالى مخبراً عما قاله لوط لقومه: (أَ تَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنْ الْعَالَمِينَ(165)وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ)[67] أي تأتون الفاحشة بالذكور وتتركون ما خلق لكم الله من أزواج، بل أنتم قوم تجاوزتم حدود الله[68])

---

[66] الألوسي ــ روح المعاني 9 /115 ، تفسير المنار 8 /59 ، والآية: من سورة الأعراف ورقمها: 80

[67] سورة الشعراء، الآيتان 165 ــ 166

[68] تفسير القرطبي 3 /132

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما كان من قوم لوط إلا أن كذبوه وهدّدوه بالإخراج من قريتهم إذا لم يكف عن الدعوة إلى الله، قال تعالى (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ(167)قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنْ الْقَالِينَ[69]) (أي من المبغضين لا أحبه ولا أرضى به، وإني بريء منكم[70]) ولما يئس لوط من استجابة قومه، دعا الله تعالى أن ينجّيه وأهله ويهلك قومه، قال تعالى: (قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنْ الْمُخْرَجِينَ(167)قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنْ الْ قَالِينَ(168)رَبِّ جِّنِي وَأَهْلِي مِ مَّا يَعْمَلُونَ(169)فَنَجَّيْ نَاهُ وَأَهْ لَهُ أَجْمَعِينَ(170)إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ(171)ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ)[71] وفي سورة هود بيان لكيفية هلاكهم قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ(82)مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنْ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ[72]) (فلما جاء أمرنا) أي عذابنا (جعلنا عاليها سافلها) (وأمطرنا عليها حجارة من سجيل) أي من طين صلب (منضود) متتابع (مسوّمة) أي معلمة (وما هي من الظالمين ببعيد).

---

[69] سورة الشعراء الآيتان 67 ، 168

[70] تفسير ابن كثير 1/333

[71] سورة الشعراء الآيات 167 – 172

[72] سورة هود الآيتان 82 – 83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى، وما هذه الحجارة من كل ظالم من الظلمة ومنهم كفار قريش ومن عاضدهم على الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم ببعيد [373]

ثالثاً ــ التحذير من التحايل على شرع الله تعالى:

ودعت القصة القرآنية إلى التزام السلوك السويّ الذي أمر الله تعالى به وحذرت من التحايل على شرع الله تعالى كما فعل اليهود عليهم لعنة الله. أخبر الله تعالى عن قصة أصحاب السبت كيف تحايلوا على أوامر الله تعالى وماذا حلّ بهم.

قال سبحانه مخبراً عن قصتهم: (وَاسْأَلْهُمْ عَنْ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(63))

[373] انظر: د. محمد الأشقر ــ زبدة التفسير ص296

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ(164)فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنْ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ(165) فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ[174] .

هذه الآيات تتحدث عن قصة قرية من قرى اليهود تقع على شاطئ أحد البحار، وقد حرم الله تعالى على أهل هذه القرية صيد الحيتان يوم السبت ابتلاء لهم وأبيح لهم صيدها في باقي أيام الأسبوع، وكانت الحيتان تأتيهم يوم سبتهم شرعاً في ساحل البحر، فإذا مضى يوم السبت لم يقدروا عليها فمضى على ذلك ما شاء الله. ثم إن طائفة من اليهود تحايلوا على شرع الله وارتكبوا المحظور ولم ينجحوا في ابتلاء الله تعالى.

[174] سورة الأعراف، الآيات: 163 – 166

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

انقسم أهل هذه القرية لى ثلاثة أقسام:

القـ سم الأول: اعتدوا على شرع الله تعالى فا ستحقوا لعنة الله تعالى: (أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَ صْحَابَ الـ سَّبْتِ) [75] وعذّبهم الله تعالى بأن مـ سخهم قردة: (وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [76] وقال تعالى: (فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ) [77] .

وهذا المســـخ إلى قردة هو مســـخ حقيقي كما هو الراجح من أقوال العلماء وذهب بعض أهل التفســـير إلى أن مســـخهم كان معنويّاً وليس حقيقياً، حيث كانوا قردة بأرواحهم وقلوبهم وعقولهم فقط، قال مجاهد: (مـ سخت قلوبهم، ولم يمـ سخوا قردة إنما هو مثل ضربه الله لهم، مثلما ضرب مثل الحمار يحمل أسفاراً) [78] .

---

[75] سورة النساء آية: 47

[76] سورة البقرة آية 65

[77] سورة الأعراف آية: 166

[78] محمد بن جرير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن – طبعة دار الفكر 408 هـ / 988 م / 172/!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أن ابن جرير الطبري ردّ قول مجاهد حيث قال: (القول الذي ذكره مجاهد، قول لظاهر ما دلّ عليه قرآن مُخالف، وذلك أن الله أخبر في كتابه أنه جعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، ومن أنكر شيئاً من ذلك، وأقر بآخر سئل البرهان على قوله وعورض فيما أنكر من ذلك بما به أقر ، ثم يُ سأل الفرق من أثر صحيح أو خبر مـ ستفيض، هذا مع خلاف قول مجاهد قول جميع الحجة ا ي لا يجوز عليها الخطأ والكذب فيما نقلته مجمعة عليه، وكفى دليلاً على فساد قولٍ إجماعها تخطئته)[179] .

القسم الثاني: هم الصالحون الدعاة إلى الله عز وجل الذين لم يرضوا بهذا التحايل على شرع الله تعالى وصيدهم في يوم السبت.

[179] المرجع السابق: 1/173

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

القسم الثالث: هم الساكتون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولم يقوموا بواجب الدعوة إلى الله تعالى، ولم يكتفوا بتقصيرهم بل توجهوا باللوم والاعتراض على الداعاة إلى الله تعالى بحجة أن المعتدين لا ينتهون وأن الله سيهلكهم. ولما وقع العذاب أنجى الله تعالى الدعاة إلى دينه، وسكت عن عاقبة الذين سكتوا على المنكر فالجزاء من جنس العمل.

قال ابن كثير : وقوله تعالى (وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس) فيه دلالة بالمفهوم على أن الذين بقوا نجوا .[380]

ولقد أورد بعض المفسرين تفصيلات في تحديد اسم القرية، وعن طريقة التحايل، وعن أوصاف السمك ... الخ. وذكر شيئاً منها السيوطي في تفسيره الدر المنثور[381] .

وهذه التفصيلات من المبهمات التي سكت عنها القرآن لا فائدة من البحث فيها غالباً ولا يُمكن تحديدها إلا من القرآن والحديث الصحيح.

---

[380] انظر : تفسير ابن كثير ٢/ 248

[381] انظر: جلال الدين السيوطي ت(911 هـ) الدر المأثور في التفسير بالمأثور ـ الطبعة الأولى 1403 هـ ـ 983 م طبعة دار الفكر ٣/ 587 ـ 592

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقصة القرآنية تبين عاقبة التحايل على شرع الله تعالى ففيها تحذير من الوقوع فيما وقع فيه ليهود الذين انحرفوا في سلوكهم ولم يمتثلوا أوامر الله تعالى فاستحقوا اللعنة والعذاب وفي القصة أيضاً تبكيت لليهود الذين كانوا يسكنون المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أمر رسوله عليه الصلاة والسلام أن يواجههم بهذه القصة، وأن يسألهم عنها ـــ سؤال استهزاء وإحراج لهم بأن أسلافهم مسخوا قردة. وتبين القصة كذلك أن الدعوة إلى دين الله تعالى سبيل النجاة من سخط الله وعذابه.

رابعاً ـــ الحث على التوبة والاستغفار:

وفي قصة آدم عليه السلام بيان وإرشاد لسلوك طريق التوبة وذلك أن العبد إن زلت قدمه ووقع في المعصية فإن باب التوبة مفتوح . يقول تعالى: (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا[82]) .

[82] سورة طه آية: 115

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبين القصة القرآنية أن آدم عليه السلام نسي العهد الذي هو عدم قربان الشجرة التي نُهي عن الأكل منها وأزلّه الشيطان. والنسيان الذي حصل لآدم وزوجه بسبب عدة أمور منها:

أ: إن إبليس قد غرّهما باليمين وكان آدم يظن أنه لا يحلف أحدٌ بالله كاذباً فغرَّهُما بوسوسته وقسمه لهما: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنْ النَّاصِحِينَ[683]) .

ب: قابلية الإنسان للوقوع في الخطيئة، وهذه القابلية ناتجة من طبيعة الإنسان، فقد خلقه تعالى على طبيعة تجعل وقوعه في المعصية أمراً ممكناً، لما في طبيعته وما جبله الله عليه من ميول ورغبات وغرائز هي جوانب الضعف في الإنسان، من خلالها ينفذ الشيطان بوساوسه إليه، ويزيّن له الوقوع في الخطيئة، ومن غرائز الإنسان الكامنة فيه أنه يحب أن يكون خالداً لا يموت، أو معمّراً أجلاً طويلاً كالخلود، ويحب أن يكون له ملك غير محدّد بالعمر القصير المحدد[684] .

---

[683] سورة الأعراف آية: 21 وانظر: تفسير المنار: 7/349

[684] انظر: فسير الظلال: 2/121

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولا يعني هذا الا ستسلام لهذه الغرائز والميول والرغبات، بل لابد للمسلم من أن يضبطها ويجعلها تابعة لأحكام الشرع.

وبعد أن وقع آدم وزوجه حواء في الخطيئة (فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) [385]

ولما سمع آدم وزوجه نداء الله تعالى لهما، وما تضمنه من العتاب على أكلهما من الشجرة المنهيّ عنها ندما وحزنا وتوجّها إلى الله تعالى معترفين بالخطيئة تائبين من الذنب ومقرّين بظلم أنفسهما، قال تعالى إخباراً عمّا قالاه:

(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنْ الْخَاسِرِينَ) [386]

وقبل الله تعالى توبتهما قال تعالى: (فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ) [387]

---

[385] سورة الأعراف آية: 22

[386] سورة الأعراف آية: 23

[387] سورة البقرة آية: 37

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإنما اكتفى بذكر توبة آدم دون ذكر توبة حواء زوجه لأنها كانت تبعاً لـ[88] واصطفى الله تعالى آدم عليه السلام كما قال تعالى (وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى(121)ثُمَّ اجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى)[89] .

وفي قصة آدم عليه السلام دعوة للإنسان إلى السمو الروحي والتغلب على عوامل الشر في نفسه ، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن فتح لهم باب التوبة فإذا زلت قدم العبد ووقع في الخطيئة ، فالتائب من الذنب كمن لا ذنب له .

[88] انظر: محمد الرازي ضياء الدين عمر، ت(604 هـ) التفسير الكبير ومفاتح الغيب ـ الطبعة الثالثة ـ دار إحياء التراث، بيروت، 1/26

[89] سورة طه الآيتان: 121 ـ 122

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل الخامس

زاد الدعاة في تبليغ الدعوة من خلال القصة القرآنية

تمهيد :

الدعوة إلى الله تعالى هي مهمة الرســـل والأنبياء ومهمة ورثتهم من الدعاة إلى الله تعالى إلى يوم الدين.

ولابد للداعية أن تكون دعوته على بيِّنة وبصيرة بما يدعو الناس إليه، ومن هنا فإن الداعية حتى يكون ناجحاً في دعوته ومؤثراً في المدعوّين عليه أن يتزود بزاد الإيمان أولاً وهذا الزاد إذا خالد ت بشاشته القلوب صدّقه العمل، فالإيمان بالله تعالى هو نقطة البداية الصحيحة في مسيرة الإنسان ، والزاد الثاني هو العلم ، لأن العلم يزكي النفوس، ولا يستطيع الداعية أن يرشد المدعوّين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا إذا كان ذا علم عميق بما يدعو إليه ، والزاد الثالث هو الأخلاق، والأخلاق في الإسلام تتبوأ موقعاً من أعظم المواقع، قال صلى الله عليه وسلم: "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق 390)

ومن هذا المنطلق وجب على الداعية إلى الله التحلّي بالخلق الحســـن لأنه يحمل راية الدعوة والأنظار إليه أ سرع، والنقد عليه أ شد ولذلك فإن تخلقه بالخلق الكريم أ جب لما يتحمله من مهّمة عظيمة ألا وهي مهمة الأنبياء.

وسيكون الحديث في هذا الفصل عن:

المبحث الأول: الإيمان بالله تعالى وتعميق الصلة به.

المبحث الثاني: العلم والبصيرة بما يدعو إليه الداعي.

المبحث الثالث: أدب المناظرة والجدل بالتي هي أح سن والتحلي بالأخلاق الح سنة (الصبر، التقوى، الحلم، اللين، التواضع، الثقة بنصر ا ...) .

390 رواه أحمد بن حنبل ت. (64 – 241 هـ) المسند – شرحه و صنع فهارسه حمزة أحمد الزين – الطبعة الأولى 1416 هـ – 995 م دار الحديث – القاهرة – 3932/ ا – و الحديث صحيح الإسناد – رواه الحاكم في المستدرك ! /613 و قال على شرطهما و وافقه الذهبي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول الإيمان بالله تعالى وتعميق الصلة به

يهدف القرآن الكريم أن يكون الإيمان هو الأساس الذي يقوم عليه المجتمع المسلم، وأن يكون هو الرابطة الأولى بين المســـلمين. ويجب أن يكون هذا الإيمان ابتاً لا تؤثر فيه المحن والشدائد، وهو ضروري لكل مسلم وضرورته للدعاة كد خاصة في هذا الوقت الذي غ ب فيه حكم الإسلام عن الساحة، وكثرت فيه الشبهات التي تُثار من هنا وهناك بقصد ويض أركانه.

وبالرغم مما يثيره أدعياء الإسلام من شكوك فإنه ينبغي على الدعاة إلى الله تعالى خا صة أن لا يت سرب ال شك إلى قلوبهم وأن يظلوا مو صولين بدعوة الحق باحثين عن العلاج لما آل إليه حال المسلمين.

والق صص القرآني مليئ بالنماذج العظيمة التي ضربت أروع الأمثلة في الثبات على الإيمان ومن هذه القصص.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. قصة نوح عليه السلام:

جاءت هذه لقصـــة لتبين حقيقة الصـــلة التي يجب أن تربط بين المؤه يز ، صلة الإيمان، ،إذا انتفت هذه الـ صلة فقد انتفى ما سواها من الـ صلات، حتى لو كانت بين ! بن وأبيه.

قال تعالى ، خبراً عن الحوار الذي دار بين نوح عليه الســـلام وابنه: (... ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بنيّ اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي إلى جبل يع صمني من الماء قال لا عا صم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضـــي الأمر واســـتوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين، وذ ى نوح ربه فـ ال رب إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال يا نوح إنه ليس من أهلك إنّه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين، قال رب إنيّ أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وإلا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين 391)

أخبر ا القرآن الكريم أن نوحاً عليه ا سلام دعا ربه أن ينتقم من قومه. قال تعالى مبيّ ا ذلك: (فدعا ر ه أ ي مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب ا سماء بماء منهمر وفجّرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قُدر. وحملناه على ذات ألواح ودُسر. تجري بأعيننا جزاء لمن كان كفر 392)

استجاب الله تعالى دعاء نبيه فأرسل من السماء مطراً غزيراً لم يعهدوه من قبل، وأمر الأرض بأن تتفجرّ منها المياه من سائر أرجائها، فاجتمع ماء ا سماء، وماء الأرض ليحصل من جرّاء ذلك الطوفان العظيم الذي قدّره الله لهلاك الكافرين بدعوة نبيه، ومهيئاً سبيل ا جاة لنوح ومن آمن معه على السفينة.

---

(91) سورة هود الآيتان: 42 – 47

(91) سورة القمر الآيات: 10 – 14

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تذكر نوح في بدء الطوفان ابنه ودفعته عاطفة الأبوة أن يناديه يركب في السفينة، إلا أن الابن لم يستجب لنداء أبيه، وأصر على عصيانه، وظن أن لجوءه إلى قمة الجبل ينجيّه من . رق الذي قدّره الله على الكافرين المعاندين ـــــ ولكن لا س هناك قوة تردّ عنه عذاب الله تعالى، فهلك مع الهالكين.

ثارت أحاسيس الأبو ة في قلب نوح على ابنة فتوجه يسأل ربه أن ينجيّ ابنه ألم يعده ربه من قبل بأنه سينجيه مع أهله وابنه من أهله، والله إذا وعد وفىّ بوعده وهو أعدل العادلين.

قال ابن كثير: في تفســـير قوله تـ الى: (قال ربِّ إنَّ ابني من أهلي) وهذا سؤال استعلام وكشف منه عليه السلام عن حال ولده الذي غرق.

أجاب الله نوحاً بأن ابنه الكافر ليس من أهله الذي وعدهم بالنجاة لأنه لم يؤمن بل استمر على كفره، وإنما وعده الله تعالى بنجاة من آمن من أهل 393)

(393) انظر: تفسير ابن كثير 2 /429

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وربما يكون هذا لدعاء من نوح عليه السـلام في أثر ندائ لابنه الذي تخ ف عن السفينة ودعاه إليها فلم يستجب وهذا قبل . رق وقبل أن يحول الموج بينهم 394)

ندم نوح عليه السلام على ما بدر منه من سؤال الله تعالى ما ليس له به علم ـــــ ولـ سان حاله : إنّي اعتـ صم بك يارب و حـ ي بك أن أ سـ لك بعد الآن ما لا يرـ ضيك وإن لم تتفضل عليّ بمغفرتك وترحمني بفضلك أكن في عداد الخاسرين. فالقصة تبينّ إن الوثـ ـة التي يجتمع عليها الناس في هذا الدين ليست وثـ ـة الدم والذسب وليست وثـ ـة الأرض والوطن، وليست وثـ ـة اا وم والعشيرة، وليست وشـ ـة اللون واللغة، ولا الـ نس والعنصـ ـر، ولا الحرفة والطبقة إنها وشـ ـة العقيدة.

(394) انظر: تفسير المنار 2 /83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أما الو شائج الأخرى فقد توجد ثم تنقطع العلاقة بين الفرد والفرد، وإ ن الله تعالى لنوح لماذا لا يكون ابنه من أهله؟ إنه عمل غير صـــالحٍ). إن وشـــ جة الإيمان قد انقطعت بينكما يا نوح: فلا تسألن ما ليس لك به ع لـ) فأنت تحسب أنه من أهلك، ولكن هذا الحسبان خاطئ، أما المعلوم المس قن أنه ليس من أهلك، ولو كان هو ابنك من صلبك 395)

وهذا هو المعلم الواضح البارز على مفرق الطريق بين نظرة هذا الدين إلى الوشـــ ائج والروابط، وبين نظرات الجاهلية المتفرقة تجعل الرابطة آناً هي ا دم والنســـب، وآناً هي الأرض والوطن، وآناً هي القوم والعشـــيرة، وآناً هي اللون واللغة، وآناً هي الجنس والعنصـــر، وآناً هي الـ رفة والطبقة، وكلها تصـــورات جاهلية ــ على تفرقها أو تجمعهاّ ــ تخالف مخالفة أصيلة عميقة من أصل التصور الإسلامي.

(95 تفسير الظلال ا /1886

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتبين القصة أن صورة الذنب كانت حاصلة من أقوى الوجوه، ولكن لما انتفت قرابة الدين لا جرم دفاه الله تعالى بأبلغ الألفاظ وهو قوله (إنه ليس من أهلك 396)

لقد استعلى نبيّ الله على العاطفة، ورضي بحكم الله فلا لحاجة ولا لتواء، ولا معذرة، بل تسليم مطلق، وانباعٌ لما يحب الله ويرضى وإعراضٌ عما يكره ويبغض.

. قصة مؤمن آل فرعون في دفاعه عن موسى عليه السلام:

لقد كان هذا الرجل صاحب موقف كبير لن يُنسى على مر الأجيال. قال تعالى ذاكراً مقولته: (وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب 397)

396 المرجع السابق ا /1886 بتصرف تفسير الرازي 8 / 3-

397 سورة غافر آية:28

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

امتلأ قلب هذا الرجل بإيمان راســـخ قادر على أن يواجه الباطل والطغيان بقوة وثبات، وكان مؤمن آل فرعون يكتم يمانه ثم أظهره عندما شـــعر أن الخطر بلغ مبلغه وذلك عندما قال فرعون الطاغية: (ذروني أقتل موسى وليدع ربه ي أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الف ساد 398 قال صاحب الظلال: (فهل هناك أطرف من أن يقول فرعون الضال الوثني، عن موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـــــ إنيّ خاف أن يبدّل دينكم، أو أن يظهر في الأرض الفساد. أليـ ت هي بعينها كلمة كل طاغية مف سد عن كل داعية م صلح؟ أليـ ست هي بعينها كلمة الباطل الكالح في وجه الحق الجميل؟ أليـست هي بعينها كلمة الخداع الخبيث لإثارة الخواطر في و جه الإيـمان الـهادئ؟ إ نه منطق وا حد، يتكرر كلـما التقى الحق والباطل، والإيمان والكفر، والصـــــلاح والطغيار ، على توالي الأزمان واختلاف المكان. والقصة قديمة مكرورة تعرض بين الحين والحين 399)

---

398 سورة غافر آية:26

399 في ظلال القرآن ؛ /3078

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد خاطب الرجل المؤمن الناس بقوله فيما أخبر الله تعالى عنه: (وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد، يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع، وإن الآخرة هي دار القرار، من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها. ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يُرزقون فيها بغير حساب ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار تدعونني لا كفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم. وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار، لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردّنا إلى الله وأنّ المسرفين هم أصحاب النار 400)

طلب هذا الرجل المؤمن من الناس اتباع دعوته بعد ذكرهم بما حلّ بالأمم السابقة من العذاب (وقال الذين آمن يا قوم إني أخاف عليكم مثل يوم الأحزاب مثل دأب قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم ومالله يريد ظلماً للعباد 401) كأنه يقول لهم انظروا ما حلّ بالأمم التي طغت وعصت من عذاب الله وبأسه.

---

400 سورة غافر الآيات 8 – 43

401 سورة غافر آية 0 –31

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان قد ذ ر كذلك بما ينتظرهم من عذاب يوم القيامة، يوم اتـ اد (يا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد، يوم تولّون مدبرين ما لكم من الله من عاصـــم ومن يضلل الله فما له من هاد 402)

وهذا الذي ذكرهم به الرجل المؤمن ـــــ من المجازاة بالحسنات والسيئات وأن الجزاء من جنس العمل ـــــ يعتبر ســنة من ســنن الله أي قانوناً عاماً في المجازاة، لا يتخلف ولا يتبدل وهو: من عمل سيئة ــ وأعظمها الشرك والكفر بالله ـــــ فلا جـ ى من العذاب إلا بقدر ما تستحق سيئته من الجزاء لأن الزيادة على مقدار جزاء السيئة الذي تستحقه ظلم (وما الله يريد ظلما للعباد) (ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى) وعلى رأس العمل الصـــالح: لا إله إلا الله، يقولها ويعمل بمقتضاها، وهو مؤمن بالله ورسله، وما يجب الإيمان به، فهذا يجزى على عمله الصالح بغير حساب، فقوله (بغير حساب) واقع في مقابلة (إلا مثلها)

402 سورة غافر آية 2 –33

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يعني: أن جزاء السيئة له حساب وتقدير لئلا يزيد على ستحقاقها من الجزاء، وأما جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب بل ما شاء الله تعالى من الزيادة على ما يستحقه هذا العمل الصالح من الجزاء، لأن هذه الزيادة فضل والله ذو الفضل العظيم [403]

ثم إن هذا الرجل صاحب الإيمان العميق بعدما قدّم دعوته، وبين أن هذه الدعوة فيها النجاة، ودعوة فرعون فيها الهلاك قال لهم: (فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد) ، لقد أقام هذا الرجل الداعية الحجة عليهم، وبينّ لهم طريق النجاة من عذاب الله تعالى وربحهم في الآخرة، وحثهم على طاعة الله تعالى، وحذّرهم من سلوك السبيل المؤدي سخط الله وعقابه. إن الإيمان العظيم عند هذا الرجل كان الدافع والمحرك له في تضحيته للدفاع عن دعوة الله تعالى.

403 انظر : تفسير الزمخشري 3/ 68 ، تفسير الرازي 27/ 9 -70

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهذا الرجل نموذجٌ من نماذج الإيمان الثابتة على دينها، والمتوكلّة على ربها لا تخشى في الله لومة لائم.

والله تعالى لا يخذل أولياءه ولا يُ سلمهم فوقاه الله سيئات ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب، النار يُعر ضون عليها غدواً وع شاً ويوم تقوم الـ ساعة أدخلوا آل فرعون أشدّ العذاب[104])

. قصة أصحاب الكهف:

من النماذج الإيمانية العظيمة التي ضـــربت أروع الأمثلة في الثبات على الإيمان (أصحاب الكهف).

قال تعالى مخبراً عن قـ صـ تهم: (إ هم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقـ لوا ر نا ربُّ السماوات والأرض لن ندعو من دونه إلهاً لقد قلنا إذ شـ طاً، هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بـ ن

[104] سورة غافر الآيتان: 43 ــ 45

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن أظلم ممن فترى على الله كذباً وإذا اعتز ت وهم و ما يعبدون إلا الله فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته ويـ يّـ ء لكم من أمركم ٍرفقا [405] .

لقد كان موقف هؤلاء الفتية أن اعترفوا لله بالوحدانية و شهدوا أن لا إله إلا هو وزادهم الله توف اً وهدى. وربط الله تعالى على قلوبهم بالإيمان فقويت بال صبر على هجر الأوطان [406] ورغد العيش، والنعيم الدنيوي، وفرّوا بدينهم، وصـــــدعوا بكلمة الـ ق لا يخافون في الله لومة لائم وأعلنوها صـــــريحة أنه لا إله إلا هو، ولا يعبـ ون من دونه أحداً.

وكل توجهٍ بالعبادة إلى غيره باطل وكذب وبهتان لن يصـــــدر عنهم أبداً. وبينوا أن قومهم لما عبدوا غير الله تعالى من الأصنام ونحوها من الآلهة الباطلة لم يكن لهم دليل ولا رهان، فهم ظالمون في حق الله ؛فترائهم عليه بأنّ في رتبته شركاء يـ ساوونه فيها. لقد كان موقف هؤلاء الفتية وا ضحاً صريحاً وحا سماً. لا ترددّ فيه ولا تلعـ م، إنهم فتية أ شداء في أجـ سامهم وإيمانهم. أ شداء في ا ستنكار ما عليه قومهم.

---

[405] سورة الكهف الآيات: 13 ــ 16

[406] انظر: تفسير الزمخشري ؛/'07 ، تفسير ابن كثير ؛/72

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وحين تتباين الطريقان، ويختلف المذ جان، فلا ســـبيل إلى الالتقاء ولا للمشـــاركة في الحياة. بل لابد من الفرار بالعقيدة. إنهم ليســـوا رســـلاً إلى قومهم فيواجهوهم بالعقيدة الصحيحة ويدعوهم إليها، ويتلقوا ما يتلقاه الرسل . إنما هم فتية تبنَ لهم الهدى في وســـطٍ ظالم كافر، ولا حياة لهم في هذا الوســـط إن هم أعلنوا عقيدتهم وجاهروا بها، وهم لا يطـ قون كذلك أن يداروا قومهم، ويعبدوا ما يعبدون من الآلهة على سبيل التق ة ويُخفوا عبادتهم لله. وعلى الأرجح أن أمرهم قد كشف. فلا ســـبيل لهم إلا أن يفروا بدينهم إلى الله، وقد التجأوا إلى كهف خشـــن ضـــيّق اختاروه على زينة الحياة لدنيا. إنهم يستروحون رحمة الله و حس ونها ظلـ ة سيحة ممتدة (ينـ شر لكم ربكم من رحمته)، ولفظة "ينـ شر" تُلقي ظـ لال الـ سعة والبـ وحة والـ نف ساح، فإذا الكهف فـ ضاء فـ سيح رحيب و سيع تنتـ شر فيه الرحمة وتتـ سع خيوطها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إنه الإيمان ! وما قيمة الظواهر؟ وما قيمة القيم والأوضاع والمدلولات التي تعارف عليها الناس في حياتهم الأرضـــية. إن هناك عالماً آخر في جنبات القلب المعمور بالإيمان، المأنوس بالرحمن عالماً تظلله الرحمة والرفق والاطمئنان والرضوان [107] .

فالقصة تبين أهمية التزود بزاد الإيمان، لقد سكن الإيمان سويداء قلوبهم، فاستمسكوا به واعتصموا بربهم، وخلد التاريخ ذكراهم، وسميت السورة باسمهم رفعة لشأنهم، فهم فتية فرّوا من الوثنية إلى الوحدانية وارتضوا جوار الله تعالى

[107] انظر: تفسير الظلال 4/2262 بتصرف .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. قصة أصحاب الأخدود:

خلاصة هذه القصة أن ملكاً ظالماً كافراً أسلم أهل بلده، فأمر بالأخدود في أفواه سكك [408]، وضرمت فيها النيران، ثم أمر زبانيته وجنوده أن يأتوا بكل مؤمن ومؤمنة ويعرضـــوه على النار، فمن لم يرجع عن دينه فليلقوه فيها ففعلوا حتى جاءت مرأة ومعها صبيٌّ لها فتقاعست أن تقع فيها فقال لها الغلام يا أمّاه اصبري فإنك على الحق [409] .

جاء في تفسير ابن كثير عند قوله تعالى : (قُتِلَ أصحاب الأخدود):

(... وهذا خبر عن قوم من الكفار عمدوا إلى من عندهم من المؤمنين بالله عز وجل فحرقوهم ـــــ وأرادوهم أن يرجعوا عن دينهم، فأبوا عليهم، فحفروا لهم في الأرض أخدوداً، وأججوا فيه ناراً، وأعدّوا لهم وقوداً يسعرونها به، ثم أرادوهم على الرجوع عن دينهم فلم يقبلوا منهم فقذفوهم فيها) [410] .

---

[408] أفواه السكك: أبوابها الطرق

[409] انظر تفصيل ذلك في: صحيح مسلم ـ كتاب الزهد والرقائق ـ باب قصة أصحاب الأخدود 4/2299

[410] تفسير ابن كثير 4/493

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد أقســـم الله تعالى ســـبحانه بمنازل الســـماء، وبيوم القيامة، وبالأنبياء الشاهدين على أممهم، على ستحقاق أصحاب الأخدود للعن والطرد من رحمة الله، وفي ذلك تـ شويق للقارئ ، أن يتعرف على أحداث القـ صـ . فيثور في ذهنه سؤ ل ؟ من أصـــحاب الأخدود؟ ولماذا اســـتحقوا هذا العذاب كله؟ لابد أنهم ارتكبوا جرماً خطيراً. وهذا التشويق إثارة لحواس الإنسان، فيتهيأ للتلقي ويتأثر بما يتلقى.

لقد أقام أ صحاب الأخدود الأرض طولاً وجعلوها أخاديد، ثم ض رموا فيها النار. فالمـ شهد الأول يـ صوّر هؤلاء الكفرة يحفرون و يو سعون من الحفر، و كلما حفروا، قـ ست قلوبهم، وانطوت على ـ لّ شديد لهؤلاء الذين ـ يلقى بهم في تلك الأخاديد . وليس للمؤمنين ذنب أو جريمة سوى أنهم آمنوا بالله العزيز الحميـ . فمن أجل ايمانهم وعقيدتهم أوقدوا لهم النيران. ـ ا هم القوم الكفرة يريدون أن يـ شـ هدوا نتائج ما فعلوا ... إنهم يريدون أن يـ شفوا غليلهم و يتلـ ذوا في إحراق البـ شر ولذلك جلسوا حول النار وتحلّقوا حافّة الأخدود ليشهدوا ذلك المنظر البشـ [11] .

[11] مقتبس من: محمد قطب ــ نظرات في قصص القرآن ص97 ــ 98

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي الصورة المقابلة، شهد المؤمنين وهم ذاقون إلى تلك النيران و كلهم إيمان وثبات على عقيدتهم مؤمنون بربهم وبدينهم يستقبلون النار وكأنهم يستقبلون روضة من رياض الجنان، وإن الرائحة المنبعثة من أجسادهم لهي أطيب عند الله من رائحة المسك.

وتشير القصة إلى أن كفار قريش ملعونون أحقاء بأن قال فيهم قتلوا كما هو شأن أصحاب الأخدود لما ورد أن السورة وردت لتثبت المؤمنين على ما هم عليه من الايمان وتصبيرهم على أذيَّة الكَفَرَة وتذكيرهم بما جرى ممّن تقدّمهم من التعذيب لأهل الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني العلم والبصيرة بما يدعو إليه الداعي

يجب على الداعي إلى الله أن يكون على علم بأصـــول الدين وقواعده وأحكامه حتى يدعو إلى الله على بصيرة قال تعالى: (قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين)[412].

ولقد تناول القرآن الكريم في قصصه قيمة العلم في مواضع كثيرة منها:

. قصة آدم عليه السلام في سورة البقرة:

قال تعالى (وعلم آدم الأسماء كلها ثمَّ عرضهم على الملائكة فقال انبئوني بأسماء هؤلاء إن كنتم صادقين، قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم، فلما أنبئهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إنيّ أعلم غيب السماوات والأرض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون. وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين)[413].

---

[412] سورة يوسف آية: 108

[413] سورة البقرة الآيات: 31 ــ 34

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن القصة توحي بأن العلم فضله عظيم، فآدم عليه السلام ، خلقه الله تعالى وجعل ا ستعداد للعلم والمعرفة من صميم تكوين ، أي أن الإن سان لا يمكن أن تكمل إنسانيته إلا بالعلم.

و أول ما نزل من الآيات القرآنية قول الله تعالى لنبيه:

"إقرأ با سم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، إقرأ وربك الأكرم الذي علّم بالقلم، علّم الإنسان ما لم يعلم [14].

وهذه الآيات فيها التنبيه على ابتداء خلق الإنسان من علقة، وإنّ من كرم الله تعالى أن علّم الإن سان ما لم يعلمه فـ شرّفه وكرّمه بالعلم، وهو القدر الذي امتاز به آدم عليه الســـلام على الملائكة، والعلم تارة يكون في الأذهان، وتارة يكون في اللسان ، وتارة يكون في الكتابة بالبنان [15].

---

[14] سورة العلق الآيات: 1 ــ 5

[15] تفسير ابن كثير 1/530

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و سـ ا الله عز وجل بدرجات العلماء ـ تى قرنهم بنفسه وملائكته في الشهادة بوحدانيته والإقرار بعدالته: " شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم [16].

ولما كان ضيق الأفق لا يدع للإيمان امتداداً، ولا للإحـ سان منفذاً، قال الله عز وجل: "وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون [17].

وبين أن الضمير الدافع إلى الخير، الوازع عن الشر، المراقب له، الحريص على مر ضاته هو ضمير العالم المـ ستنير الخبير بربه... (أمّن هو انت ناء الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه قل هل يـ توي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟ إنما يتذكر أولوا الألباب [18].

---

[16] سورة آل عمرآن آية: 8 ، انظر محمد الغزالي ــ خلق المسلم ط بلا ص214 ــ 215

[17] سورة العنكبوت آية: 43

[18] سورة الزمر آية: 9

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والعلم الذي يُقبل المســـلم عليه، ويســـتفتح أبوابه بقوة، ويرحل لطلبه من أقصى المشارق والمغارب، ليس علماً معيناً محدود البداية والنهاية. فكل ما يوسع مدارك النظر ، ويزيح الســـدود أمام العقل النهم لى المزيد من العرفان، وكل ما يوثق صلة الإنسان بالوجود، ويفتح له مادا أبعد من الكشف والإدراك، وكل ما يتيح له السيادة في العالم، والتحكم في قواه، والإفادة من خائره المكنونة، ذلك كله ينبغي التطلع له والتضلع فيه، ويجب على المسلم أن يأخذ بسهم منه [419].

. قصة موسى مع الخضر (عليه السلام):

وخلاصة هذه القصة كما جاءت في الصحيحين عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أنه تمارى هو والحربن قيس بن حصن الفزاري في صاحب موسى عليه السلام، فقال ابن عباس: هو الخضر. فمر بهما أبيّ بن كعب الأنصاري رضي الله عنه، فدعاه ابن عباس قال: يا أبا الطفيل، هلمّ إلينا. فإني قد تماريت أنا وصاحبي هذا في صاحب موسى الذي سأل السبيل إلى لقيّه فهل سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر شأنه؟

[419] محمد الغزالي خلق المسلم ص216 ــ 217 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقال أبي : سمعت ر سول الله صلى عليه و سلم يقول: بينما مو سى في ملأ من بني إ سرائيل، إذ جاءه رجل، فقال له: ل تعلم أحداً أعلم ؟ قال: لا فأوحى الله إلى مو سى: بل عبدنا الـ ضر. ف سأل مو سى الـ سبيل إلى لقيّه، فجعل الله له الحوت آية. وقيل له: إذا افتقدت الحوت رجع، فإنك ستلقا . فسار موسى ما شاء أن يسير، ثم قال لفتاه: آتنا غداءنا.

فقال فتى موسى حين سأله الغداء: أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة، فإني نسيت الحوت، وما أن سانيه إلا الـ شيطان أن أذكره: فقال مو سى لفتاه: ذلك ما كنّا نبغ. فارتدا على آثار ا ق صد صاً، فوجدا خ ضراً فكان من شأن ا ما ق صه الله في كتابه [20]. فهذه القصة فيها من الإيحاءات والدلالات و التي منها:

فقول مو سى عليه الـ سلام (لا أب تى أبلغ مجمع البحرين أو أم ضي حقباً). يؤخذ منه الرحلة في طلب العلم، والعزم على مواجهة الصـــعاب، والعقبات التي تحول دونها.

---

[20] البخاري كتاب الأنبياء باب حديث ضر مع موسى علي السلام حديث رقم "614/ " ومسلم كتاب الفضائل باب فضائل الخضر عليه السلام 1847/ .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقول موسى عليه السلام: (هل أ بعك على أن تعلمن مما علّمت رشداً) نأخذ منه أمرين:

الأمر الأول : الأدب في طلب العلم واللد ف في التعبير ومخاطبة العالم حيث قال له: "هل أتبعك؟" بهذا العرض الرقيق، وهذا ! ستفهام ا! سترحاميّ اللطيف. ثم أنا تابع لك ، ولســـت ندّاً لك، ولا متعالماً عليك. و تباعي لك بهدف، ورحلتي إليك ومعك بهدف ، هو أن أتعلم منك وعلى أن تعلمن مما عُلّمت.

الأمر الثاني : هدف من طلب العلم والتعلم، وهو تحصـــيل الرشـــد، "على أن تعلمن مما علّمت رشداً [21]).

ومن إيحاءات القصة : بيان أهمية العلم، حيث علم الله تعالى الخضر من لدنه علماً، وهذه الصفة جعلت له هذه المرتبة والمقام الرفيع.

والقصة تبين كذلك تواضع موسى عليه السلام ــ وهو من أو ي العزم من الرسل ــ في طلب العلم، فالعلم جدير بالطلب ولو كان من رسول . فليفقه الداعي ذلك وليطرد عن نف سه الكبر الذي يمنعه من ا! ستزادة من العلم وأن يتطلع دائماً إلى المزيد من العلم ليكون على بصيرة بما يدعو الناس إليه..

[21] انظر: صلاح الخالدي مع قصص السابقين في القرآن ص210 ــ 211، ختصار.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ا . العلم في قصة داود وسليمان عليهما السلام:

قال تعالى (ولقد آتينا داود و سليمان علماً، وقالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين) [22] . وهذا العلم الذي أشارت إليه الآية: يفسره سليمان بأنه علم اللغات، و سائر أنواع العلم قال تعالى: "يا أيها الناس علمنا منطق الطير، وأوتينا من كل شيء، إن هذا لهو الفضل المبين [23] .

وثمرة العلم العملية ، هي السيطرة على قوانين الطبيعة وقواها المختلفة ليسخرها أهلها في منافع الدولة وهذا ما ينتهه القصة فإن أهل سبأ وملكتهم لمّا أيقنوا أن سليمان عليه السلام ليس ممن يعملون للمال، وأنه لابد آخذهم البأس الماحق إن لم يسلموا، خرجت الملكة في وفد كبير ذاهبة إليه، فلما كانوا ببعض الطريق، أراد عليه السلام أن يحدث آية تدهش القوم، وتلين قلوبهم للإيمان، فقال لجنوده وفيهم من أرباب القوى العجيبة، وأهل العلم "يا أيها الملأ أيّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟

---

[22] سورة النمل آية: 15

[23] سورة النمل آية: 16

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال عفريت من الـ ز : أنا آتيك به قبل أن تقوم من مـ..ـك وإني عليه لقوى أمين، قال الذي عنده علم من الكتاب أنا آتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك فلما رآه مستقراً عنده قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر [24] . فالآية تبين أن الذي عنده علم من الكتاب كيف يـ سخر علمه لـ شيئة الملك العادل، والإمام الفا ضل والنبي الـ صالح؟... وهذا الذي عنده علم من الكتاب هو ممن تف ضل بهم الله على سليمان ليكونوا في خدمة ملكه، فلما تحقق ف ضل الله بتـ سخير هذا العلم عملياً، عترف به فقال: "هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر [25] .

ولم يذكر القرآن الكريم من هو الذي عنده علم الكتاب ولا ا سمه، ولا ماهيّة هذا الكتاب، ولا ماهية هذا العلم الذي أوتيه. وعلى هذا فكل ما يمكن أن يقال:

إنه عبد آتاه الله علماً ا ستعان به على الإتيان بالعرش بتمكين من الله تعالى، وعلى وجه خارق للمعتاد، وفيه دلالة على نبوة ســـليمان وتســـخير الله له ما لم يسخره لغيره.

---

[24] سورة النمل الآيتان 38 ــ 40 وانظر البهيّ الخولي تذكره الدعاة ط5 دار العلم دمشق ص48 ــ 49 بتصرف .

[25] المرجع السابق ص49 بتصرف والآية: 40 من سورة النمل

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

. . قصة يوسف عليه السلام:

مكّن الله تعالى ليوســـف في الأرض وعلمه الله تعالى تأويل الرؤيا. قال تعالى : (وكذلك مكّنا ليوســـف في الأرض ولنعلّمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكّن أكثر الناس لا يعلمون) [26] .

وفي موضع خر قال تعالى (ولما بلغ أشد ه تيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المح سنين) [27] . فقوله تعالى (آتيناه حكماً وعلم) أي سلطاناً في الدنيا وحكماً بين الناس بالحق وعلماً بأمور الدين وبتأويل الرؤيا (وكذلك جزي المحســـنين) تنبيه على أنه كان محســـناً في عمله متقياً ربه، و ن الله تعالى آتاه الحكم والعلم جزاء إحسانا [28] .

ولما دخل يو سف عليه ال سلام ال سجن بتحريض من إمرأة العزيز، ودخل معه السجن فتيان، قصّ الله لنا خبرهما مع يوسف

---

[26] سورة يوسف آية: 21

[27] سورة يوسف آية: 22

[28] انظر: تفسير ابن عطية ٢/470 ــ 471، تفسير ال اسمي ١/209

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: (ودخل معه السجن فتيان، قال أحدهما إ ي أراني أعصر خمراً، وقال الآخر إنّي راني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير فيه ذ ئنا بتأويله إنا نراك من المحســـنين قال لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما ممّا ع مني ربي إ ي تركت ملّة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون) [29] .

فقوله (لا يأتيكما طعام ترزقانه... إلى قوله لكما مما علمني ربي) أي لا يأتيكما طعام رزقانه في يومكما إلا أعلمتكما به وذكرتُ ما هو قبل أن يصـــلكما، وهذا مما علّمني ربي لأني جتنبت ملة الكافرين بالله وباليوم الآخر [30] .

ولما ر ى الملك رؤياه وقصـــها على الملأ وطلب أن يعبرّوا له رؤياه، قال الملأ للملك وما نـ ن بتأويل الأحلام بعالمين، وقال الذي نجا وخرج من السجن من الف ين لذين كانا في السجن مع يوسف، وتذكر بعد مدة قول يوسف عليه السلام (اذكرني عند ربك) أنا أخبركم بتأويل رؤيا الملك بالتلقي عمن عنده علمه لا من تلقاء نفسي فابعثوني إلى يوسف.

---

[29] سورة يوسف الآيتان: 36،37

[30] تفسير ابن كثير ٤/460

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: (وقال الملك إنّي أرى سبع بقرات سمان يأكلهنّ سبع عجاف و سبع سنبلات خضر و خر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أ ضغاث أحلام وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين، وقال الذي نجا منهما و ادكر بعد أمة أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون) [31].

قال تزرعون سبع سنين دأباً فما حصدتم فذروه في سنبله إلا قليلاً مما تأكلون ثم يأتي من بعد ذلك سبع شداد يأكلنَّ ما قدمتم لهنّ إلا قليلاً مما تحصنون ثم يأتي من بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس وفيه يعصرون) [32].

أجاب يوسف عليه السلام عن الرؤيا بقوله: (تزرعون سبع سنين دأبا) أي دائبين مواظبين كل عام، فما حصدتم من الزرع فذروه في سنبله أي لا تدرسوه فإنه أبقى له وأبعد عن الإسراع إلى الفساد إليه إلا المقدار الذي تأكلونه وليكن قليلاً قليلاً لا تسرفوا فيه لتفعوا في السبع الشداد وهن السبع المحل التي تعقب هذه السنوات المتواليات

[31] سورة يوسف الآيتان: 43 ــ 45

[32] سورة يوسف الآيات 46 ــ 49

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهن البقرات العجاف اللاتي تأكل الـ سمان لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سني الخصب وهنّ السنبلات اليابسات وأخبرهم أنهّن لا يُنبتن شيئاً وما بذروه فلا يرجعون منه إلى شيء ثم بـ شرهم بعد الجدبِ العا المتوالي بأنه يعقبهم بعد ذلك عام فيه يُغاث الناس أي أتيهم الغيث وهو المطر وتغل البلاد ويعصـــر الناس ما يعصرون على عادتهم من زيت ونحو [33] .

ولما أخبر الملك بتأويل الرؤيا ـ فـ فـ ضل يو سف وعلمه وحـ سن أخلاقه أمر بإخراجه من السجن.

ولقد ارتفع شأن يو سف عليه الـ سلام في هذه القـ صة بالعلم كما قال تعالى (نرفع درجات من نشا [34] أي بالعلم كما رفعنا يوسف عليه السلام بالعلم (وفوق كل ذي علم عليم) قال ابن عباس: فوق كل عالم عالم إلى أن ينتهي العلم إلى الله تعالى، فإن الله تعالى فوق كل عالم [35] .

---

[33] تفسير ابن كثير، ! /462

[34] سورة يوسف آية: 76

[35] انظر: تفسير البغوي ! /40ا /441

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد وصف الله تعالى أنبياءه بصفة العلم فقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام في دعوته أبيه إلى الدين الحق: (يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطاً سوياً)[36].

وقال تعالى عن لوط عليه السلام: (ولوطاً آتيناه حكماً وعلماً)[37].

وقال تعالى عن داود عليه السلام: (وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون)[38]. قال القرطبي: (هذه الآية أصل في اتخاذ الصنائع والأسباب وهو قول أهل العقول والألباب، لا قول الجهلة الأغبياء القائلين بأن ذلك إنمّا شُرّع للضعفاء، فمن طعن في ذلك فقد طعن في الكتاب والسنة ونسب داود عليه السلام إلى الضعف وعدم المنعة. وقد أخبر الله تعالى عن نبيه أنه كان يصنع الدروع)[39].

---

[36] سورة مريم آية: 43

[37] سورة الأنبياء ية: 74

[38] سورة الأنبياء آية: 80

[39] انظر: تفسير القرطبي 1 /321 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى عن موسى عليه السلام: (ولما بلغ أشدّه واستوى آتيناه حكماً وعلماً وكذلك نجزي المحسنين)[40]. والمعنى لما بلغ موسى شدّة البدن واستوى أي تكامل عقله وحزمُهُ وذلك ببلوغ الأربعين من عمره آتاه الله حكماً أي حكمة وعلماً أي معرفة بشرع إبراهيم عليه السلام وهي مقدمات النبوة[41].

وأمر الله تعالى نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام أن يطلب من ربه المزيد من العلم. قال تعالى: (وقل رب زدني علماً)[42]. أي زدني منك علماً،

وما أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بطلب الزيادة في شيء إلا في العلم[43].

---

[40] سورة القصص آية: 14

[41] تفسير ابن عطية 1/273

[42] سورة طه آية: 114

[43] تفسير الكشاف 3/90

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ . قصة ذي القرنين وبناؤه السد :

أخبر القرآن الكريم أن الله تعالى مكّن لذي القرنين: (إنّا مكّنا له في الأرض)[44] . وأشـــار القرآن الكريم إلى مظاهر هذا التمكين فقال تعالى: (وآتيناه من كل شيء سبباً) وقد فسّر أهل العلم هذا السبب بأنه العلم أي آتيناه علماً تمكّن به من الفتح والنصر والسبب ما توصل به إلى المقصود من علم أو قدر[45] .

والتمكين في الأرض يكون أيضاً بالقوة والرأي والتدبير والسعة في المال والاســـتظهار بالعدد، ولقد أعطى الله تعالى ذا القرنين ملكاً عظيماً ممكّناً فيه من جميع ما يؤتي الملوك من التمكين وآلات الحرب، ويسّر له أسباب الحكم والفتح، وأسباب العمران والسلطان (وآتيناه من كل شيء سبباً) أي: طريقاً موصلاً إليها[46] .

---

[44] سورة الكهف آية: 84

[45] تفسير النسفي 2/ 22

[46] تفسير القاسمي 1/ 83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتذكر القصـــة القرآنية الطريقة العلمية ـــــــ التي ســـبق بها ذو القرنين المعاصرين بقرون عديدة ـــــ في بناء السد لمنع فساد يأجوج ومأجوج . قال تعالى مخبراً عن قول ذي القرنين: (آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً)[47] .

إن القرآن يبين الطريقة المثلى لتقوية البناء وهي مزج الحديد بالنحاس . ولما فرغ ذو القرنين من بناء الســـد عجز يأجوج ومأجوج من التســـلق والظهور عليه ولم يستطيعوا هدمه ونقضه لإحكام بنائه.

ومن هذه القصـــــة القرآنية نرى أنّ ذا القرنين وظّف ما علمه الله إياه في مساعدة عباد الله تعالى ومنع العدوان عنهم، والأمر الثاني ولا يقل أهمية عن الأمر الأول: أنه لابد للدعاة أن يحققوا لأنفسهم أسباب التمكين لتحصيل العلم، ذلك أنّ الداعية مأمورٌ أن يخاطب الناس على قدر عقولهم، وأنّ يبيّن لهم بلســـانهم ليفهموا عنه، ولا يســـتطيع ذلك ما لم يكن بينه وبينهم جســـر مشـــترك من الثقافة، يقرب المسافة بين الدعاة والمثقفين بالعلوم الحديثة.

[47] سورة الكهف آية: 96

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصة القول في هذا المبحث: أن القرآن الكريم عند سرد القصة القرآنية يضمنّها كثيراً من الحقائق والأسرار العلمية والتوجيهية والتشريعية، فمكانة العلم تظهر بصورة واضحة في القصة القرآنية في قصة آدم عليه السلام حين قال الله للملائكة: ﴿إني جاعلٌ في الأرض خليفة﴾[148] واستغرابهم لذلك في أول الأمر حيث قالوا (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ..) ، ثم تسليمهم لآدم بعد أن أثبت اختبار الإلهي تفوقه العلمي. قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال: ألم أقل لكم إنيّ أعلم غيب السماوات والأرض، وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون﴾[149] .

فالقرآن الكريم يشير في هذه القصة إلى أن العلم هو المرشح للإنسان ليقوم بوظيفة الخلافة في الأرض. وفي قصة يوسف عليه السلام، وما فيها من استخدام التخطيط في السياسة الاقتصادية والتموينية للدولة، حيث عاد الخير على أهل مصر والمناطق المجاورة لها بعد التخطيط الناجح ليوسف عليه السلام.

---

[148] سورة البقرة آية: 30

[149] سورة البقرة آية: 33

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قصة سليمان مع ملكة سبأ، د ث تمكّن أحد رجاله ممّن اتصفوا بالعلم أن يأتي سليمان بعرشها قبل أن يرتد إليه طرفه. وفي قصة ذي القرنين وبنائه السد العظيم من الحديد والنحاس المذاب .

ولقد ذكر الله تعالى في كتابه العزيز علو مرتبة العلماء فق ل تعالى: (يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات) [50] . وقال تعالى: (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) [51] .

قال تعالى: (إنما يخشى الله من عباده العلماء) [52] . وفي الصحيحين من حديث معاوية قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من رد الله به خ راً يفقهه في الدين [53] .

فعلى الدعاة أن يتطلعوا دائماً إلى تعلم ما يجهلونه لأن العبد مهما أ تي من علم فهو قليل، قال تعالى (وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً) [54] .

---

[50] سورة المجادلة آية: 11

[51] سورة الزمر آية: 9

[52] سورة فاطر آية: 28

[53] البخاري كتاب العلم باب العلم قبل القول والعمل 1/99 ، مسلم كتاب الامارة باب قوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أم ي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم) 3/1524 .

[54] سورة الإسراء آية: 85

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث أولاً: أدب المناظرة والجدل بالّتي هي أحسن:

ينق سم الجدل إلى مذ وم وممدوح وذلك بحـ سب الهدف والغاية منه، فالجدل الذي يهدف إلى إحقاق الحق وإبطال الباطل ويكون بأسلوب صحيح مناسب وتتوفر فيه آداب المناظرة والجدل فهو الممدوح، والجدل الذي يهدف صـــاحبه إلى حب الظهور والتكبر من غير هدف ولا غاية هو الجدل المذموم.

والداعية إلى الله تعالى يسلك الأسلوب الحسن في محاورته غيره بلا تحامل على المـ ف وبدون ترذيل لقو ه ولا تقبيح حتى يطمئن المدعو ويشـــعر أن هدف الداعية ليس الغلبة ولكنه الإقناع الموصـــل إلى الحق طمعاً في مرضـــاة الله عز وجل، لأن النفس البشرية لها كبرياؤها وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق، والجدل بالحسنى هو الذي يُشعر المجادل أن ذاته مصونة وقيمته كريمة.

فهذا هو المنهج المؤ ر الفاعل الذي يدخل إلى القلوب فيعمّق المشـــاعر ويوقظ الحس بعيداً عن الزجر والتأنيب وعن أســـلوب فضـــح الأخطاء والتجريح والتشهير بالرأي المخالف.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا ، و الأســـلوب الذي التزمه المرســـلون أجمعون في تبليغهم دعوة الله تعالى. فالداعية الناجح هو الذي تأ ى بالأنبياء والمر سلين في منهجهم في الدعوة إلى الله تعالى. و هذا المنهج الربّاني الذي ارتضاه الله تعالى لصفوة خلقه من البشر وهم الأنبياء المرسلون.

وفي القـ صص القرآ ي أمثلة كثيرة تبين ما حـ صل بين الأنبياء والمر سلين عليهم الـ صلاة والـ سلام وأقوامهم من مناظرات التزم فيها المر سلون الأدب الجمّ والخلق العظيم لتبليغ دعوة الله تـ عالى، إلا أن أقوامهم على الـ غا لب قابلوا هذا الأسلوب اللطيف بالـ ذ ة والتكذيب وا ستكبار.

ومن هذه الأمـ ة: ما أخبر به تعالى عن قوم نوح عليه السلام: (قالوا يا نوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصـــادقين)[55] . وفي آية أخرى قال تعالى مخبراً عن مقولتهم: (قال الملأ من قومه إنّا لنراك في ضـــلال مبين)[56] .

---

[55] سورة هود آية: 32

[56] سورة الأعراف آية: 6

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاءهم نبي الله نوح عليه الســـلام لينقذهم ، ما هم فيه من الضـــلال، وينجيّهم من عذاب الله تعالى، خاطبهم نبيّهم عليه الـ سلام بأ سلوب لطيف قوي الحجة حيث ى عن نفسه ما رُمي به من الضلال والسفاهة والمبالغة في الطعن ـــــ حيث أنهم لم يكتفوا برميه بالـ ضلال، حتى و صفوا ضلاله بأنه غاية في الو ضوح والإبانة ــ وبلغهم نوح عليه السلام أنه ر سول من ربهم ناصح لهم حيث خاطبهم عليه السلام بإ ضافتهم إليه قائلاً (يا قوم ليس بي ضلالة ولكني ر سول من رب العالمين أبلغكم ر سالات ربّي وأنصح لكم وأعلم من الله ما لا تعلمون) [57] . أراد نوح عليه السلام بهذا الأسلوب ر قيق أن يكسب وُدّهم ويس ، يل لوبهم لقبول الحق والإذعان له.

ثم بينّ لهم نوح عليه الـ سلام أنه لا داعي للعجب أن تأتيهم ر سالة الله تعالى على لســـان رجل منهم يعرفهم ويعرفونه وينذرهم عاقبة طغيانهم ويدعوهم إلى تقوى الله تعالى.

[57] الأعراف الآية السابقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذلك أن قوم نوح كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين يعنون إرسال البشر ولو شاء ربنا لأنزل ملائكته قال تعالى على لسان نوح: (أوعجبتم أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتقوا ولعلكم ترحمون)[58] . وحاول قوم نوح أن يبرروّا موقفهم في رفضهم دعوة نبيهم عليه السلام قال تعالى مخبراً عنهم: (ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين)[59] .

ادعى قوم نوح أن الله تعالى لو شاء – بزعمهم – إرشاد البشر عن طريق إرسال أنبياء لبعث لهذا الغرض ملائكة، فهم أقدر من البشر على تحقيق هذا الغرض، لعلو شأنهم وشدة سطوتهم، فالخلق ينقادون إليهم ولا يشكّون في رسالتهم، فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً البتة، وقالوا: "ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين) أي ما سمعنا بمثل هذا الذي يدعي، وهو بشر، أنه رسول الله[60] .

---

[58] سورة الأعراف آية: 63 وانظر تفسير النسفي 1/358 بتصرف

[59] سورة المؤمنون آية: 24

[60] تفسير الرازي 23/91

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي مو ضع آخر قال تعالى عما تعلقوا به من شبهة واهية: (ما نراك إلا بـ شراً مـ لنا) [61] . قال الملأ للذين كفروا وجحدوا دعوة نوح عليه السلام أنت يا نوح بشر مثلنا في الجنس لا مزيّة لك علينا تكون بها نذيراً لنا، طيعك ونتبعك مذعنين لنبوتك ورسالتك. فالمساواة في البشرية بينهم وبينه تنافي في زعمهم دعوى تفوق أحد المتساويين على الآخر بجعل أحدهما تابعاً طائعاً، والآخر متبوعاً مطاع [62])

رد نوح عليه السلام على هذه الشبهة بأسلوب مقنع ليّن رقيق حيث بينّ لهم أنه على يقين وأمر جلّي وحجة ظاهرة من الله تعالى فيما جاءهم به من النبوة، وكونهم لم يهتدوا إليها لا يعني هذا بالضرورة أن يكذبوها، بل كان الأجدر بهم أن يعرفوا قدر هذه الرسالة الموصى بها من الله تعالى ويدخلوا في متابعة وطاعة نبيّهم.

---

[61] سورة هود آية: 27

[62] تفسير المنار 2 /51، 62

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبيّن لهم نوح عليه السلام أن الإيمان لا يكون إلا عن رضىً واختيار وقناعة. قال تعالى مخبراً عن ردَّ نوح على قومه: (قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي وآتاني رحمة ، ن عنده فعـ يت عليكم أنلزمـ ، وها وأنتم لها كارهون) [463]

ولما انقطعت حجج قوم نوح الباطلة انقلبوا إلى التهديد، و ـ افة نوح بالأذى أو حتى بالقتل إذا ا ستمر بدعوته، قال تعالى في بيان الحالة التي و صل إليها قومه من الكفر: (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجوم ن) [464] أي من المقتولين كما قال ابن عباس [465] .

تبين القصـــــة القرآنية أن التلطف مع المدعوين هو هدى الأنبياء عليهم الـ صلاة والـ سلام وأن هذا الأ سلوب لا يعني النفاق والمداهنة، ولا الـ سكوت عن الحق، وإنما هو من الخلق الحسن الذي يسـ يل المدعو ويشوّقه إلى قبول الحق.

---

[463] سورة هود آية: 28 ، والكلام مقتبس من تفسير ابن كثير 2/ 424 ، تفسير المنار 2 /53 ــ 64

[464] سورة الشعراء آية: 116

[465] تفسير القرطبي 3 /121

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و مثل هذا الأ سلوب الرقيق المؤثر دعا هود عليه الـ سلام قومه قال تعالى مخبراً عن ذلك: (و إلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون) [66] فكان جواب قوم هود أن ا ستعجلوا نزول العذاب (قالوا أج نا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا ا تنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين) [67] .

عند ذلك قال لهم نبيهم عليه السلام (قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب أتجادلونني في أ سماء سمّيتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا ا ي معكم من المنتظرين) [68] .

قال لهم هود عليه الـ سلام أتحاجونني في هذه الأ صنام التي سمّيتموها أنتم وآباؤكم آلهة، وهي لا تضـــر ولا تنفع، وما جعل الله لكم على عبادتها حجة ولا دليلاً.

وبالرغم من الوعظ المســـتمر من هود عليه الســـلام وجداله معهم إلاّ أنهم بغوا واستكبروا على هود ومن معه من المؤمنين (وقالوا من أشد منّا قوة) [69]

---

[66] سورة الأعراف آية: 65

[67] سورة الأعراف آية: 70

[68] سورة الأعر ف آية: 71

[69] سورة فصلت آية: 15

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عتقدوا أنهم يمتنعون بقوتهم من بأس الله تعالى حين تهددهم هود عليه السلام بالعذاب وقالوا نحن نقدر على دفع العذاب عن أنفسنا بفضل قوتنا فقال تعالى ردّاً عليهم (أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) وقدرة وإنما يقدر العبد بإقدار الله له، فالله أقدر إذن (وكانوا بآياتنا يجحدون) أي بمعجزاتنا يكفرون [170] فالداعية المسلم هو الذي يصبر على الجاهلين. قدوته في ذلك الأنبياء والمرسلون عليهم صلوات الله وسلامه.

وبيّنت القصة القرآنية كيفية التلطف في تبليغ الدعوة في محاورة شعيب عليه السلام لقومه حيث بين لهم أنه رسول أمين مرسل من رب العالمين وأنه لا يريد منهم أجرة على دعوته إنما يرجو الأجر والثواب من الله تعالى قال سبحانه مخبراً عن ذلك (إذ قال لهم شعيب ألا تتقون إني لكم رسول أمين فاتقوا الله وأطيعون وما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) [171] والتلطف ظاهر في قوله ألا تتقون) فهو عرض رقيق ليّن [172] .

---

[170] انظر: تفسير القرطبي 5 /347 بتصرف، والآية: من سورة فصلت رقمها 15

[171] سورة الشعراء الآيات 177 – 180

[172] انظر: تفسير ابن عطية 1 /146

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان شعيب عليه السلام في جداله مع قومه يتسم بقوة البيان والصراحة فيما ينكره عليهم وكان يقال له خطيب الأنبياء لحسن مراجعته قومه، ولفصاحة عبارته وجزالة موعظته [73] .

قال تعالى مخبراً عما قاله الملأ من قوم شعيب (قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودنّ في ملّتنا قال أولو كنّا كارهين قد افترينا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجّانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا وسع ربنا كل شيء علماً على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين) [74] .

---

[73] ابن كثير ١/231

[74] سورة الأعراف الآيتان: 88، 89

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال شـــعيب في ردّه على تهديدهم: أولو كنّا كارهين؟ أي أتجبروننا على ذلك وإن كنّا كارهين له؟ أي على الخروج من القرية أو العود في ملتكم؟ فإن فعلتم ذلك أتيتم شيئاً عظيماً، وإن رجعنا إلى ملتّكم و خلنا معكم فيما أنتم فيه افترينا على الله الكذب في موافقتكم على كفركم. فما ينبغي لنا وما يكون لنا أن نعود في ملتكم إلا أن يشاء الله ذلك و سع ربنا كل شيء علماً، أي علم ما كان وما سيكون، على الله توكلنا، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق أي أحكم بيننا وبين قوم ا واذ صرنا عليهم وأنت خير الفاتحين أي خير الحاكمين، فأنت العادل الذي لا يجور أبد [75] .

وبعدما عجز قوم شعيب عن مقابلة الحجة بالحجة توعدوا نبي الله شعيباً قال تعالى مخبراً عن مقولتهم: (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول وإنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز) [76] .

قال قوم شعيب في ردّهم على ما دعاهم إليه ر سولهم: لا نفهم صحة ما تقول وهذا قول مردود عليهم: فكيف لا يُفهم كلامه وهو خطيب الأنبياء.

---

[75] انظر: تفسير ابن كثير ٢/٤٣٢، تفسير القاسمي ٣/٢٠٩

[76] سورة هود آية: 91

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنت فينا وحيد ليس لك جند ولا أعوان تقدر بهم على مخالفتنا إن أردنا بك مكروهاً، ولولا عشيرتك ومعزتهم علينا لقتلناك بالرجم وهو شر قتلة ـــــ وكان رهطه من أهل ملتهم ولذلك أظهروا الميل إليهم والإكرام لهم، وواجهوه بقولهم وما أنت علينا بغالب ولا ظاهر ولا ممتنع وليس لك عندنا معزة. فرد عليهم شـــعيب عليه السلام: (قال يا قوم أرهطي أعز عليكم من الله) أي أتتركوني لأجل عشيرتي ولا تتركونني إعظاماً لجناب الله تعالى أن تنالوا نبيَّه بمساءة وهو الذي أرسلني إليكم لتبليغكم رسالته (واتخذتموه وراءكم ظهرياً) ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به (إن ربي بما تعملون محيط) قد أحاط بأعمالكم من الكفر والمعصية فلا يخفى عليه شيء منها وسيجزيكم عليها [77].

تبين القصة القرآنية أن قوم شعيب تحوّلوا عن أسلوب الحجة والبرهان إلى أسلوب البطش والإرهاب واستغلال سلطانهم في المجتمع وقابلوا الناصح واللين بالغلظة والشدّة والتهديد فاستحقوا عقاب الله وسخطه.

[77] سورة هود آية: 92 وانظر: تفسير النسفي 2/102، تفسير القرطبي 9/91 ــ 92، ابن كثير 2/439 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي دعوة النبي عل ه الصـــلاة والســـلام أمره الله تعالى أن يدعو إلى ســـبيل ربه بالحكمة والموعظة الحســـنة قال تعالى: "ادعُ إلى ســـبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن [78] .

على هذه الأســـس يرســـي القرآن الكريم قواعد الدعوة ومبادئها، ويرســـم المنهج للرسول الكريم وللدعاة من بعده.

فالموعظة الحـ سنة هي التي تدخل إلى القلوب برفق، وتتعمّق في المـ شاعر بلطف، لا بالزجر والتأنيب في غير موجب، ولا بفضـــح الأخطاء التي قد تقع عن جهل أو حسن نيّة. فإن الرفق في الموعظة كثيراً ما يهدي القلوب الشاردة، ويؤلف القلوب النافرة، ويأتي بخير من الزجر وا تأذيب والتوبيخ، وبالـجدل بالتي هي أحســـن. بلا تحامل على المخالف ولا ترذيل له وتقبيح. حتى يطمئن إلى الداعي ويشـــعر أن هدفه ليس هو الغلبة في الجدل، ولكن الإقناع والوصـــول إلى الحق. فالنفس البشرية لها كبرياؤها وعنادها، وهي لا تنزل عن الرأي الذي تدافع عنه إلا بالرفق،

[78] سورة النحل آية: 125

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

حتى لا تـ شعر بالهزيمة. و سرعان ما تختلط على النفس قيمة الرأي وقيمتها هي عند الناس، فتعتبر التنازل عن الرأي تنازلاً عن هيبتها واحترامها وكيانها. والجدل بالحـ سنى هو الذي يطامن من هذه الكبرياء الحـ سا سة، ويـ شعر المجادل أن ذاته مصونة، وقيمته كريمة، وأن الداعي لا يقصد إلا كشف الحقيقة في ذاتها، والاهتداء إليها. في سبيل الله، لا في سبيل ذاته وذ صرة رأيه، وهزيمة الرأي الآخر [79] وذكر القرآن الكريم أنواعاً من جدال الرسـول عليه الصـلاة والسـلام مع كفار قريش، ولكن مع وضـوح الحق في هذا الجدال. قال تعالى: (أم اتخذوا من دونه آلهة قل هاتوا برهانكم هذا ذكر من معي وذكر من قبلي بل أكثرهم لا يعلمون الحق فهم معرضون) [80] .

---

[479] انظر : تفسير الظلال 4 /2201 – 2202 بتصرف

[480] سورة الأنبياء آية: 24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يلقّن سبحانه نبيه عليه السلام أن يطالبهم بالدليل على قولهم، فالقرآن الكريم وما تقدّمه من الكتب الـ سماوية على خلاف ما تقولونه وتزعمونه، فكل كتاب أنزل على كلٍّ من أر سل ناطق بأنه لا إله إلا الله، ولكن أنتم أيها الم شركون لا تعلمون الحق فأنتم معرضـــون عنه، فهاتوا برهانكم: إما من جهة العقل، وإمّا من جهة الوحي إن كنتم صادقين، ولكنكم أيها الم شركون لا برهان لكم ولا حجة إلا العناد والإصرار على كفركم[81] .

وفي موضع آخر يأمر الله تـ الى نبيّه صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهؤلاء الكفرة من قومه: (قل من يرزقكم من السـ وات والأرض قل الله وإنّا أو إيّاكم لعلى هدى أو في ضلال مبين)[82] .

[81] انظر: تفسير ابن كثير 1/71 ، تفسير الزمخشري 1/111

[82] سورة سبأ آية: 24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يأمر الله تعالى حبيبه عليه الصلاة والسلام أن يقول لمن أشرك بالله ويسأله عن صحة شركه (قل من يرزقكم من سماوات والأرض) أمره أن يقررهم بقوله من يرزقكم ثم أمره بأن يتولّى الإجابة والإقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للإشعار بأنّهم مقرّون به بقلوبهم إلا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأنهم إن تفوّهوا بأنّ الله رازقهم لزمهم أن يُقال لهم فمالكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق [83].

والمعنى أن أحد الفريقين من الموحدين ومن المشركين لعلى أحد الأمرين من الهدى والضلال، وهذا من الكلام المنصف الذي اذا سمعه موالٍ أو منافٍ قال لمن خوطب به قد أنصفك صاحبك، مع ما فيه من دلالة غير خفية على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو في الضلال المبين. ولكن التعرض أوصلُ بالمجادل إلى الغرض، ونحوه قولك للكاذب إنَّ أحدنا لكاذب وخولف بين حرفي الجر الداخلين على الهدى والضلال لأن صاحب الهدى كأنه مستعلٍ على فرس جواد يُركضه حيث شاء، والضال كأنه ينغمس في ظلام لا يرى أين يتوجه [84].

---

(483) انظر تفسير الكشاف ؛ /581

(484) تفسير النسفي ؛ / 42؛ – 325

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأمثلة كثيرة في الآيات القرآنية على جدال الرسول صلى الله عليه وسلم لقومه، وهي تستند على الحجج القوية الواضحة، ولكن العناد والكبر صدّهم عن قبول دعوة الحق والدخول فيها.

ثانياً ــ التحلّي بالأخلاق الحسنة:

يجب على المسلم التحليَّ بالأخلاق الحميدة إذ أنَّ الأخلاق من مقاصد البعثة المحمديّة. وإذا كان التحلي بالخلق الفاضل واجباً على آحاد المسلمين فالداعية التي يحمل شعار الدعوة وينادي بها أحق بالتحلي بالخلق الكريم. وسأعرض بعض الفضائل الخلقية المهمة للداعية من خلال القصة القرآنية:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أ. الصبر:

ذكر الله تعالى الصبر في القرآن الكريم في نحو من تسعين موضعاً. وفي القصة القرآنية نماذج من الدعاة إلى الله تعالى ممّن تزوّدوا بزاد الصبر فاستحقوا ثناء الله تعالى.

قال تعالى مخبراً عن رؤيا إبراهيم في ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام: (فلما بلغ معه السعي قال يا بنيّ إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء من الصابرين فلما أسلما وتلّه للجبين وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنّا كذلك نجزي المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم)[85].

عندما قال إبراهيم عليه السلام لابنه إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر هل تصبر على إمضائي أمر الرؤيا والعمل بظاهرها لأنّ رؤيا الأنبياء وحي، وما رأيته يعتبر أمراً بذبحك ــ أو لا تصبر[86].

[85] سورة الصافات الآيات: 102 ــ 107

[86] تفسير القاسمي 4 /117

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبعده هذه المحاورة التي تدل على قوة إيمان وصبر ويقين من الوالد والابن بدأ التنفيذ الذي يصوره لنا القرآن العظيم: (فلما أسلما و له للجبين) أي فلما تشهّدا وذكرا الله تعالى إبراهيم على الذبح والولد شهادة الموت وقيل: اسلما أي استسلما و نقادا إبراهيم امتثل أمر الله تعالى وإســـماعيل طاعة لله ولأبيه، قال ابن كثير ومعنى تلّه للجبين أي صـــرعه على وجهه ليذبحه من قفاه ولا يشـــاهد وجهه عند ذبحه ليكون أهون عليه [87] .

و لما هوى ابراهيم على ابنه و الســـكين بيده ليذبحه جاء الأمر بايقاف التنفيذ جاء الأمر الإلهي أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا بمعنى حصل المقصود من رؤياك بإضجاعك ولدك للذبح و عزمك على ذبحه و امرارك السكين على رقبة انك ، و بهذا ظهر و انكشـــف انقيادك و انقياد ولدك لأمر الله و كمال طاعتكما لله رب العالمين فلا حاجة للاستمرار و تنفيذ الذبح (إنّا كذلك نجزي المحسنين) و المعنى هكذا نصـــرف عمّن أطاعنا المكاره و الشـــدائد و نجعل لهم من أمرهم فرجاً و مخرجاً كقوله تعالى (و من يتق الله يجعل له مخرجاً) [488]

---

[87] تفسير ابن كثير ا /16

[88] سورة الطلاق آية : 2

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

تبين القصة القرآنية أن ما أُمر به ابراهيم عليه السلام هو اختبار و ابتلاء حيث أُمر بذبح ولده فانقاد طاعة الله تعالى ، و هو اختبار لإسماعيل يصبر ام لا ؟ و قد نجح الوالد و الولد في هذا الامتحان الصعب حيث قال تعالى عن ابراهيم (و ابر اهيم الذي وفّى) [89]

إن في هذه القصة القرآنية بياناً للاستعلاء على ملذات الدنيا و الانقياد و الاستسلام لأمر الله تعالى بكل رضا، فإبراهيم وإسماعيل من النماذج الإيمانية الصابرة والمنقادة لأمر الله وهما أسوة وقدوة للدعاة من بعدهم.

ذكرت القصة القرآنية في موضع آخر من القرآن الكريم ثناء من الله تعالى على أيوب عليه السلام قال سبحانه: (إنّا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أوّاب) [90] .

ذكر المفسرون أسباب ابتلاء أيوب بصيغة التضعيف، فقالوا في ذكرها: ذُكر قيل، روي، والحق أنه لا يمكن الوثوق بشيء ممّا ذكروه وذلك أن غالب ما ذكروه من الإسرائيليات واختراع القصاص.

---

[89] سورة النجم آية : 37

[90] سورة ص آية: 44

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فقد يكون بتلاء أيوب عليه السلام لسبب من العبد، أو بسبب من غيره، وقد يكون امتحاناً من الله لعبده لزيادة ثوابه، أو لإظهار مدى إيمانه، أو لحكمة نجهلها .

ومعلوم أن الأنبياء أ شد الناس بلاء، قال تعالى مخبراً عن دعاء أيوب عليه الـ سلام بعد طول أمد البلاء و صبر على البلاء: وأيوب إذ نادى ربه أنّي مـ سني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له كشفنا ما به من ضرٍ وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين[91] .

فذكر حاله بما يســـتدعي الرحمة به، وذكر ربه بغاية الرحمة طامعاً أن تصيبه وتناله، ولم يصرح أيوب عليه السلام بمطلوبه، وهو كشف الضر عنا[92])

ومع كشـــف الضـــر عن أيوب عليه الســـلام أنعم الله عليه بما ذكره تعالى بقوله: (وآتيناه أهله ومثلهم معهم رحمة من عندنا وذكرى للعابدين) بين الله تعالى أن ما فعله بأيوب من كشـــف الضـــر عنه، وردّ أهله له، وإيتائه مثلهم معهم، إنما فعل ذلك رحمة من عنده سبحانه بأيوب،

---

[91] سورة الأنبياء الآيتان: 83، 84

[92] انظر: تفسير الكشاف 1/130

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتذكيراً لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر وليتأسوا به في الصبر، حتى يُثابوا كما أثيب في الدنيا والآخرة، لأنهم إذا ذكروا بلاء أيوب وصـــبره عليه، وطول محنته فيه، وهو أفضل زمانه، وطّنوا أفسهم على الصبر على شدائد الدنيا، فينالوا ثواب الله كما ناله أيوب عليه السلام[93] .

وفي سورة ص قال تعالى: (رحمة منّا وذكرى لأولي الألباب)[94] . أي أن ما فعله الله تعالى بأيوب هو رحمة منه به لصبره .

تبين القصـــة القرآنية أن الله تعالى يبتلي عباده بما شـــاء ولا حق للعبد أن يعترض على قضـــاء الله تعالى وقدره، والدعاة إلى الله مطالبون بالتأســـي بأيوب عليه السلام في صبره، وأنهم قد يُصابون بمصائب في أنفسهم أو أموالهم بسبب دعوتهم إلى الله فعليهم أن يقابلوا هذه المصائب بالصبر وأن يتذكروا ثناء الله تعالى على أيوب مع ما أعدّه له من الثواب العظيم في الآخرة.

---

[93] تفسر القرطبي 1 /327

[94] سورة ص آية: 43

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والصبر في القصص القرآني أساس من أسس النصر وهذا من أشارت إليه الآيات القرآنية في قصة طالوت. قال تعالى مخبراً عن ذلك (قال الذين يظنّون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا جالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صـــبراً وثبّت أقدامنا وانصـــرنا على القوم الكافرين. فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء..)[95] .

هذه الآيات القرآنية جاءت في سياق الحديث عن قصة وقعت لبني إسرائيل في زمن داود عليه السلام في الأرض المقدسة حيث أخذ أعداؤهم منهم التابوت بسبب تماديهم في الضلال، وعندما شعروا بالذل والهوان طلبوا من نبيهم أن يعين لهم ملكاً منهم يتولى أمورهم ويقودهم إلى الغلبة فعين لهم طالوت ملكاً بعد أن سأل الله تعالى ودعاه فاختار لهم الله طالوت ملكا (إن الله اصطفاه عليكم .

[95] سورة البقرة – الآيتان: 249 – 251

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إلا أن القوم اعترضوا لأنهم كانوا يتوقعون أن يكون الملكُ من بيت الملك وطالوت ليس من هذا البيت وقالوا أ ىّ يكون له الملك علينا إذ هو فقير لم يؤت ســـعة من المال ونحن أحق بالملك منه، فبيّن لهم نبيهم عليه الســـلام الصـــفات التي تؤهل طالوت للملك، وهي ا سطة في الجسم والعلم، وأن هذا اختيار من الله تعالى. وبين لهم نبيهم أن علامة بركة ملك طالوت عليهم أن يرُدَّ الله عليهم التابوت (فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موســـى وآل ارون حمله الملائكة إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين) [96] .

وقد جاءت الملائكة بالذ بوت وأو صلته إليهم، وهذا التابوت كان فيه سكينة من ربهم أي: طمأنينة ورحمة د ء ، وتحققت الآية وو صل التابوت إليهم وكان يحوي بقية ممّا ترك آل موسى وآل هارون... [97])

---

[96] سورة البقرة آية: 248

[97] البقية قيل هي عصا موسى أو عصا هارون و لوحان من التوراة أو ي ثياب موسى و ثياب هارون أو العصا و النعلان – تفسير ابن كثير /285 . و الله أعلم بالصواب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ووافق القوم على ت سليم طالوت الملك وال سلطان وعندما خرج طالوت بهم للقتال قال لهم إن الله مختبركم بن ر فمن شـــرب منه فلا يصـــحبني اليوم لأنه ليس من جي ي ومن التزم الأمر وأطاع فإنه منيّ إلا من غ رف غرفة بيده فلا بأس عليه، فلما و صلوا النهر شربوا منه وع صوا أمر قائدهم إلا قليلاً منهم التز وا الأمر وأطاعوا القائ ، ترك طالوت جموع العصـــاة المخالفين، وســـار بالقلة المؤمنة المطيعة، حتى وصل بها أرض المعركة الفاصلة، وأيضاً هذه الفئة المطيعة عندما نظروا إلى جيش الأعداء بقيادة جالوت قال كثير منهم لا قدرة لنا اليوم على حرب جالوت وجي شه فتركهم طالوت وبقي معه فئة قليلة من جي شه، وهم الذين تزو وا بزاد الصـــبر حيث قالوا للكثرة الخا فة (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين . واجه حزب الإيمان وهم قليل من أصحاب طالوت ــ حزب الكفر من أصحاب جالوت ــ ولما بدأت المعركة، طلب المؤمنون النصر من ربهم الذي بيده الن صر والغلبة، وقالوا (ربنا افرغ علينا صبراً وثبّت أقدامنا وان ص رنا على القوم الكافرين) فأنزل الله عليهم نصره وهُزم أعداؤهم بإذن الله [98] .

[98] مقتبس من: تفسير ابن كثير /285 وما بعدها

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يظهر في هذه القصة دعاء القلة المؤمنة ربنا افرغ علينا صبراً، وثبت أقدامنا، وانصرنا على القوم الكافرين) وهذا الدعاء ليس خاصاً بها، بل يصلح لكل فئة مؤمنة مجاهدة صابرة، تقف أمام أعدائها، ولهذا قال السيوطي: "فيه استحباب هذا الدعاء عند القتال [99].

وهذه القلة المؤمنة امتنعت عن الشرب من النهر وأطاعت أمر قائدها فعوّضها الله تعالى عن ذلك الصبر بالنصر على عدّوها. وكان داود عليه السلام من بين هذه الفئة المؤمنة وهو الذي قتل جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء.

وفي سورة الأعراف ذكر الله تعالى عن سحرة فرعون بعد إيمانهم: (وما تنقم منّا إلا أن آمنّا بآيات ربنّا لمّا جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبراً وتوفنّا مسلمين) [100].

---

[99] جلال الدين السيوطي ــ الإكليل في استنباط التنزيل ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت ص45

[100] سورة الأعراف آية: 126

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قالوا لفرعون: وما تنكر منا إلا أن آمنّا بالله الحق لما جاءتنا آياته وبـ نّاته وتوجهوا بالدعاء مستغيثين بالله تعالى قائلين: ربنا هب لنا صبراً واسعاً تفيضه وتفرغه علينا إفراغاً تثبيتك إيّانا على الإيمان، كما يُفرغ الماء من القرب حتى لا يبقى في قلوبنا شيء من خوف من غيرك، ولا من الرجاء فيما سوى فـ ضلك، وتوفّنا إليك حال كوننا مـ سلمين لك مذعنين لأمرك ونهيك مـ ستسلمين لقـ ضائك غير مفتونين بتهديد فرعون وغيرمطيعين له في قول ولا فعل [101] .

وهؤلاء المؤمنون طلبوا من الله تعالى صـــبراً عظيماً كما يدل عليه التنكير (صبراً) لأن هذه محنة عظيمة تؤدي إلى ذهاب النفس فيحتاج فيها من الـصبر إلى شـــيء كثير، ليثبت الفؤاد، وطمـ ن المؤمن على إيمانه ويزول عنه اـ نزعاج الكثير [102] .

وفي الـ سورة نفـ سها (سورة الأعراف) يأمر موـ سى عليه الـ سلام قومه بالـ صبر والاـ ستعانة بالله تعالى: (قال موـ سى لقومه اـ ستعينوا بالله واـ صبروا إنّ الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) [103] .

---

[101] تفسير المنار ١/75 ــ 76

[102] الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي ـــــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ـــــ دار الذخائر ـــــ الدمام، ط بلا 414 هـــ ــ 994 م) ــ ١/144

[103] سورة الأعراف آية: 128

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال لهم موسى عليه السلام هذا القول حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا فأراد نبيهم عليه السلام أن يُسكّنهم ويواسيهم ويعدهم الصبرة على أعدائهم فرعون وقومه، وتوريثهم أرضهم وديارهم، وأن العاقبة دائماً وأبداً للمتقين في الدنيا والآخرة، فهم أصحاب العاقبة المحمودة لإيمانهم بالله تعالى واستعانتهم به وصبرهم على ما يصيبهم في سبيل الله[504] .

وفي قصة موسى مع الخضر عليهما السلام درس للدعاة للتزود بالصبر قال تعالى عن موسى عليه السلام عندما لقي الخضر: (قال له موسى هل أتبعك على أن تعلمن ممّا علّمت رشداً[505] . لما سمع الخضر طلب موسى منه قال له: (إنك لن تستطيع معي صبراً، وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً قال ستجدني إن شاء الله صابراً ولا أعصي لك أمراً[506] .

---

[504] انظر: تفسير الزمخشري: 3/43 ، تفسير ابن كثير: 3/299

[505] سورة الكهف الآيتان: 67 ، 68

[506] سورة الكهف آية: 69

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال موسى للخضر ستجدني إن شاء الله صابراً على ما أرى من أمورك وأفعالك وأكدّ الخضر لموسى أنه لن يستطيع أن صبر على مصاحبته والسير معه، وقدّم الخضر تعليلاً لكلامه وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً وأكدّ كلامه بمؤكدّات: إن: التي هي حرف توكيد ونصـــــب، لن: التي تفيد النفي المطلق ، وكلمة معي: وذكر هذه الكلمة يوحي بأنه ســـيعجز عن الصـــبر معه. وفي هذا مع ما فيه من التحدّي إلا أنه لا يريد أن يطعن في قدرة موسى وطاقته على الصبر ؛ لاحتمال، إنه قد يصبر مع غير الخضر أما عجزه عن استطاعة الصبر فسيكون فقط مع الخضر [07] .

ولما سار موسى مع الخضر اشترط عليه أن لا يفاتحه بالسؤال عن شيء ينكره موسى من الخضر ولم يعلم وجه صحته وحكمته حتى يكون لخضر هو الذي يبدؤه ببيانه ووجه الحكمة فيه قال تعالى مخبراً عن ذلك: (قال فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه ذكراً) [08] .

---

[07] انظر: د. صلاح الخالدي ــ مع قصص السابقين في القرآن الكريم ص213 بتصرف

[08] سورة الكهف آية: 70 وانظر: تفسير الكشاف ٢/35، تفسير ابن كثير ٣/65 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما ركبا في السفينة عمد الخضر إلى السفينة فخرقها فعجب موسى من هذا صنيع لأنه يؤدي إلى إغراق السفينة فاعترض موسى قائلاً أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً مراً؟ عند ذلك ذكرّه الخضر بما قال له من قبل وما اشترطه عليه (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً) ذكّره الخضر بهذا الشرط وأن هذا صنيع فعله قصداً وفسرّه له بعد ذلك قال تعالى (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً)[509] .

أي كان أمامهم ملك ظالم كلما مرت عليه سفينة سليمة أخذها غصباً وصادرها واستولى عليها فأردت أن أعيبها لأردّه عنها فلا يأخذها لعيبها[510] .

---

[509] سورة الكهف آية: 79

[510] انظر: تفسير القاسمي 1/ 57 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيلاحظ هنا أن الخضـــر حافظ على الســـفينة عن طريق خرقها وكان الخضـــر مضطر لذلك أي القيام ببعض الإفساد الجزئي في سبيل دفع ضرر أكبر وجلب مصلحة أعظم. واعتذر موسى للخضر على عدم صبره وتابعا السير. وخرجا من السفينة وسارا على شاطئ البحر، فوجدا مجموعة من الغلمان يلعبون معاً، فنظر الخضر إلى غلام منهم، حدث صغير فأقبل عليه ثمّ قتله فمات الغلام بين يديه. فاشتد بموسى الغضب، وأخذته الحمية الدينية، حين قتل الخضر غلاماً صغيراً لم يذنب وقال (أقتلت نفساً زكية بغير نفس) قتلت نفساً طاهرة أو صغيرة لم تبلغ حد التكليف ولم تعمل إثماً بغير مستند لقتله فهذا ظاهر النكارة، ذكر الخضر موسى بما اشترطه عليه (ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً)[111] وهنا جاءت كلمة (لك) في قول الخضر وتذكاره موسى بالشرط الأول بينما لم ترد كلمة (لك) في قول الخضر الأول عندما اعترض موسى عليه عند خرقه السفينة (ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبر)

[111] تفسير بن كثير 3/ 175 ، تفسير الجلالين ص391 ورقم الآية 75 من سورة الكهف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الزمخشـــري: في تعليل ذلك: فإن قلت، ما معنى زيادة (لك)؟ قلت: زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية ــ الإنكار على فعل الخضر أو السؤال عنه قبل أن يبينه له الخضر ــ والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية [12] .

شعر موسى عليه السلام بالحياء من اعتراضه على الخضر، ولذلك قال له: إن ســـألتك عن شـــيء بعدها فلا تصـــاحبني قد بلغت من لدني عذرًا. وفي هذا يظهر عدم صبر موسى عليه السلام.

بينّ الخضر لموسى عليهما السلام أنّ الذي دفعه إلى قتل الغلام، هو إيمان أبويه وكفره لو بقي حتى يكبر، فهما مؤمنان فلو بقي لحملهما حبه على متابعته على الكفر قال تعالى (فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقها طغياناً وكفراً) [13] .

---

[12] تفسير الكشاف ٤/736

[13] سورة الكهف آية: 80

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قبل الخضر اعتذار موسى عليه السلام وتابعا المسير حيث مرّا على قرية أهلها بخلاء قال تعالى: (حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيّفوهما فوجدا فيها جداراً يريد أن ينقض فأقامه قال لو شئت لتخذت عليه أجراً قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً) وبين له أن بناء الجدار لحفظ كنز الغلامين اليتيمين في المدينة ولو لم يُبن الجدار لانكشف الكنز وأخذه أهل القرية لبخلاء وهذه الأفعال الثلاثة رحمة من الله وليست منه ولا باختياره (وما فعلته عن أمري) وهذا تفسير ما ضقت به ذرعاً ولم تصبر حتى أخبرك به.

تبين هذه القصة أن السبب الكبير لحصول الصبر، إحاطة الإنسان علماً وخبرة بذلك الأمر الذي أُمر بالصبر عليه، والإ فالذي لا يدريه ولا يعلم غايته ولا نتيجته ولا فائدته وثمرته ليس له عنده سبب الصبر لقوله: (وكيف تصبر على ما لم تحط به خبراً). فجعل الموجب لعدم صبره، عدم إحاطته خبراً بالأمر.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتبين القصـــة القرآنية كذلك (أن العزم على فعل الشـــي، ليس بمنزلة فعله، فإن موسى عليه السلام قال: (ستجدني إن شاء الله صابراً) فوطّن نفسه على الصبر ولم يفعل[14] .

وفي سورة يوسف ال تعالى عن يعقوب عليه السلام (قال بل سوّلت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم[15]) لما سمع يعقوب مقالة أولاده بشأن أخيهم واعتذارهم عما وقع لأخيهم لم يصدقهم يعقوب عليه السلام لما سبق ما فعلوه بيوسف عليه السلام وقال لهم بل زينتّ وسهّلت لكم أنفسكم أمراً ففعلتموه، فصبر جميل أي لا سخط فيه ولا شكوى للخلق عســـى الله أن يأتيني بيوســـف وأخيه بنيامين وأخيهم الكبير الذي بقي في مصـــر وتولى يعقوب عن بنيه وأعرض عنهم و اشتد به الأسى والحزن حتى ابيضت عيناه من مزمة البكاء وهو كاظم لا ظهره... ووصف يعقوب بذلك لأنه لم يشك إلى أحد وإنما كان يمسك همّه وحزنه في صدره،

---

[14] انظر: ابن ناصر السعدي تفسير تيسير الكريم الرحمن 1/178

[15] سورة يوسف آية: 83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان يكظمه أي يردّ حزنه أو همّه إلى قلبه لا يظهره بالشكوى والغضب والضجر [16]) وأثنى سبحانه على يوسف عليه السلام مبيناً عاقبة المتقين والصابرين: (إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين) [17]) بين يوسف عليه السلام لإخوانه أنه من يتق فعل ما حرم الله، ويصبر على الآلام والمصائب، وعلى الأوامر بامتثالها فإن الله تعالى يمّن عليه بالإيمان والخلاص مما ابتي به والتمكين في الأرض، والاجتماع بعد الفرقة، والعزة بعد الذلة لأن الله تعالى لا يضيع أجر المتقين الصابرين الموصوفين بالإحسان [18] .

فالقصة القرآنية تبين حسن عاقبة الصبر الجميل، فقد صبر يوسف عليه السلام على كيد إخوته الذين اختطفوه وألقوه في البئر واستنقذه السيارة ليمتلكوه عبداً، ثم يبيعوه في سوق الرقيق بثمن بخس دراهم معدودة ثم صبر على الامتحان بإدخاله السجن وهو صابر، وامتحن يعقوب بفقد ابنه ثم بفقد أخيه وفقد بصره وهو صابر محتسب فكانت العاقبة لهؤلاء الصابرين في الدنيا والآخرة.

---

[16] انظر: تفسير ابن عطية 5/ 50 ــ 51 ، تفسير الرازي 8/ 196 تفسير القاسمي 4/ 266 ــ 267

[17] سورة يوسف آية: 90

[18] انظر: تفسير القاسمي 4/ 272 ، تفسير ابن ناصر السعدي ــ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان 2/ 34 ، بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فزاد الـ صبر زاد عظيم أمر الله تعالى به الدعاة إلى الله تعالى وعلى رأ سهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال تعالى (واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشيّ يريدون وجههُ [19]) فالصبر قرين التواصي بالحق وقد أقسم الله تعالى أنّ فلاح البشر منوط بهما فقال تعالى: (والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبرُ [20]) .

ولأهمية هذا الزاد أمر الله تعالى به في طاعات فقال تعالى: (وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهاُ [21] .

وبـ ث ر الله تعالى الـ صابرين بالثناء والرحمة والهداية قال تعالى: (ولنبلو كم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أ صابتهم م صيبة الوا إنّا لله وإنّا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدونُ [22] .

---

[19] سورة الكهف آية: 28

[20] سورة العصر

[21] سورة طه آية: 132

[22] سورة البقرة الآيات: 155 ــ 157

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال: كأنيّ انظر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يـ ي نبيّاً من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ضربه قومه فأدموه وهو يمسح لدم عن وجهه، يقول: (اللهم غفر لقومي فإنهم لا يعلمون) [23] .

ب. التقوى:

إن التقوى زاد عظيم أر ت إليه الآيات القرآنية في أكثر من مو ضع قال تعالى: (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) [24] .

فالزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه في دنياه وآخرته، هو زاد الت وى، الذي هو زاد إلى دار القرار ومن ترك هذا الزاد فقد خسر الدنيا والآخرة، وقد أمر الله تعالى به أولي الألباب فقال تعالى: (واتقون يا أولي الألباب) [25] .

وفي الق صص القرآني بيان لمنهج الدعاة من الأنبياء والمر سلين وأتباعهم في الحث على تقوى الله تعالى والتزود بـ ا.

---

[23] رواه البخاري كتاب الانبياء ، 10/ ، ومسلم كتاب الجهاد والسير باب غزوة احد 3 /1417

[24] سورة البقرة آية: 197

[25] الآية السابقة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى مخبراً عن بني آدم: (و ل عليهم نبأ ابني آدم بالحقِّ إذ قربا قرباناً فتُقبّل من أحدهما ولم يُتقبّل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبّل الله من المتقين، لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوّعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين، فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوأة أخيه قال يا ويلتى أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين)[126] .

تبين القصة القرآنية أن ابني آدم قربا قرباناً فتُقبل من أحدهما ولم يُتقبل من الآخر فتمكن الشر من قلب الأخ الذي لم يتقبل الله قربانه فتوعّد أخاه قائلاً له: لأقتلنك، فهو إنما غضب عليه وحسده لقبول قربانه: فقال له أخوه : ماذنبي؟ إنما يتقبل الله من المتقين ، فلا يقبل الله تعالى الصدقات وغيرها من الأعمال القبول المقترن بالرضا والإثابة إلا من المتصفين بالتقوى[127] .

---

[126] سورة المائدة الآيات: 27 – 31

[127] انظر: تفسير ابن كثير 2/11، تفسير المنار 6/342 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد كانت كلمة التقوى الجارية على لسان الأخ المؤمن زاداً لا يُفارقه، وهذه الكلمة جدره بأن تقضي على إرادة الشر في نفس أخيه، ولكن أخاه قد نُزعت لتقوى من قلبه فلم يتقبل الله قربانه، وامتلأ قلبه بالحسد والشر مما جعله عازماً على قتل أخيه التقي.

وبعد أن قدم الأخ المؤمن لأخيه الحاسد أسس وموازين قبول الأعمال قال لأخيه الحاقد بلطف ورقة ووداعة: (لئن بسطت إليّ يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك إني أخاف الله رب العالمين).

هنا تظهر شخصية الأخ المؤمن التي امتلأت بالتقوى وسيطر عليها الخير فهي لا تقابل السيئة بالسيئة لأن الشر ليس من صفاتها فهي تخاف الله رب العالمين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إن الخوف من الله تعالى يوجد التقوى التي تحول بين صاحبها وبين ما حرمه الله تعالى. ثم ذ ل الأخ المؤمن معللاً عدم قتل أخيه ـــــــ إ ضافة إلى الخوف من الله تعالى: (إ ي أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصـــحاب النار وذلك جزاء الظالمين) فالذ تل باء بإثمه وإثم أخيه القتيل. وجاء في حديث النبي صلى الله عليه و سلم لا تُقتل نفسٌ ظلماً، إلا كان على ابن آدم لأول ذ فلٌ من دمها، لأنه كان أوّل من سنّ القتل [28].

فكل من قتل ظلماً كان على ابن آدم الأول نصيب من دمه لأنه أول من قتل واقتدى به المجرمون.

وبالرغم من ا ستعطاف أخيه له، إلا أن ال شيطان لعب دوره ال شرير في تزيين القتل له قال تعالى: (فطوّعت له نفسه قتل أخيه قتله فأصبح من الخاسرين).

جاء في تفسير المنار حول قوله تعالى (فطوّعت له نفسه): ((إن هذه الكلمة تدل على تدرج وتكرار في حمل الفطرة على طاعة الحســـد الداعي إلى القتل، كتذليل ا رس والبعير الصعب، فهي تمثّل لمن يفهمها ولد آدم، الذي زيّن له حسده لأخيه قتله،

[28] رواه البخاري ــ كتاب الأنبياء ــ ا /88، ، رواه مسلم ــ كتاب القسامة ــ باب إثم من سنّ القتل ا /303 -1304

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

، هو بين إقدام وإحجام، يفكر في كل كلمة من كلمات أخيه الحدّ مة، فيجد في كلٍّ منها صـــــارفاً له عن الجريمة، يدعم ويؤيد ما في الفطرة من صـــــوارف العقل والقرابة والهيبة، فيكرُّ الحسد من نفسه الأمّارة على كل صارف في نفسه اللوّامة. فلا يز الان يتنازعان ويتجاذبان، حتى يغلب الحـ سدُ كلاً منها، ويجذبه إلى الطاعة، فإطاعة صوارف الفطرة و صوارف الموعظة، داعي الحـ سد، هو التطويع الذي عناه الله تعالى. فلمّا تمَّ كل ذلك قتله)) [129] .

تبين القصة أن الأخ المؤمن يمثل نموذج التقوى والوداعة، والخوف من الله تعالى وهذه الأ شياء كانت كافية لترد ّ وتنزع الـ شر من نفس القاتل ولكن النموذج الـ شرير الذي خلا قلبه من تقوى الله تعالى لم يـ سـ جب لنداءات الأخ المؤمن ووقع في الجريمة فخسر الدنيا والآخرة.

ولقد دعا الرســـل والأنبياء إلى الأخذ والتزود بهذا الزاد العظيم. قال تعالى عن نوح عليه السلام: (إذ قال لهم أخ هم نوح ألا تتقون) [130] .

---

[129] تفسير المنار ، /345

[130] سورة الشعراء آية: 106

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما ذكره الله تعالى عن نوح عليه السلام ذكر نظيره عن كل من رسله هود، صالح، لوط ، شعيب عليهم الصلاة والسلام كلٌّ منهم قال لقومه (ألا تتقون).

وذ ر يوسف عليه السلام إخوته بأهمية هذا الزاد الإيماني إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يض ع أجر الم ـ نين[31] .

ومو سى عليه الـ صلاة والـ سلام قال لقومه: (ا ستعينوا بالله وا صبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين[32]) .

ودعا إلياس عليه الـ سلام قومه للأخذ بالتقوى (وإنّ إلياس لمن المر سلين إذ قال لقومه ألا تتقون[33]) . وقال تعالى عن . يى عليه السلام (وحناناً من لدنّا وزكاة وكان تقياً[34]) .

وفي قصة أصحاب السبت فإن ا ريق الذي حذَّرَ المتحايلين على شرع الله تعالى في ا صطياد الـ سمك علّل موقفه بما ذكره عنهم القرآن الكريم: (قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون[35] .

---

[31] سورة يوسف آية: 90

[32] سورة الأعراف آية: 128

[33] سورة الصافات آية :124

[34] سورة مريم آية: 13

[35] سورة الأعراف آية: 164

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبين الله تعالى لرسوله ﷺ والسلام أن التقوى من الأسلحة المعنوية التي إن تسلح بها الجند نصرهم الله تعالى على أعدائهم قال تعالى: (وإن تصبروا و تقوا لا يضركم كيدهم شيئاً إن الله بما يعملون محيطٌ [36]) .

وقال تعالى أيضاً: (بلى إن تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومينٌ [37]) .

والآيات في هذا الباب كثيرة فعلى الدعاة إلى الله عز وجل أن يتسلحوا ويتزودوا بتقوى الله تعالى فإن ثمارها عظيمة في الدنيا وفي الآخرة.

---

[36] سورة آل عمران آية: 120

[37] سورة آل عمران آية: 125

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جـــ. الحلم:

من القيم الأخلاقية الأ سا سية في الدعوة إلى الله تعالى الحلم على المدعوين فلا يغضب الداعي لأقل الأسباب وأتفهها، ولا ينتصر لنفسه، وعليه أن يأخذ من قصص الأنبياء مع أقوامهم ومواقفهم الدعويّة منهاجاً ينير له الطريق.

ولقد أثنى الله تعالى على أنبيائه بهذه الصفة أعني صفة الحلم فقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: (وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إيّاه فلم تبينّ له أنّه عدوّ لله تبرّأ منه إنّ إبراهيم لأوّاه حليم)[138] .

والحليم أي: ذو الرحمة بالخلق، والصفح عما يصدر منهم إليه، من الزلات لا يستفزّه جهل الجاهلين، ولا يقابل الجاني عليه بجرما[139] .

وفي موضع آخر قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام فلما ذهب عن إبراهيم الروع وجاءته البشرى يُجادلنا في قوم لوط إنّ إبراهيم لحليم أوّاه منيب)[140] .

---

[138] سورة التوبة آية: 114

[139] تفسير تيسير الكريم الرحمن: 1/291 – 292

[140] سورة هود الآيتان: 74 – 75

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأثنى الله تعالى على إسماعيل عليه السلام فقال تعالى: (فبشرناه بغلام حليم)[141] وصف الله تعالى إسماعيل بالحلم وهو يتضمن الصبر، وحسن الخلق، وأي حلم أعظم من حلمه حين عرض عليه أبوه الذبح فقال: (ستجدني إن شاء الله من الصابرين)[142].

وفي دعوة نوح عليه السلام تبين القصة ما قاله له كفار قومه بما أخبره القرآن عنهم: (إنّا لنراك في ضلال مبين)[143].

فيجيبهم نوح عليه السلام: (قال: يا قوم ليس بي ضلالة ولكني رسول من رب العالمين) يكشف لهم نبيهم عن حقيقة دعوته وصدرها فهو لم يتبدعها من أوهامه وأهوائه، إنما هو رسول من رب العالمين يحمل لهم رسالة ربهم.

والناظر في إجابة نوح عليه السلام يرى أنه اتصف بصفة الصبر والحلم على قومه بما رموه به من الضلال.

---

[141] سورة الصافات آية: 101

[142] انظر: تفسير النسفي 4/24

[143] سورة الأعراف آية: 60

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكذلك هود عليه الـ سلام تـ سلّح بهذا الزاد عندما اتهمه قومه بالـ سفاهة قال تعالى مخبراً عما قاله قومه: (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنّا لنراك في ســـفاهة وإنّا لنظنّك من الكاذبين)[644] فأجابهم عليه الـ سلام: (قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين)[645] .

لقد ى عن نفسه الـسفاهة في بساطة ودون غضب وكشف لهم عن هدف ر سالته بـ صح و صدق. وإن شتائم قوم هود التي صدرت من جُهّالهم الكفرة م يطش لها حلم هود عليه الـ سلام، لأنَّ الـ شقة بعيدة بين رجل ا صطفاه الله ر سولاً وبين قوم سفهوا أنفسهم وأكبّوا على عبادة الأحجار يظنوّنها لغ ائهم تضر وتنفع.

وفي دعوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام أمر الله تعالى نبيّه عليه الصلاة والـ سلام أن يأخذ بخلق الحلم قال سبحانه: (خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين)[646] .

---

[644] سورة الأعراف آية: 66

[645] سورة الأعراف آية: 67

[646] سورة الأعراف آية: 199

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جاء في تفسير الطبري لما أنزل الله على نبيّه عليه الصلاة والسلام: (خذ العفو و مر بالعرف وأعرض عن الجاهلين) قال النبي صلى الله عليه و سلم: "ما هذا يا جبريل؟ قال: إنّ الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك، وتعطي من حرمك، وتصل من قطعك " ، وقال ابن جرير في تفسير هذه الآية: وذلك وإن كان أمراً من الله لنبيّه، فإنه تأديب منه عز ذكره لخلقه: باحتمال من ظلمهم، أو اعتدى عليهم. لا بالإعراض عمّن جهل الواجب عليه من حق الله، ولا بالصفح عن كفر بالله، وجهل وحدانيته وهو للمسلمين حرب [147] .

والحلم من الصفات التي يحبّها الله تعالى. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأشجّ عبد القيس إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة [148] .

---

[147] انظر: تفسير ابن جرير 1/155 – 156

[148] رواه مسلم – كتاب الإيمان باب الامر بالايمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم 8/ –49 ، ورواه أبو داود – كتاب الأدب بابٌ في قبلة الجسد 4/357

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالنبي صلى الله عليه وسلم عمل على محو الجاهلية والتي كانت تقوم على ضربين من الجهالة، جهالة ضد العلم، وأخرى ضد الحلم، فأمّا الأولى فتقطيع ظلامها يتم بأنواع المعرفة وفنون الإرشـــاد، وأما الأخرى فكفّ ظلمها يعتمد على كبح الهوى ومنع الفســـاد، وقد كان العرب الأولون يفخرون بأنهم يُقابلون الجهل بجهلٍ أشـــد، فجاء الإسلام يكفكف من هذه النظرة ويقيم أركان المجتمع على الفضل والعدل ولن يتحقق ذلك إلا إذا هيمن العقل الراشد على غريزة الغضب [49] .

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية كثيرة في هذا الباب وكلها تحث على التخلق بخلق الحلم. و ضرورة هذا الزاد للدعاة أكثر من غيرهم فلا يقابلوا الإ ساءة بالإ ساءة ولكن بالعفو وال صفح قال تعالى: ﴿ لا ت ستوي الح سنة ولا ال سيئة، ادفع بالتي هي أحســـن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم وما يلقّاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾ [50] .

---

[49] انظر: محمد الغزالي خلق المسلم ص109 بتصرف

[50] سورة فصلت الآيتان 34 ــ 35

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د. اللين:

اللين في الدعوة إلى الله عز وجل منهج الأنبياء والمرسلين الذين كانوا يخاطبون أقوامهم بعبارة " يا قومي " وكان إبراهيم عليه السلام في دعوته أباه قدوة في التزم أقصى حدود اللين والأدب في خطابه واستعطفه أباه حيث كان يخاطبه بـ (يا أبت) ليثير فيه عاطفة الأبوة نحوه، وبالرغم من ذلك فإن أباه أجابه بما أخبرنا الله به (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرني مليّاً)[51] .

قال أبو إبراهيم مصراً على عناده وكفره: أمعرض ومذ صرف أنت عن آلهتي يا إبراهيم؟ لئن لم تنته عن الطعن في آلهتي وعن نصحك لي بترك عبادتها لأرجمنّك بالحجارة واهجرني مليّاً أي تباعد عني زمناً طويلا[52] .

---

[51] سورة مريم آية: 46

[52] تفسير القرطبي 1 /11 ، تفسير القاسمي 1 /121

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أجاب إبراهيم عليه السلام أباه قائلاً فيما ذكره عنه القرآن الكريم (قال سلام عليك سأستغفر لك ربي إنه كان بي حفيّاً)[53] وفي هذا القول من إبراهيم عليه السلام (سلام عليك) مقابلة السيئة بالحسنة، أي لا أصيبك بمكروه بعد، ولكن سأدعو ربي أن يغفر لك إنه كان بي حفيّاً أي مبالغاً في اللطف بي[54] .

ولقد أمر الله سبحانه موسى وأخاه هارون عندما أرسلهما إلى فرعون بعرض دعوتهما بأسلوب لين فقال تعالى مخاطباً موسى: (اذهب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا في ذكرى اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى)[55] .

وفي موضع آخر قال تعالى لموسى عليه السلام (هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالواد المقدس طوىً، اذهب إلى فرعون إنه طغى فقل هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى)[56] .

---

[53] سورة مريم آية: 47

[54] تفسير القرطبي 11/ 1، 113

[55] سورة طه الآيتان: 42 ــ 44

[56] سورة النازعات الآيات: 5 ــ 19

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بدأ مخاطبته ! ســـتفهام الذي معناه العرض كما يقول الرجل لضـــيفه:هل لك أن تنزل بنا؟ وأردفه بالكلام الرقيق لي ستدعيه بالتلطف في القول وي ستنزله بالمداراة عن تكبر. [57] .

وفي قول الرجل المؤمن (مؤمن آل فرعون) فيما كره عنه القرآن الكريم (و ن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً ي صبكم بعض الذي يعدكم) [58] . لم يكن هذا الرجل يشك في رسالة موسى عليه السلام وصدقه ولكّ ه تا ف في استجلاب كفّ ذاهم عن موسى و ظهر لنصح لهم فخاطبهم بما علم أنه أقرب إلى تسليمهم لقوله، فقال لهم: (يصـــكم بعض الذي يعدكم) ولم يقل كل الذي يعدكم تلطفاً في الخطاب وتوسعاً في الكلام [59])

وفي دعوة النبي صلى الله عليه وسلم منهج دعويّ واضح في استعمال اللين في مواضـــعه يقول تعالى: (فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لـ م وشاورهم في الأمر..) [60] .

---

[57] ؛ سير الزمخشري ! /695

[58] سورة غافر آية: 28

[59] انظر: تفسـ ر الزمخشري ! /162 ــ 653 ، تفسير القرطبي ؛ /307

[60] سورة آل عمران آية: 159

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى برحمة الله لك ولأ صحابك، منّ الله عليك أن ألنت لهم جانبك، وخف ضت لهم جناحك، وترفقت عليهم، وحـ سنت لهـ ـلقك فاجتمعوا عليك وأحبوك، وامتثلوا أمرك. ولو كنت سيء الخلق لتفرقوا عنك، لأنّ هذا يُنفرّهم [61] .

فالأخلاق الحسنة من رئيس في الدنيا، تجذب الناس إلى دين الله، وترغبهم فيه، مع ما لـ صاحبه من المدح والثواب، والأخلاق الـ سيئة من الرئيس في الدين، تنفرّ الناس عن الدين، مع ما لـ صاحبها من الذم والعقاب. فهذا الر سول المعـ صوم يقول الله له ما يقول، فكيف بغيره. أليس من أو جب الواجبات وأهم المهمات، ا قتداء بأخلاقه الكريمة، ومعاملة الناس بما كان يعاملهم به صلى الله عليه و سلم، من اللين وحسن الخلق والتأليف، امتثالاً لأمر الله، وجذباً لعباد الله لدين الله [62] .

---

[61] انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن /285

[62] المرجع السابق /286

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصة القول: أن من أراد أن يتصدى لدعوة الناس إلى الخير ونهيهم عن الشر فلا بدّ له ن يتحلى بلين الجانب وحـ سن الخلق، وهذه الـ صفة من الرفق واللين هي من أهم ميزات الداعية. جاء في حديث النبي صلى الله عليه و سلم (ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا كان العنف في شيء إلا شـ نه) [163] .

هـــ. التواضع:

التوا ضع من الـ صفات الـ ضرورية لنجاح الداعية، وذلك بأن يعرف المرء قدر نفســـه وأن يبتعد عن الإعجاب والكبر، والتواضـــع لا يكون إلا ـ كبير الذي يُخشى عليه أن يكبر في عين نفسه أما الإنسان العادي فلا يقال له: تواضع وإنمّا يُقال له: اعرف قدر نفسك، ولا تضعها في غير موضعه [164] .

---

[163] صحيح مسلم بشرح النووي ــ فضل الرفق 6 /146

[164] انظر: ـ لمان العودة ــ من أخلاق الداعية ط بلا ص29

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتوا ضع هو منهج الأنبياء والمر سلين في دعوتهم لناس إلى الحق، بل إنّ من المآخذ التي أخذها علـ ة القوم الكفرة على أنبيائهم أنهم يقربّون ضـــعفاء الناس وفقراءهم، ولكن الأنبياء اتسموا بالتواضع وخفض الجناح لهؤلاء الضعفاء والدفاع عنهم.

قال تعالى مخبراً عن مقولة نوح عليه الســـلام في تواضـــعه ودفاعه عن الفقراء والـ ستضعفين من المؤمنين: (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في أنفسهم) [65] .

فالملأ من قوم نوح استكبروا على أتباع نبيّهم وأنفوا أن يجتمعوا معهم. وفي دعوة إبراهيم عليه السلام قومه كان متصفاً بصفة التواضع قال تعالى فيما أخبر به عن ، قولة إبراهيم عليه الســـلام: (واعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربّي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيّاً) [66] .

---

[65] سورة هود آية: 31

[66] سورة مريم آية: 48

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي أجتنبكم و تبر أ منكم ومن آلهتكم التي تع بدون ها من دون الله (وادعو ربي) أي اعبد ربي وحده لا شريك له (عسى ألا أكون بدعاء ربي شقياً) أي خائباً ضائع الـ ـ عي (وع سى) هذه هي في حق سيدنا إبراهيم موجبة لا محالة بمعنى الشيء المحقّق لأنه عليه السلام سيد الأنبياء بعد محمد صلى الله عليه وسلم [67] .

جاء في تفسير القاسمي : وفيه تعريض بشقاوة قومه بعبا ة آلهتهم مع التوا ضع لله بكلمة (عسى) وما فيه من هضم النفس ومراعاة حسن الأدب والتنبيه على الإجابة والإنابة بطريق التفضل منه تعالى [68] .

وأمر الله حبيبه عليه الـ صلاة والـ سلام بالتوا ضع في كتابه العزيز في أكثر من موضع منها قوله تعالى : (واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين) [69] .

والمقصود بذلك اللين والتواضع والرفق في صورة حسيّة ، جسّمة، صورة خفض الجناح كما يخفض الطائر جناحيه حين يهمُّ بالهبوط، وكذلك كان الرسول عليه الـ صلاة والـ سلام، مع المؤمنين طوال حياته، فقد كان خلقه القرآن، وكان هو الترجمة الحـ ة الكاملة للقرآن الكريم [70] .

---

[67] تفسير ابن كثير ، /121

[68] انظر تفسير القا ي 1 /122

[69] سورة الشعراء آية: 215

[70] تفسير الظلال ، /2620

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكما دعت الآيات القرآنية إلى التخلق بخلق التوا ضع فقد حذر ت من الكبر فإبليس عليه لعنة الله ردُّ أمر الله تعالى وتكبر عن الســـجود لآدم عليه الســـلام قال تعالى مخبراً عن ذلك: (وإذ قال ربك للملائكة إنّي خالق بشـــراً من طين فإذا ســـوّيته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فـ سجد الملائكة كلهم أجمعون إلا إبليس استكبر وكان من الـ افرين) [71] .

والســـجود لآدم عليه الســـلام لم يكن على وجه العبادة له: قال ابن عباس رضي الله عنهما: كانت السجدة لآدم والطاعة لله تعالى وهذا السجود كان كرامة كرّم الله بها آدم، ولكن إبليس حســـد آدم على هذا التكريم فحمله هذا الحســـد على ا ستكبار [72] .

---

[71] سورة ص الآيات 71 ــ 74

[72] انظر: تفسير الرازي /212 ــ 213، تفسير المنار 3/329 ــ 330

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعندما سئل إبليس عن سبب امتناعه عن الـ سجود لآدم علل ذلك بقوله" (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين[173]) . يقول إبليس: أنا خير منه فكيف تأمرني بالـ سجود لـ ؟ ثم بين وجه هذه الخيرية بأنه خلق من نار، والنار أ شرف من الطين الذي خلق منه آدم فنظر إبليس إلى أصـــل العنصـــر الذي خلق منه ولم ينظر إلى التشـــريف الذي ناله آدم عليه الســـلام وهو أن الله تعالى خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، قاس قيا ساً فا سداً في مقابلة نص قوله تعالى: (عوا له ساجدين). فأخطأ قبحه الله في قيا سه ودعواه أن النار أ شرف من الطين أيضاً، فإن الطين من شأنه الـ ز انة و ا حلم والأناة والتثبت والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصـــلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والـ سرعة ولهذا خان إبليس عند صره ونفع آدم عنصره بالرجوع وطلب التوبا[174] .

فإبليس تكبّر على آدم، ولم يسجد له، لأنه افتخر بأصله ونسبه، ومعنى ذلك أنه أشرف من آدم، فكّ نه يقول كيف سجد له وأتواضع له .

---

[173] سورة الأعراف آية: 16

[174] انظر: تفسير ابن كثير ! /194

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فعلى الدعاة أن يتزودوا بزاد التواضـــع فطبيعة الناس النفور ممن يحتقرهم ويتكبر عليهم ولا يبدون ا ستعداداً لـ سماع كلامه وقبول نـ صحه، و الدعاة إلى الله سبحانه واجبهم عظيم، ومهمتهم سامية و شريفة، فليحذروا من أن يكونوا سبباً في الصـــد عن ســـبيل الله وتنفير الناس عن دين الله تعالى وذلك بوقوعهم في جريمة الكبر والتي هي من أشد الأمراض خطراً على الدعاة إلى الله عز وجل.

وعاقبة الكبر وخيمة فقد طرد الله ســـبحانه إبليس من رحمته وجنته، ومن المنزلة التي في الملكوت الأعلى، (قال فاهبط منها فما يكون لك ن تتكبر فيها ا خرج إنك من الصاغرين) [175] .

والمعنى: اهبط من الجنة فما ي صح ولا ي ستقيم ولا ينبغي أن تـ ستكبر عن أمري وتســـكن دار قدســـي (ا خرج) تأكيد للأمر بالهبوط من الجنة إنك من الـ صاغرين، أي من الذليلين الحقيرين، وذلك أنه لما أظهر ا ستكبار ألبـ سه الله تعالى الـ ل والصغار، فمن تواضع لله رفعه، ومن تكبر على الله وضعا [176] .

---

[175] سورة الأعراف آية: 13

[176] انظر: تفسير المنار ؛ /34، تفسير القاسمي ' /6! ــ 27

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وعاقب الله تعالى فرعون على تكبره بـ . رق قال تعالى مخبراً عن ذلك (وا ستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنّوا أنهم إلينا لا يُرجع ن فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ، فانظر كيف كان عاقبة الظالمين) [77] .

والمعنى: إن فرعون وجنوده طغوا وتجبروا وأكثروا في الأرض الفســـاد وظلم العباد وا ستكبارهم وا ستكبار غيرهم لا يكون إلا بغير الحق، لأن ! ستكبار بالحق إذ ما هو لله و حده وهو المتكبر على الحقي قة أي المت بالغ في كبر ياء الشأن [78] .

وقال تعالى عن ذاته المقدسة وله الكبرياء في الأرض) [79] .

والمعنى له السلطان أي هو العظيم الممجّد الذي كل شيء خاضع له فقير إليا [80] فكل مستكبر سوى الله تعالى فاستكباره باطل

---

[77] سورة القصص الآيتان: 39، 40

[78] انظر: تفسير الزمخشري 3/415

[79] سورة الجاثية آية: 37

[80] انظر: تفسير ابن كثير 4/155 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولقد أهلك تعالى فرعون وأحلّ به وبجنوده عقابه: (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليمّ) أغرقهم الله تعالى في صبيحة يوم واحد فلم يبق منهم أحد وتعبير القرآن الكريم بـــ (فنبذناهم في اليمّ) من الكلام المفخّم الذي يدل على عظمة الله تعالى وكبرياء سلطانه، فقد شبّههم استحقاراً لهم واستقلالاً لعددهم وإن كانوا كثيرين، شبّههم بما يُطرح، كحصيّات أخذها آخذ في كفّه فطرحهّن في البحر [81])

و. الثقة بنصر الله سبحانه:

إنّ الداعي إلى الله مطالب دائماً أن يكون رجاؤه في الله كبيراً وظنّه به حسناً وثقته في نصره وتأييده عظيمة.

وفي القصـــة القرآنية نماذج من الدعاة الذين كانت ثقتهم كبيرة بنصـــر الله تعالى ومن ذلك ما أخبر الله تعالى عن نوح عليه السلا م في قوله سبحانه:

[81] تفسير الزمخشري ١/415

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

و تل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه يا قوم إن كان كبرعليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم و شركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غُمّة ثم قضوا إلى ولا تنُظرون[82] .

فنوح عليه السلام، على ثقة بنصر الله تعالى وأنه ـ فظه من كيد أعدائه، و سينجيّه من شرورهم، ومن هنا خاطبهم خطاب الواثق بربه، المـ ستعلي بإيمانه والمعتز بقدرة الله عز وجل فقال لهم (إن كان كبر عليكم مقامي) أي عظم وشـــق وثقل، وبلغ منكم الضيق مبلغه، فلم تعودوا تتحمّلون بقائي فيكم ودعوتكم إلى توحيد الله وعبادته، وترك ـا أنتم عليه من عبادة غيره تعالى، فإني أعتمد على الله في نـ صرتي ودفع ما تكيدون لي من شر ولا أبالي بـ شيء تدبرونه فأجمعوا أمركم و شركاءكم ولا تمهلوني للأهبة و ـ ستعداد بل سارعوا إلى فعل ما تقدرون عليه من الكيد والمكر بي[83] .

---

[82] سورة يونس آية: 71

[83] مقتبس من : تفسير ابن كثير ـ/407 ، تفسير تيسير الكريم الرحمن ـ/32 –333

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وما قاله نوح عليه السلام قال مثله هود عليه السلام، قال تعالى مُخبراً عن هود: (قال إني أشهد الله واشهدوا أنيّ بريء ممّا تشركون من دونه فكيدوني جميعاً ثم لا تُنظرون إنيّ توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إنّ ربي على صراط مستقيم)[84] .

فقوم هود لما أصروا على الشرك، وصاروه بأنهم لن يؤمنوا به، وأنهم سيبقون على ما هم عليه ولن يلتفتوا إلى نصحه وإرشاده عند ذلك أعلن هود عليه السلام براءته من شركهم وشركائهم، وأكّد ذلك بإشهاد الله تعالى على ذلك، كما أمرهم أن يشهدوا على ذلك ليدلل على تهاونه بدينهم، وقلة مبالاته بهم، ثم انتقل إلى حثّيهم بأن يكيدوه، وأن يكون الكيد صادراً عن جميعهم، وأن يسارعوا إلى ذلك دون إمهال، إظهاراً لهم بعدم مبالاته بكيدهم ولا خوفه من معرّتهم،

[84] سورة هود الآيات: 53 – 56

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا من أعظم الآيات التي جحدها قومه حيث يواجه رجل واحد أ ة عطاشـ اً إلى إراقه دمـ ، ثم ذكر لهم ســـبب التحدّي، وهو أنه متوكل على الله ســـبحانه واثق بحفظه وصـــونه عن كيدهم، وأتبع ذلك بوصـــف الله تعالى عز وجل بما يوجب التوكل عليه وذلك في قوله: (إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بـ ص يتها): أي إن ربوبية الله عز وجل وقهره وسلطانه، شامل لي ولكم ولكل دابة في الأرض فإن عزمتم على شيء من مكيدتي، فأنتم تحت قهر الله وسلطانه لا تملكون شيئاً من ذلك إلا بإذنه سبحانا [85] .

وما حصل مع نوح وهود عليهما السلام حصل مع غيرهما من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام.

[85] مقتبس من : تفسير الزمخشري ! /403 ــ 04، تفسير الرازي 8 /12 – 13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقال تعالى لنبيّنا عليه الصلاة والسلام ولقد كُذّبت ر سلٌ من قبلك فص روا على ما كُذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين[86] . وهذه تسلية للنبي عليه الصلاة والسلام، وأمر له من الله تعالى بالصبر كما صبر أولوا العزم من الرسل، ووعد له بالنصر كما نُصروا وإ ذ فر ـ تى كانت لهم العاقبة، بعدما الهم من التكذيب من قومهم مع الأذى البليغ، ثم جاءهم النصر في الدنيا، كما لهم النصر في الآخرة، ولهذا قال تعالى: (ولا مبدل لكلمات الله) أي التي كتبها بالنصر في الدنيا والآخرة لرسله وعباده المؤمنين كما قال تعالى في آية آخرى: (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) وقوله تعالى: في الآية التي نحن بصدد تفسيرها (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) أي من خبرهم كيف نُصروا وأيدّوا على من كذّبهم من قومهم فلك فيهم أسوة وبهم قدو[87] .

---

[86] سورة الأنعام آية: 34

[87] انظر: تفسير ابن كثير ! /123 – 124

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ز. الوعي الفكري ومواكبة التطور :

لا يستطيع الداعية ان يمضي في طريق الدعوة الى الله تعالى دون أن يتزود بر صيد ملائم من الثقافة المحيطة بالمجتمع الذي يعي شه والمجتمع العالمي كله فإن شر ما يبتلى به الداعية أن يكون فكره في عزلة عن مشكلات مجتمعه أو ان يكون شعوره بمنأى عن التفاعل والايجابية في تصور هذه المشكلات

ومحاولة لبحث لها عن الحلول الملائمة . وليس التعرف على مشـــكلات العالم الاســـلامي وحده كافياً في ثقافة الداعية بل لا بد كذلك من دراســـة هذه المذاهب الاجتماعية والـ سيا سية التي تقف للمد الا سلامي بالمر صاد ، والداعية يعيش في عصـــر المخترعات العلمية المتطورة ومنها ما يفيده في دء وته ومنها ما يعوق دعوته والداعية الناجح يكت سب من مخترعات ع صره ما ينفعه ويتقي ما يـ ضره وهذا الامر يوصل الداعية الى النجاح في دعوته .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ح. التعرف على خصائص المدعويين :

إن معرفة ما يحبه المدعو وما يكرهه تجعل الداعية فقيهاً بلغة المدعو الخاصة والداعية الناجح تعرف على أحوال المدعويين واوضاعهم ولا تغيب عنه كثير من امورهم الفكرية والاجتماعية والنفسية ويعرف متى يكون المدعو مشغولاً ومتى يكون خالياً وهذه المعرفة تأتي من خلال المعايشة والنشاط الاجتماعي ومن جوانب المعرفة الضرورية معرفة اوضاع المدعو الاقتصادية

فإن كان فقيراً كانت مساعدته من أهم القضايا التي تهم الداعية وان كان مريضاً كانت مواســـاته من وظائف الداعية كذلك ينبغي له التمييز في خطابه بين عوام الناس ممن يتصفون بقلة العلم فلا تلقى اليهم المسائل المعقدة وبين المتعلمين ممن يبحثون عن التحليل ودلائل الاعجاز وبعبارة مختصـــرة مخاطبة الناس على قدر عقولهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل السادس

موقف المدعوين من الدعوة من خلال القصة القرآنية

جرت طبيعة الناس على أنهم ليسوا سواء أمام الحق ودعوته، فهم كما قال تعالى (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربُّك ولذلك خلقهم) [88] .

فتراهم مختلفين أمام دعوة صالح عليه السلام قد انقسموا إلى فريق مؤمن وفريق كافر، وفي قصة موسى عليه السلام يقول تعالى (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختُلف فيه) [89] ومظهر الاختلاف يتضح من إيمان فريق بموسى ودعوته وكفر آخرين.

وهكذا الشـــأن في كل الأمم إذ يختلفون أمام دعوة الله ويعادون الرســـل ويواولون التصدي لهم عناداً وتكبراً يقول تعالى (وكذلك جعلنا لكل نبيٍّ عدواً من المجرمين وكفى بربك هادياً ونصيراً) [90]

---

[88] سورة هود آية 119

[89] سورة هود آية: 110

[90] سورة الفرقان آية 31

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهكذا فالاختلاف سنة لا تنقطع في الناس، وعلى الدعاة والمهتمين بالدعوة مراعاة هذا الواقع ليتحركوا على أساسه متمسكين بالصبر واللين بعيدين عن ا أس وفقدان الأمل الأمر الذي يوصل الداعية إلى النجاح في دعوته.

وسيكون الحديث في هذا الفصل عن:

المبحث الأول: موقف الملأ وأساليبهم في الصد عن دين الله تعالى.

المبحث الثاني: موقف المنافقين من الدعوة وأصحابها.

المبحث الثالث: موقف المستضعفين من المؤمنين وثباتهم على الحق.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول موقف الملأ وأساليبهم في الصدِّ عن دين الله تعالى

(الملأ: كما يقول أهل اللغة: جماعة يجتمعون على رأي، فيملأون العيون رواءً ومنظراً، والنفوس بهاءً وجلالا، قال تعالى: (ألم تر إلى الملأ من بني إسرائيل[91]) (وقال الملأ من قومه[92]) (إن الملأ يأتمرون بك[93]) (قالت يا أيُّها الملأ إني أُلقيَّ إليَّ كتابٌ كريم[94]) وغير ذلك من الآيات، يقال فلان ملءُ العيون: أي معظم عند من رآه كأنه ملأ عينه من رؤيته[95])

والملأ: الأشراف من الناس الذين يتمالأون في النوائب يقال: فلان مُلئ بكذا إذا كان مطيقاً له وقد ملئوا بالأمر لأنهم ملئوا بكفايات الأمور واضطلعوا بها وتدبيرها أو لأنهم يتمالأون أي يتظاهرون ويتساندون أو لأنهم يملأون القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لأنهم ملأى بالأحلام والآراء الصائبة[96])

---

[91] سورة البقرة آية: 246

[92] سورة المؤمنون آية: 33

[93] سورة القصص آية: 20

[94] سورة النمل آية: 29

[95] الراغب الأصفهاني ــ مفردات ألفاظ القرآن ص776

[96] الزمخشري ــ جار الله محمود بن عمر الزمخشري ت: (538) أساس البلاغة ــ دار صادر بيروت ــ ط بلا ص101، محمد بن أحمد بن جزي الغرناطي الأندلسي ت(92 هـ) ــ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ــ دار الفكر ــ طبعة بلا /36

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومواقف الملأ في عداوتهم للأنبياء والمرسلين بيّنتها القصة القرآنية بصورة واضحة لاخفاء فيها، ومن هذه المواقف ما ذكرهُ الله تعالى عن بعض الأمم، من ذلك موقف الملأ من قوم نوح عليه السلام، قال الله تعالى: (قال الملأ من قومه إنا لنراك في ضلال مبين) [597]

جاء نوح عليه السلام لينقذهم مما هم فيه من الجهل والضلال، فكان الردّ من الملأ هو الاستهزاء، والاحتقار، وسجل القرآن الكريم قولهم (إنّا لنراك في ضلال مبين) [598]

وكانوا يفخرون علانية بأن الرسل لايتبعهم إلا الفقراء وطالبوا بطردهم، فقوم نوح قالوا له (وما نراك اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا باديَ الرأي، وما نرى لكم علينا من فضل بل نظنُّكم كاذبين) [599] .

فنظرتهم إلى الفقراء نظرة احتقار حيث وصفوهم بالأراذل، وهي نظرة المترفين إلى الذين لم يؤتوا المال والسلطان.

---

[597] سورة الأعراف ية: 60

[598] سورة الأعراف آية: 60

[599] سورة هود آية : 27 ـ والاراذل : السفلة ـ انظر : ابن الجوزي ـ تذكرة الأريب في تفسير الغريب – مكتبة المعارف ـ الرياض ـ الطبعة الأولى 407 هـ ـ 986 م ـ /247

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يقول الزمخشري: إنما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتأخرهم في الأسباب الدنيوية لأنهم كانوا جهالاً ما كانوا يعلمون إلا ظاهراً من الحياة الدنيا فكان الأشراف عندهم من له جاه ومال[100] وهكذا كانت قريش تقول في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت أتباع الرسل كذلك ولما طلب نوح عليه السلام من الملأ أن يعبدوا الله وحده تعجبوا من هذا الطلب وقالوا (أنؤمن لك واتبعك الأرذلون[101] أي أنهم لا يلتقون في طريق واحد مع الأراذل وفقراء الناس المستضعفين، وطلبوا من نوح عليه السلام أن يطرد الفقراء من حوله لكن نوحاً يردّ عليهم ويقول (وما أنا بطارد المؤمنين[102] (ويا قوم من ينصرني من الله إن طردتهم أفلا تذكرون[103])

ومثل ما حدث من ملأ قوم نوح حدث مع سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام. فالملأ من قوم هود عليه السلام نسبوا نبيهم إلى السفاهة دون أن ينظروا في دلائل صدقة وقابلوا دعوته بالسخرية والاستهزاء.

---

[100] تفسير الكشاف ٤/388

[101] سورة الشعراء آية 111

[102] سورة الشعراء آية: 114

[103] سورة هود آية: 30

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدافع إلى ذلك هو التكبر عن قبول الحق قال تعالى (قال الملأ الذين كفروا من قومه إنّا لنراك في سفاهة وإنا لنظنُّكَ من الكاذبين) [04] وفي مو ضع آخر قال تعالى عنهم: (قالوا يا هود ما جئتنا ببينة وما نحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) [05]

أي قالوا يا هود ما جئتنا بحجة وبرهان على أن ما تدعيه هو من عند الله تعالى، و ما نحن بـتاركي آلهتنا بمجرد قو لك لـنا اتركو ها فنتركـها، و ما نحن بمصـــدقين ولا نجد من قولٍ نقوله فيك إلا أن بعض آلهتنا أصـــابك بجنون وخبلٍ بسبب نهيك عن عبادتها وعيبك لها وصدك إيّانا عنها. وشتمك لها. [06]

وقد ذكر الله تعالى عن قوم شعيب عليه السلام، ردّهم له ـــــ وهو يدعوهم إلى عبادة الله وحده، والكف عن الفساد في الأرض بالسخرية والاستهزاء، قال الله تعالى: (قالوا يا شـــعيب أصـــلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا أو أن نفعل في أموالنا ما نشاء إنَّك لأنت الحليم الرشيد) [07]

---

[04] سورة الأعراف آية: 66

[05] سورة هود الآيتان: 53،54

[06] انظر : تفسير الرازي 8 /2 –13 ، تفسير المنار 12 / 117 ، تفسير القرطبي 9 / 51

[07] سورة هود آية: 87

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي: أ صلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا من الأوثان والأ صنام أو أن نفعل في أموالنا ما نشـــاء فنترك التطفيف كما تريد وهي أموالنا ومن حقنا أن نفعل فيها ما نشاء؟ إنك لأنت الحليم الرشيد وقولهم (لأنت الحليم الرشيد) على سبيل الاستهزاء قبحّهم الله [508])

وأخبر الله تعالى ما واجه الملأ من قوم مو سى نبيهم عليه الـ سلام بأ سلوب مم ثل لأ سلوب من سلفهم من أعداء الر سل، قال الله تعالى: (ولقد أر سلنا مو سى بآياتنا إلى فرعون وملئه فقال إني رســـول رب العالمين فلما جاءهم بآياتنا إذا هم منها يـ ضحكون) [509]. أر سل الله تعالى مو سى عليه الـ سلام إلى فرعون وملئه من الأمراء والوزراء والقادة والأتباع والرعايا من القبط وبني إســـرائيل يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهاهم عن عبادة ما سواه،

---

[508] تفسير ابن كثير ! /437

[509] سورة الزخرف الآيتان: 46 ــ 47

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وأنه تعالى أيده بآيات عظيمة كَيدِهِ وعصاه، وما أرسل معه من الطوفان والجراد والقمّل والضفادع والدم وغيرها ومع هذا كله استكبروا عن اتباعها والانقياد لها وكذبوها وسخروا منها وضحكوا ممن جاء بها، وخص الله تعالى الملأ بالذكر لأنهم يسدّون مسدّ جميع الناس باعتبار أن الناس تبع لهم[510])

وتبين القصة القرآنية أن موروثات الآباء والأجداد عائق رئيسي ضد الدعوة واتجاهاتها فنوح عليه السلام بعدما بذل للدعوة فكره وجهده سمع نداء المعارضين في قومه حيث قالوا فيما أخبر به القرآن عنهم : (لا تذرنَّ آلهتكم ولا تذرنَّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث و يعوق ونسراً[511])

---

[510] انظر: تفسير ابن كثير 1/31 ، تفسير ابن عطية 6/58

[511] سورة نوح آية: 23

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

واستعمل الملأ أساليب عديدة في الصد عن دين الله تعالى منها:

أولاً: أسلوب اتهام الرسل بالجنون:

وقد جاء هذا عن كثير من الأمم، ومن ذلك ما جاء عن قوم نوح عليه السلام:

(كذَّبت قبلهم قوم نوح فكذَّبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدُجر)[12] وقوله تعالى: (إن هو إلا رجل به جنّة فتربصوا به حتى حين)[13].

اتهم قوم نوح نبيّهم بالجنون لزعمهم أن ما هم عليه وآباؤهم من الشـــرك والضلال هو الذي يدل عليه العقل، وأن ما جاء به نوح عليه السلام، جهل وضلال لا يصدر إلا من المجانين، وكذبوا في ذلك، وقلبوا الحقائق الثابتة شرعاً وعقلاً، فإن ما جاء به، هو الحق الثابت، الذي يرشد العقول النيّرة المستقيمة، إلى الهدى والنور، والرشد، وأن ما هم عليه جهل وضلال مبين[14].

---

[12] سورة القمر آية: 9

[13] سورة المؤمنون آية: 25

[14] انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن 3/137

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك ما أخبر الله تعالى به عن قوم هود عليه السلام (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء). [15]

ومن ذلك ما قاله فرعون لموسى عليه السلام: (قال إنَّ رسولكم الذي أُرسل إليكم لمجنون). [16] وقوله فيما أخبر عنه تعالى: (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون). و(أو) هنا بمعنى الواو ي : قال مرةً في موسى ساحر وقال مرةً مجنون [17] يريد فرعون أن يتهكم على مسألة الرسالة في ذاتها، فيبعد القلوب عن ت صديقها بهذا التهكم، لا أنه يريد الإقرار بها، والاعتراف بإمكانها. ويتهم مو سى عليه السلام بالجنون ليذهب أثر مقالته التي تطعن و ضع فرعون السياسي والد يني في الصميم. وترد الناس إلى الله ربهم ورب آبائهم الأولين. [18]

---

[15] سورة هود آية: 54

[16] سورة الشعراء آية: 27

[17] سورة الذاريات آية: 39 وأنظر : أبو بكر جابر الجزائري _ أيسر التفا سير لكلام العليّ الكبير وبهام شه نهر الخير _ را سم للدعاية والأعلان _ الطبعة الرابعة 412 ه_992 م_ز /166

[18] انظر: تفسير الظلال ز /2592

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك ما ورد عن كفار قريش فيما ذكره الله عنهم (ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون) [19] وقوله تعالى: (ثم تولوا عنه وقالوا معلّم مجنون) [20] ، وقوله تعالى: (وقالوا يا أيُّها الذي نزل عل ه الذكر إنك لمجنون) [21]

وكانت قريش تعلم رجاحة عقل النبي صلى الله عليه و سلم، إلا أنهم أرادوا من وراء هذا الاتهام أن يـصدوا الناس عن دين الله تعالى. جاء في تفسير أ ضواء البيان: قد يُقال في هذه الآية الكريمة (يا أيها الذي نُزّل عليه الذكر إنك لمجنون) كيف يُقر ون بأنه أنزل عليه الذكر ويذسبونه للجنون مع ذلك، والجواب أن قولهم يا أيها الذي نُزل عليه الذكر يعنون في زعمه تهكماً منهم به. [22]

---

[19] سورة الصافات آية: 36

[20] سورة الدخان آية:14

[21] سورة الحجر آية: 6

[22] الشنقيطي ــ تفسير أضواء البيان: 118/1

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم يأتي الردّ عليهم: (أو لم يتفكروا ما بصـــــاحبهم من جنّة إن هو إلا نذير مبين)[23] هل أعملوا الفكر والنظر والتأمل في شأن صاحبهم لذي يعرفونه حق المعرفة، ولا يخفى عليهم من حاله شـــيء، هل هو مجنون، فلينظروا في أخلاقه وهديه، و صفاته، وينظروا في دعوته التي لا يـ ستطيع أن يأتي بما جاء به بـ شر عاقل فكيف بالمجنون، إنهم إن نظروا نظرة مو ضوعية متجردة عن الهوى فلا بدّ أن يُقروا أن له من الصـــفات الحم دة أكملها، ومن العقل أتمّه وأكمله ولا يدعو إلاّ إلى كل خير، ولا ينهى إلا عن كل شر[24] .

ولقد بيّن الله عز وجل تماثل الملأ وتوافق أساليبهم في الـصد عن سبيل الله تعالى، قال سبحانه في بيان ذلك: (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من ر سول الله إلا قالوا ساحر أو مجنون تواصوا به بل هم قوم طاغون)[25]

---

[23] سورة الأعراف آية: 184

[24] انظر : تفسير تيسير الكريم الرحمن 2 / 176 بتصرف

[25] سورة الذاريات الآيتان : 2 –53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى: أتوا صى الأولون والآخرون بهذا القول حتى قالوه جميعاً كأنهم متفقون عليه، فيأتي الجواب (بل هم قوم طاغون) أي لم يتواصـــوا به لأنهم لم يتلاقوا في زمانٍ واحد بل جمعتهم العلّة الواحدة وهي الطغيان، والطغيان هو الحامل عليه. (26)

و(بل) هنا للإضراب بمعنى النفي ،أي: ما وقع منهم وصيةً بذلك [210] .

لقد تشابهت ألسنتهم وقلوبهم في الزيغ والعصيان والضلال.

إن فئة الملأ فئة متكررة في كل زمان ديدنهم الوقوع في الانتقاص من الدعاة ورميهم بالسفه والجنون ليبعدوا الناس عن الصراط المستقيم.

---

(26) انظر: تفسير النسفي ٤/188 بتصرف

(210) أنظر : الجمل _ سليمان بن عمر الشافعي الشهير بالجمل ت (204 ه) الفتوحات الآلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية _دار الكتب العلمية _ بيروت ط _٢/291

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثانياً: اتهام الرسل بعدم الإخلاص في دعوتهم:

جاء هذا الأ سلوب على لـ سان الملأ من قوم نوح عليه الـ سلام: (فقال الملأ الذين كفروا من قومه، ما هذا إلا بـ شرٌ مثلكم يريد أن يتف ضل عليكم ولو شاء الله لأنزل ملائكة ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين)[211] . لقد اتهم الملأ نوحاً عليه السلام بأنه يبتغي من وراء دعوته الوصول إلى أهداف مادية، من الملك، والسلطان وغيرهما من الأطماع.

نظر القوم إلى تلك الدعوة الكبيرة، فما كانوا إذن ليدركوا طبيعتها ولا ليروا حقيقتها، وذواتهم الصغيرة الضئيلة تحجب عنهم جوهرها، وتعمي عليهم عنصرها وتقف حائلاً بين قلوبهم وبينها، فإذا القـ ضية كلها في نظرهم قـ ضية واحد منهم لا يفترق في شـــيء عنهم، يريد أن يتفضـــل عليهم، وأن يجعل لنفســـه منزلة فوق منزلتهم، وهم في انـ دفاعهم لردّ نوح عن المنزلة التي يتوهمون أنه يعمل لـ ها، ويتوصل إليها بدعوى الرسا ... في اندفاعهم هذا لا ردّون فضل نوح وحده،

---

[211] سورة المؤمنون آية :24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل يردّون فضل الإنسانية التي هم منها، ويرفضون تكريم الله لهذا الجنس، ويستكثرون أن يرسل الله رسولاً من البشر.

وقد جاء هذا الأسلوب على لسان فرعون والملأ من قومه:

قال تعالى: (قال للملأ حوله إنّ هذا لســـاحر عليم، يريد أن يخرجكم من أرضكم سحره فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأبعث في المدائن حاشرين) [27]

وقال تعالى: (قال الملأ من قوم فرعون إنّ هذا لســـاحر عليم يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون) [28]

تبين الآيات أن فرعون استعمل أسلوب تحريض الناس ضد موسى عليه الســـلام قائلاً لهم: (يريد أن يخرجكم من أرضـــكم بســـحره) (أي أراد أن يذهب بقلوب الناس معه بسبب هذا فيكثر أعوانه وأنصاره وأتباعه ويغلبنّكم على دولتكم فيأخذ البلاد منكم وهذا موجب للتنفير عنه لئلا يقبلوا قوله) [29]

---

[27] سورة الشعراء الآيتان 34،36

[28] سورة الأعراف 109 ــ 110

[29] انظر: تفسير ابن كثير 3/322 . ابن عادل الدمشقي الحنبلي ت.(880 هـــــ) اللباب في علوم الكتاب – تحقيق د. أحمد عبد الموجود و رفيقه – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان - ط – 5 /22

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً ــ اتهام الرسل بالكذب:

من الأساليب التي سلكها الملأ في صدّ الناس عن دين الله عز وجل رميهم الأنبياء بالكذب، وقد ورد هذا الأسلوب في أكثر من موضع في القرآن الكريم قال تعالى: (وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين وكُذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير) [30] . وقوله تعالى(ثم أرسلنا رسلنا تترى كلما جاء أمّة رسولها كذّبوه فأتبعنا بعضهم بعضاً وجعلناهم أحاديث فبعداً لقوم لا يؤمنون) [31]

وقوله عز وجل: (كذبت قبلهم قوم نوح وأصحاب الرس وثمود وعاد وفرعون وإخوان لوط وأصحاب الأيكة وقوم تُبَّع كلٌ كذّب الرسل فحق وعيد) [32]

فهذه الآيات تبين تكذيب الرسل من قبل أقوامهم سنة مستمرة وإن الدافع إلى هذا التكذيب هو خوف الملأ على مصالحهم الدنيوية التي تقوم عليها سياسة الكبراء. والأمر الآخر الذي يحرص عليه الكفار هو الخوف على المعتقدات الخرافية الموروثة عن آبائهم.

---

[30] سورة الحج الآيتان: 42 ــ 44

[31] سورة المؤمنون آية 44

[32] سورة ق الآيتان: 12 ــ 14

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والآيات فيها تسلية للرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول تعالى لنبيه وإن يكذبك هؤلاء المشركون فلست بأول رسول كُذّب، وليسوا بأول أمّة، كذبت رسولها فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، وكُذب موسى، فلم أعاجلهم بالعقوبة بل أمهلتهم، حتى استمروا في طغيانهم يعمهون، وي كفرهم وشرهم يزدادون.

لقد حاول الملأ بهذا الأسلوب زعزعة ثقة الناس بالأنبياء والمرسلين وبالتالي الابتعاد عن دعوتهم، ذلك أن نجاح دعوة الأنبياء هو نذير خطر يهددّ كيانهم ويأتي على باطلهم من أساسه.

وإن الملأ في استخدامهم هذا الأسلوب لا حجة لهم فيه ولا برهن في اتهامهم الأنبياء بالكذب وجُلُّ ما يتعلقون به هو التمسك بتقليد الآباء بصرف النظر عن كونه حقاً أو باطلاً، ثم يلجأ أعداء الدين في نهاية المطاف إلى طلب المعجزات الخارقة للعادة من باب التعنت،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولو نزلت هذه الآيات ما كانوا ليؤمنوا بدين الله تعالى ولكان ردّ م كما أخبر عنهم سبحانه! (لقالوا إنمّا سُكّرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون) [33]

رابعاً: أسلوب التهديد بالإيذاء والنفي والقتل:

يلجأ الملأ إلى استخدام هذه الأساليب من البطش والطرد وإنزال البلاء عند العجز في كسب قلوب الدعاة واستمالتهم. ومن ذلك ما قصّه القرآن الكريم عن الأمم التي واجهت دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام بهذا الأسلوب قال تعالى (وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنّكم من أرضنا أو لتعودنَّ في ملتنا) [34] ففي هذه الآية التخيير بين النفي من الأرض أو العود إلى ملة الكفر.

---

[33] سورة الحجر آية: 15

[34] سورة إبراهيم آية: 13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي قوله تعالى: (وهمّت كل أمة برسولهم ليأخذوه ..)[35] أي ليتمكنوا منه ومن الإيقاع به وإصـــابته بما أرادوا من تعذيب أو قتل[36] ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن مواقف بعض الأقوام من رســلهم كقوم نوح عليه الســلام، فقد توعّدوه بالرجم قال تعالى: (قالوا لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين)[37] أي المقتولين قبح قتلة ويُستعار الرجم للرمي بالظن والتوهم، وللشتم والطرد.[38]

وإبراهيم عليه الســـلام توعّده قومه بمثل هذا الوعيد فقال له أبوه: (قال أراغب أنت عن آلهتي يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنَّك واهجرني مليّاً)[39] وبمثل هذا الوعيد واجه قوم شعيب نبيهم عليه السلام، قال تعالى: (قالوا يا شعيب ما نفقه كثيراً مما تقول ولولا رهطك لرجمناك وما أنت علينا بعزيز)[40]

---

[35] سورة غافر آية: 5

[36] تفسير الكشاف ١/415

[37] سورة الشعراء آية: 116

[38] مفردات الراغب ص345

[39] سورة مريم آية: 46 و مليّا : أي دهراً طويلاً مؤبداً، أو سوياً سليماً من عقوبتي – انظر : العز بن عبد السلام السلمي الدمشقي ت. (78 – 660 هـ) تفسير القرآن – دار ابن حزم – الطبعة الاولى ١/279

[40] سورة هود : آية 91

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وتوعد قوم لوط و شعيب عليهما الـ سلام نبييهما بالنفي من الأرض قال تعالى عن قوم لوط: (و ما كان جواب قو مه إلا أن قالوا أخرجوهم من قريتكم إنهم أ ناس يتطهرون) [41] وقال تعالى عن قوم شعيب: (قال الملأ الذين ا ستكبروا من قومه لنخرجنَّك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودّن في ملتنا قال أو لو كنّا كارهين) [42]

وجاء التهديد بالقتل لإبراهيم ومو سى عليهما الـ سلام، وكذلك لبني إ سرائيل بعد إيمانهم بمو سى عليه السلام. قال تعالى عن قو م إبراهيم عليه السلام: (فما كان جواب قو مه إلا أن قالوا اقتلوه أو حرقّو ..) [43] قتلوه أو حرقّوه رداً على تلك الدعوة الواضحة البسيطة التي خاطب بها قلوبهم وعقولهم.

---

[41] سورة الأعراف آية: 82

[42] سورة الأعراف آية: 88

[43] سورة العنكبوت آية: 24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد أسفر الطغيان عن وجهه الكالح، ولم يكن إبراهيم عليه السلام، يملك له دفعاً، ولا يســـتطيع منه وقاية. وهو فرد أعزل لا حول له ولا قوة ولا طول ولكن الله تعالى معه حيث أنجاه من النار وجعلها عليه برداً وسلاماً [44]

وقال فرعون: (ذروني أقتل موسى وليدع ربه إنّي أخاف أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) [45]

وقال فرعون متكبراً متجبراً، مغروراً لقومه الســـفهاء ذروني أقتل موســـى وليدع ربه، وكان إذا همّ بقتله كفّوه بقولهم: ليس بالذي تخافه وهو أقل من ذلك وأضعف وما هو إلا ساحر يقاومه ساحر مثله وإنّك إذا قتلته أدخلت الشبهة على الناس واعتقدوا أنك عجزت عن مظاهرته بالحجة، والظاهر أنه لعنة الله عليه استيقن أنه عليه السلام نبيٌّ ولكن كان فيه خبٌّ وكان قتالاً سفاكاً للدماء في أهون شيء فكيف لا يقتل من يريد هدم ملكه

---

[44] تفسير الظلال ج/2731 بتصرف

[45] سورة غافر آية: 26

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكنّه يخاف إن همّ بقتله أن يُعاجل بالهلاك، فقوله: (ذروني) الخ، كان تمويهاً على قومه وإيهاماً أنهم هم الذين يكفوّنه، وما كان يكفّه إلا ما في نفسه من هول الفزع، ويرشد إلى ذلك قوله: (وليدع ربّه) لأنّ ظاهره الاستهانة بموسى عليه السلام بدعائه ربه سبحانه كما يقال: ادع ناصرك فإني منتقم منك، وباطنه أنه كان ترعد فرائصه من دعاء ر ... [46])

وقال تعالى مخبراً عن توّعد فرعون بني إسرائيل بقتل ذكورهم: (وقال الملأ من قوم فرعون أتذر موسى وقومه ليفسدوا في الأرض ويذرك وآلهتك قال سنقتّلُ أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنّا فوقهم قاهرون) [47])

---

[46] روح المعاني 4! /52 بتصرف

[47] سورة الأعراف آية: 127

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال الملأ من قوم فرعون ــ وهم كبراء القوم وسادتهم وخاصّةٌ فرعون ــ أتدع مو سى وقومه آمنين أحراراً لتكون عاقبتهم أن يفسدوا قومك عليك في أرض مـ صر بإدخال م في دينهم أو جعلهم تحت سلطانهم وريا ستهم. ويتركك مع آلهتك فيظهر لرعيتك عجزك وعجز آلهتك، وقد رأيت من أمر إيمان الســـحرة وما نتج عنه، قال فرعون: (سنقتّل أبناءهم ونـ ستحيي نـ ساءهم) والمعنى سنقتل أبناء قوم موسى تقتيلاً ما تناسلوا، ونستبقي نساءهم أحياء كما كنّا نفـ ل من قبل ولادة موسى حتى ينقرضوا (وإنا فوقهم قاهرون) أي مستعلون عليهم بالغلبة والسلطان قاهرون لهم كما كنّا من قبل، فلا يـ ستطيعون إفـ ساداً في أر ضنا ولا خروجاً من حظيرة تعبيدنا [48])

وتوعد فرعون مو سى عليه الـ سلام بالـ سجن كما جاء في قوله تعالى: (قال لئن اتخذت إلـ اً غيري لأجعلنّك من المسجونين) [49]

---

[48] تفسير المنار ١ /78

[49] سورة الشعراء آية: 29

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

هدّد فرعون موســـى عليه الســـلام ا ا ا : لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك واحداً ممن عرفت حالهم في سجوني . [50]

وتوعد فرعون بقطع الأيدي والأرجل، والصـــلب لمن آمن بموســـى عليه السلام من بني إسرائيل. قال تعالى مخبراً عن مقولة فرعون: قال فرعون ءامنتم به قبل أن آذن لكم إنّ هذا لمكرٌ مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها أهلها فســـوف تعلمون، لأقطعنَّ أيديكم وأرجلكم من خلاف ثم لأصلّبنّكم أجمعين [51]

لما رأى فرعون والملأ إيمان الســـحرة، وقامت الحجة بإيمان أهل علمهم ومظنّة ن صرتهم، وقع فرعون في الو رطة العظمى، فرجع إلى الـ سحرة موبخاً لهم على إيمانهم بموسى قبل إذنه لهم بالإيمان باعتباره أنه الحاكم المُطاع [52]

---

[50] انظر : تفسير النسفي ! /182

[51] سورة الأعراف الآيتان: 23 ، 124

[52] تفسير ابن عطية 1 /109

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم احتج عليهم متهماً إيّاهم بقوله: (إنَّه لكبيركم الذي علمكم السحر) وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي علّمهم صنعة السحر؟ ثم توعَّدهم فرعون بقطع الأيدي والأرجل والصلب [53])

لقد اتهم فرعون السحرة بالمكر، حيث يقول لهم بأنه جرت بينهم وبين موسى مواطأة في الذي جرى وهم في المدينة قبل أن يبرزوا إلى مكان المبارزة والمعارضة، وذلك لغرض الاستيلاء على مصر وطرد أهلها منه [54]) .

---

[53]) تفسير ابن كثير ٤/324

[54]) تفسير القرطبي ١١/260

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: أسلوب الإغراء

- الإغراء بالمال والوعد بالمنزلة العالية:

استخدم أعداء الرسل أسلوب الإغراء لصدّ الناس عن دعوة الحق، واستخدم الكفرة ألواناً وصوراً عديدة لهذا الأسلوب ومن ذلك ما ذكره الله تعالى عن إغراء فرعون الـ سحرة بالمال والمكانة العالية: (وجاء الـ سحرة فرعون قالوا إنّ لنا لأجراً إن كنّا نحن الغالبين قال نعم وإنّكم لمن المقربين) [55]

قال الـ سحرة لفرعون على وجه الا ستخبار: هل يجعل لهم أجراً إن غلبوا أولاً، فلم يوجبوا على فرعون ذلك وإنما كانوا طامعين بالأجرة، فاســتخبروه عنه، فـ ال لهم: نعم، وإنكم لمن المقربين أي لمن أهل المنزلة الرفيعة عندي مع الأجر، فزادهم فرعون على ما طلبوا، ليحثهم على بذل أقصى الجهد لإظهار سحرهم على ما عند موسى [56]

---

[55] سورة الأعراف الآيتان 113 – 114

[56] انظر: تفسير البغوي ! /186

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا أسلوب فيه زيادة في التحريض والتشجيع، وحتى يبقى الناس من أتباع السحرة الذين يمثّلون قمة الكفر والضلال. قال تعالى: (وقيل للناس هل أنتم مجتمعون لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين)[57]

قال قائلهم: (هل أنتم مجتمعون) استبطاء لهم في الاجتماع، والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم عليه، أي على الاجتماع والحضور في يوم ومكان المعارضة، وقول قائلهم: (لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم الغالبين) ليس معناه نتبعهم في السحر، وإنما أراد ما معناه: نتبعهم في نصرة ديننا وملتنا[58]

وفي سيرة النبي عليه الصلاة والسلام شواهد على محاولة الملأ اغراء النبي صلى الله عليه وسلم بالمال والملك والشرف حيث جاءوا اليه فقالوا له يا محمد ان كنت تريد ملكاً ملكناك علينا وان كان هذا الذي يأتيك رئياً تراه قد غلب عليك فربما كان ذلك بذلنا أموالنا في طلب الطب حتى نبرئك منه

---

[57] سورة الشعراء الآيتان: 39 – 40

[58] انظر: تفسير ابن عطية 1 /06 ، تفسير ابن كثير 1/323

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وان كنت انما جئت بهذا الحديث تطلب الشرف فينا سودناك علينا فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (ما بي ما تقولون ما جئتكم بما جئتكم به أطلب اموالكم ولا الشـــرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني اليكم رســـولاً وانزل عليّ كتاباً وأمرني أن اكون لكم بشيراً ونذيرا ، فبلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ، فإن تقبلوا مني ما جئتكم فهو حظكم من الدنيا والاخرة وان تردوه أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم) [*]

ب) إغراء عامة الناس بالتمسك بعبادة الآلهة:

من ذلك ما أخبربه الله تعالى من تمســـك قوم نوح بمعبودات باطلة: (وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ ودّاً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً) [59]

والمعنى أن الملأ أصحاب الثراء صدوا الناس عن دين الله ، حرَّضوهم على التمسك بهذه الآلهة، التي أضافوها إليهم زيادة في التمسك بها.

---

[*] انظر : ابن كثير – السيرة النبوية / 478 –479 .بتصرف

[59] سورة نوح آية: 23

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وكان هذا مكراً كبيراً من هؤلاء الأتباع لاحتيالهم في الدين وإغرائهم على أذية نوح عليه السلام، وقال الملأ للمتبوعين: لا تتركوا عبادة هذه الأصنام ــ على الإطلاق ـــــ إلى عبادة رب نوح عليه السلام (ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولايغوث ويعوق ن سراً) أي ولا تتركوا هؤلاء خ صّوها بالذكر مع اندارجها فيما سبق لأنها كانت أكبر معبوداتهم وأصنامهم الباطلة وأعظمها عندهم[60]

وهذا الأسلوب من الإغراء على التمسك بالآلهة الباطلة جاء على لسان كفار قريش قال تعالى ذاكراً مقولتهم: (وعجبوا أن جاءهم منذر منهم، وقال الكافرون هذا ساحر كذاب، أجعل الآلهة إلهاً واحداً إنَّ هذا لشيءُ عجاب، وانطلق الملأ منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنّ هذا لشيء يُراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق أءُنزل عليه الذكر من ب ننا بل هم في شـــك من ذكري بل لمّا يذوقوا عذاب[61])

---

[60] انظر: روح المعاني 9/ 77/ بتصرف

[61] سورة ص الآيات: 4 ــ 8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يصـــور التعبير القرآني مدى دهشـــتهم من هذه الحقيقة الفطرية القريـ ... (أجعل الآلهة إلهاً واحداً ؟) كأنه الأمر الذي لا يتصوره متصور (إن هذا لشيء عجاب) حتى البناء اللفظي "عُجاب" يوحي بشدة العجب وصخامته:

كما صـــور طريقتهم في مقاومة هذه الحقيقة في نفوس الجماهير، وتثبيتهم على ما هم علـيه من عقـيدة مورو ثة متـهافـتة، وإيـهامهم أن وراء الدعوة من خبيء [362]

وقالوا ما ســـمعنا بهذا الذي يدعونا إليه محمد صـــلى الله عليه وســـلم من التوحيد في الملة الآخرة، أي في دين قريش الذي أدركنا عليه آباءنا، أو في ملة النصـــارى لأنهم لا يدينون بالتوحيد. إن هذا إلا اختلاق أي ما هذا التوحيد الذي يُدعى إليه إلا فرية محضة لامستند له سوى هذا الذكر بزعمهم [363]

---

[362] انظر: تفسير الظلال 5/ 3009 . بتصرف

[363] انظر: تفسير القاسمي 4 /146

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي موضـــــع آخر يقول تعالى: (وإذا رءاك الذين كفروا إن يتخذونك إلاّ هزوا أهذا الذي يذكر آلهتكم وهم ذكر الرحمن هم كافرون)[64] يعنون هذا الذي يسبُّ آلهتكم ويسفّه أحلامكم.

و خلاصة القول في هذا الفصل أن ملأ لم يتركوا أسلوباً للصد عن سبيل الله إلا سلكوه. أما الر سل عليهم الـ صلاة و الـ سلام و اتباعهم فلم تثنهم الأ ساليب الماكرة عن الاستمرار في دعوتهم و الثبات ـ لى دعوة الحق.

[64] سورة الانبياء آية: 36

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني موقف المنافقين من الدعوة وأصحابها

ذكر القرآن الكريم المواقف التي وقفها المنافقون من الدعوة إلى الله تعالى، ويمكن ردّ جميع مواقفهم وأعمالهم إلى قاعدة واحدة، هي قاعدة "الإفســـاد" التي ذكرها الله تعالى في قوله: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنّما نحن مصلحون ألا إنّهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)[365]

وســـيكون الحديث في هذا المبحث عن بعض المواقف التي وقفها المنافقون من الدعوة إلى الله تعالى، وكلها في دعوة خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، إذ لم يذكر القصص القرآني شيئاً عن هذه الظاهرة في الأمم السابقة.

[365] سورة البقرة الآيتان: 11 ــ 12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فمن مواقف المنافقين:

أولاً: إثارة الفتنة لتمزيق صف المسلمين

قال تعالى: (لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً):

أي فساداً وشر [66] (ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة): أي ولأسرعوا السير والمشي بينكم بالنميمة والبغضاء، والفتنة [67] وقال تعالى (لقد ابتغوا الفتنة من قبل [68]) أي منذ اللحظة الأولى في ظهور النفاق وهم يجتهدون في إثارة الاختلاف بين المؤمنين الموجب للفرقة والتمزق، بعد أن منّ الله على المؤمنين بالألفة والمحبة والأخوّة الإيمانية، ويصور الله تعالى مكرهم، وإمعانهم في الفساد قوله: (وقلبوا لك الأمور) وتقليب الأمر: تصريفه وترديده، لأجل التدبر والتأمل فيه: يعني اجتهدوا في الحيلة عليك والكيد بك [69]

---

[66] تفسير الكشاف ١/276 و الآية من سورة التوبة و رقمها: 47

[67] تفسير ابن كثير ١/345

[68] سورة التوبة آية: 48

[69] تفسير الفخر الرازي: 6 /83

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن صور الكيد لتفريق الصف المسلم، التي دبرها المنافقون للفتنة والفساد: بناء مسجد الضرار، قال تعالى: (والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد إنهم لكاذبون) [570]

حيث قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ـــ بعد فراغهم من بنائه ـــ إنا بنينا مسجداً لذي العلة، والحاجة، والليلة المطيرة، والليلة الشاتية. وطلبوا منه عليه الصلاة والسلام، أن يصلي فيه، ليحتجّوا بصلاته فيه على تقريره. ولما همّ عليه الصلاة والسلام بالصلاة فيه بعد رجوعه من تبوك، نزل القرآن الكريم ليكشف نوايا المنافقين ويفضح تآمرهم وكيدهم للمسلمين، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بهدمه [571]

---

[570] سورة التوبة آية: 107

[571] انظر: أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي ـــ أسباب النزول ط بلا ـــ عالم الكتب ـــ بيروت ص 196 وسيرة ابن هشام: 2/529 ـــ 530 وابن جرير الطبري 11/3، تفسير ابن كثير 2/371

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن صور إثارة الفتنة التي سلكها المنافقون مارواه البخاري عن جابر بن عبد الله رضـــي الله عنهما، قال كنّا في غزاة، فكســـع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فسمع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: " ما بال دعوى الجاهلية؟ " قالوا: يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار: فقال: (دعوها فإنها منتنة) فسمع بذلك عبد الله بن أبي، فقال: فعلوها؟ أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل. فبلغ النبيّ صلى الله عليه و سلم فقام عمر: فقال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق: فقال النبيّ صلى الله عليه و سلم: "دعه لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه [72])

ومن صور إثارة الفتنة: خوضهم في حادثة الإفك التي برّأ الله تعالى فيها أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها الصدّيقة بنت الصدّيق من فوق سبع سماوات مما اتهما به أهل الإفك من المنافقين، وأنزل الله فيها قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة.

[72] البخاري كتاب التفسير باب قوله (سواء عليهم أستغفرت لهم أم لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ..) 6/37.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال تعالى: (إنَّ الذين جاءوا بالإفك ع صبة منكم لا تح سبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل أمرىء منهم ما اكتســـب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم) [573] فهذه الحادثة فضحت المنافقين، وو صفت ما قاموا به بالبهتان، والإفك، وازداد المؤمنون الـ صادقون إيماناً وثباتاً على العدل، وتمت النعمة من الله على آل بيت الصديق.

ثانياً: التخذيل عن الجهاد في سبيل الله تعالى :

قال تعالى عنهم: (لا تنفروا في الـحـ .) [574] حيث قال المنافقون لإخوانهم في النفاق تثبـ تاً لهم على القعود و تواصـــياً بينهم بالفســـاد، أو قالوا ذلك للمؤمنين تثبيطاً لهم عن الجهاد و نهياً عن المعروف و إظهاراً لبعض الأســـباب الداعية لهم الى فرحهم بتخلفهم عن الخروج. لأن غزوة تبوك كانت في شدة الحر،

---

[573] سورة النور آية: 11

[574] سورة التوبة آية: 8

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فيأتي الجواب من الله تعالى رداً عليهم قل يا محمد تجهلاً لهم :(نار جهنم) التي هي مصيركم بتخلفكم عن الجهاد أشد من هذا الحر الذي تتعللون به للقعود عن الجهاد و المخالفة لله تعالى و لرسوله صلى الله عليه و سلم لو كان هؤلاء المنافقون يعلمون أنها كذلك، أو أن مرجعهم اليها لما آثروا راحة زمن قليل على عذاب الأبد، و من يفعل ذلك فهو أجهل الجاهلين [75] ومن مواقفهم الكذب، قال تعالى عنهم: (و سيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون) [76] .

فمن أخلاق المنافقين الحلف الكاذب يقولون لو قدرنا على الخروج و وجدنا ما نحتاج اليه لخرجنا معكم و لكنهم يحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم بالحلف الكاذب و ادعائهم العجز عن الخروج,[77])

---

(75) انظر: فسير الزمخشري ! /96 ، تفسير الألوسي 0 /151

(76) سورة التوبة آية: 42

(677)) صديق حسن خان ت. (1307 هـ) تفسير فتح البيان تقديم عبد الله بن ابراهيم الأنصاري طبعة بلا ؛ /02 – 103 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: ومن مواقفهم: السخرية والاستهزاء بالمؤمنين:

قال تعالى: (ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يُعطوا منها إذا هم يسخطون) [78] وقال تعالى عنهم (الذين يلزمون المطوّعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم) [79] فهذه الآيات يتضح منها طبيعة المنافقين في مواجهتهم الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بالسخرية والاستهزاء والطعن واللمز بقصد الاحتقار والحطّ من شأنهم وهذه السخرية تبين ما تنطوي عليه نفوس المنافقين من الكفر بالله تعالى والتمرّد على أحكامه.

رابعاً: الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف:

قال تعالى: (المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إنَّ المنافقين هم الفاسقون) [80]

---

[78] سورة التوبة آية: 58

[79] سورة التوبة آية: 79

[80] سورة التوبة آية: 67

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى: (إنَّ المنافقين والمنافقات من طينة واحدة، وطبيعة واحدة، المنافقون في كل زمان، وفي كل مكان، تختلف أفعالهم وأقوالهم، لكنها ترجع إلى طبع واحد، وتتبع من معين واحد، سوء الطويّة ولؤم السريرة، والغمز والدس، والضعف عن المواجهة، والجبن عن المصارحة، تلك سماتهم الأصيلة، أما سلوكهم فهو الأمر بالمنكر والنهي عن المعروف والبخل بالمال [81])

ومن أمثلة النهي عن المعروف ما ذكره الله تعالى عن قولهم: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضّوا ولله خزائن السماوات والأرض ولكنّ المنافقين لا يفقهون) [82]

تذكر الآية القرآنية، قولة المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول ومن قال بقوله: (لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا) والهدف من هذا أن يتفرق المؤمنون عن النبي صلى الله عليه وسلم بأن يذهب كل واحد منهم إلى أهله وشغله الذي كان له قبل ذلك، يعنون بذلك فقراء المهاجرين، ثم سفّه الله تعالى أحلامهم في ظنّهم أن إنفاقهم هو سبب رزق هؤلاء المهاجرين،

---

[81] تفسير الظلال: 3/1673 بتصرف

[82] سورة المنافقون آية: 7

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وذ سوا أن حرمان الرزق بيد الله تعالى إذا شاءه، وأنه إذا اذ سدّ باب انفتح غيره فقال تعالى(ولله خزائن الســـماوات والأرض) أي إنّ الله تعالى هو الرزاق لهؤلاء الفقراء والمهاجرين وغيرهم، لأنّ خزائن الرزق عنده ، فيعطي من شاء ما يـ شاء ويمنع من شاء ما يشاء، لا بأيديهم، وهذا ردّ وإبطال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدي إلى نف ضاض الفقراء من حوله صلى الله عليه و سلم (ولكن المنافقين لا يفقهون) ولا يعلمون أن الأرزاق بـ يد الله وأن هو الـ باســـط الـ قابض، المعطي المانـ [83])

[83] تفسير ابن عطية 4 /64، صديق حسن خان ــ تفسير فتح البيان 4 /150 ــ 151

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

خامساً: التحاكم إلى غير شرع الله تعالى:

من أقبح صـــفات المنافقين رفض التحاكم إلى شـــريعة الله والتحاكم إلى الطواغيت التي تحقق رغباتهم، قال تعالى: (ألم تر إلى الذين يزعمون أنّهم آمنوا بما أُنزل إليك وما أُنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أُمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً، وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدّون عنك صدوداً، فكيف إذا أصابتهم مصيبة بما قدمت أيديهم ثم جاءوك يحلفون بالله إن أردنا إلا إحســـاناً وتوفيقاً، أولئك الذين يعلم الله ما في لوبهم فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً)[84]

عن ابن عباس قال : (نزلت في رجل من المنافقين كان بينه وبين يهودي خ صومة فقال اليهودي : انطلق بنا إلى محمد – صلى الله عليه و سلم – وقال المنافق بل نأتي كعب بن الاشـــرف وهو الذي ســـماه الله تعالى الطاغوت فأبى اليهودي إلا أن يخاصمه إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم –

[84] سورة النساء الآيات 50 ــ 63

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاختصما إليه فقضى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لليهودي فلما خرجا من عنده لزمه المنافق وقال ننطلق إلى عمر بن الخطاب فأقبلا إلى عمر فقال اليهودي اختصمنا أنا وهذا إلى محمد – صلى الله عليه وسلم – فقضى لي عليه فلم يرض بقضائه وزعم أنه مخاصم إليك وتعلقت به فجئت إليك معه فقال للمنافق أكذلك قال نعم فقال لهما رويداً حتى أخرج إليكما فدخل عمر وأخذ السيف فاشتمل عليه ثم خرج إليهما وضرب به عنق المنافق وقال هكذا أقضي ممن لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله وهرب اليهودي ونزلت هذه الآية .[685]

تتحدث الآيات عن رفض المنافقين التحاكم إلى ما أنزل الله وإلى الرسول وهذا هو شأن المنافقين وتلك هي علامتهم. في السلم والأمن يُظهرون الصدود والإعراض فإذا أصابهم السوء نتيجة تصرفهم عادوا يلتمسون المعاذير ويدعون أنّهم إنما أرادوا الإحسان والتوفيق، (أولئك الذين يعلم الله، في قلوبهم) ولا يعني النص بطبيعة الحال أنّ أولئك فقط هم الذين يعلم الله ما في قلوبهم فإنّ الله يعلم ما في قلوب الناس جميعاً،

[685] الواحدي - أسباب النزول - ص 120

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ولكن التعبير يؤدي معنى بلاغياً آخر مؤدّاه أن أولئك مهما حاولوا الاستخفاء بحقيقتهم عن الناس ، ومهما تظاهروا بالإيمان فإنّ الله يعلم دخيلة أنفسهم فلا يستطيعون أن يخدعوه، (فأعرض عنهم وعظهم وقل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) ولم يكن الأمر بقتالهم قد نزل بعد، فيوجّه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الإعراض عنهم ووعظهم ليرجعوا عن غيهّم، ويستقيموا على أمر الله ، ولكن التعبير في قوله تعالى: (قل لهم في أنفسهم قولاً بليغاً) يحمل نغمة حادّة تشبه النذير [86] . إن رفضهم لحاكمية الله تعالى رفض للإيمان كما قال تعالى: (ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك وما أولئك بالمؤمنين وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون) [87]

---

[86] انظر: محمد قطب ــ دراسات قرآنية ص141

[87] سورة النور الآيتان 48 ــ 50

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد و ضع الله تعالى معياراً دقيقاً وفيصلاً وا ضحاً في هذه القـ ضية بين المؤمن والمنافق. فأمّا لمؤمن الـ صادق فإنه ينقاد إلى حكم الله تعالى ويرـ ضى به ويقول: سمعت وأطعت: (إنما كان قول المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون)[688]

هذه هي صفة المؤمن، أما المنافق فـ صفته الإعراض والاستكبار عن حكم الله، قال تـ عـ لى: (وإذا دُعوا إلى الله ورســـو له ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون)[689]

قال ابن العربي المالكي: هذه الآية دليل على وجوب إجابة الدعوى إلى الحاكم، لأن الله سبحانه وتعالى ذمّ من دُعي إلى رسول الله ليحكم بينه وبين خـصمه بأقبح المذمّة[690]

---

[688] سورة النور آية: 51

[689] سورة النور آية 48

[690] محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي ت (543 هـ) ـ أحكام القرآن ـ دار الفكر الطبعة الأولى 1408 هـ ـ 988 م ـ بيروت ـ لبنان ـ تحقيق محمد عبد القادر عطا 1/407

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً: موالاة اليهود و نصارى:

من أخطر ما ارتكبه المنافقون: موالاة اليهود والنصارى ضد المسلمين وقد فضحهم القرآن في أكثر من موضع منها: (ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبدا وإن قوتلتم لننصرنَّكم والله يشهد إنهم لكاذبون لئن أخرجوا لا يخرجون معهم و لئن قوتلوا لا ينصرونهم ولئن نصروهم ليولّنّ الأدبار ثم لا يُنصرون) [91] -

والمعنى: ألم تر يا محمد إلى عبد الله بن أُبي وأشـــياعه يقولون لإخوانهم الذين كفروا يعني بني النضير والمراد إخوة الكفر ـــــ لئن خرجتم من د؛ ركم لنخرجن معكم، روي أن ابن أبيّ وأ صحابه د سّوا إلى بني الن ضير حين حا صرهم النبي صلى الله عليه و سلم لا تخرجوا من الح صن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع في قتالكم أحداً أبداً من رســـول الله من المسلمين إن حُملنا عليه أو في خذلان م وإخلاف ما وعدناكم من النصرة،

[91] سورة الحشر ــ الآيتان 11 ــ 12

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن قوتلتم لننصركم والله يشهد إنهم لكاذبون في مواعيدهم لليهود، لئن أخرجوا لا يخرجون معهم ولئن نصر المنافقون اليهود لينهزمنَّ المنافقون ثم لا يُنصرون بعد ذلك أي يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو لينهزمنَّ اليهود م لا ينفعهم نصرة المنافقين [92])

و خلاصة القول أن صفات المنافقين جاءت مبسوطةً بوضوح في الآيات القرآنية و الأحاديث النبوية . فعلى الدعاة أن يحذروا من صـــفاتهم و إرجافهم و يردوا على شبهاتهم و يبينوا للناس علاماتهم ، وصنف المنافقين يكمن تأثيره وعدم تأثيره إلى مكانة الجماعة المسلمة أو ضعفه فإذا كان بناء الجماعة مهلهلاً سرعان ما يتأثر لأدنى هزة ، أما إذا كان البناء صلباً فإنه مهما تعرض للمحن فسيبقى قوياً ثابتاً ، كما يجب مقاطعة كل مؤسساتهم التي أقاموها للإضرار بالمسلمين والصد عن الدعوة إلى الله تعالى .

---

[92] انظر تفسير النسفي ١/242 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث موقف المستضعفين من المؤمنين وثباتهم على الحق

المستضعفون ــ غالباً ــ أول من يستجيب لدعوة الرسل وذلك أنه لا عائق يحول بينهم وبين الاستجابة ولم تتلوث فطرتهم بما يفسدها من البطر والترف وحب الجاه والانغماس في اللهو والشهوات، بل إنهم يجدون في دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام الملاذ والحماية والأمن من المترفين وأرباب المصالح.

وقد جاء في كتاب الله تعالى بيان استجابة المستضعفين ومبادرتهم للتصديق بالمرسلين ففي سورة الشعراء، قال الله تعالى عن قوم نوح (قالوا أنؤمن لك واتّبعك الأرذلون)[93] ولذلك كان فقراء المؤمنين وضعفاؤهم من أتباع الرسل، فتنة لأغنيائهم ورؤسائهم، امتنعوا عن الإيمان بعد معرفتهم صدق الرسل، وقالوا: (لو كان خيراً ما سبقونا إليه)[94] وقال تعالى: (وكذلك فتنّا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منَّ الله عليهم من بيننا)[95] ،

---

[93] سورة الشعراء آية: 111

[94] سورة الأحقاف 11

[95] سورة الأنعام آية: 53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإذا رأى الشريف الرئيس، المسكين الذليل قد سبقه إلى الإيمان ومتابعة الرسول حمي، وأنف أن يسلم فيكون مثله، وقال: أسلمُ فأكون أنا وهذا الوضيع على حدّ سواء ... وكان الرجل الشريف ربما أراد الإسلام، فيمتنع منه لئلا يقال: أسلم قبله من هو دونه، فيقيم على كفره، لئلا يكون للمسلم السابقة عليه في الفضل [96])

وفي قصة صالح عليه السلام يقول تعالى: (قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أنّ صالحاً مرسل من ربه قالوا إنّا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا إنّا بالذي آمنتم به كافرون) [97] أي قال الملأ من قومه وهم سادة القوم وكبراؤهم وذوتهم الذين استكبروا عن الإيمان بعد ظهور آية الناقة، وكلمات صالح النا صحة، قالوا للمؤمنين الذين استضعفوهم واسترذلوهم: أتعلمون أنّ صالحاً مرسل من ربه، إليكم لعبادته تعالى وحده لا شريك له، وهذا قالوه على سبيل السخرية والاستهزاء، فأجابهم المؤمنون بقولهم: (قالوا إنّا بما أُرسل به مؤمنون)

---

[96] انظر: ابن القيم ــ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ــ دار الفكر ــ طبعة بلا تحقيق محمد حامد الفقي ؛ 1/161 ــ 162

[97] سورة الأعراف الآيتان: 75 ــ 76

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أي إنّا بما أرسل به دون ما يخالفه من الشرك والفساد، مصدّقون بأنه جاء من عند الله تعالى، ومذعنون له بالفعل، ويلاحظ هنا أنهم لم يجيبوا بكلمة (نعم)، أو نعلم أنه مرسل من ربه، أو إنّا برسالته عالمون، ولكنهم أجابوا بما يستلزم هذا المعنى ويزيد عليه، وهو أنهم علموا بذلك يقيناً إذعانياً، له السلطان على عقولهم وقلوبهم إذ آمنوا به إيماناً صادقاً كاملاً حتى صار صفة من صفاتهم الراسخة التي تصدر عنها أعمالهم)[98]

وفي قصة موسى عليه السلام بيّن الله تعالى ما كان عليه حال بني إسرائيل تحت جبروت رعون من الظلم واستحياء نسائهم، وإذلالهم، واستعبادهم، ثم أنعم الله عليهم بأن مكّن لهم في الأرض وأذاق فرعون وأتباعه سوء العذاب قال تعالى (وأورثنا القوم الذين كانوا يُستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التي باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمّرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون)[99]

---

[98] تفسير المنار 4/104، تفسير القاسمي 7/183 أبو السعود محمد بن محمد العمادي ـــــ إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ـــ دار إحياء التراث العربي ـــ طبعة بلا 4/242

[99] سورة الأعراف آية: 137

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ويقول الله تعالى: (إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمنَّ على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمّة ونجعلهم الوارثين ونمكّن لهم في الأرض ونُري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)[100] فموقف الكبراء – عندما يرون مبادرة المستضعفين إلى دين الله عز وجل – هو النظر إلى دعوة الأنبياء بعين الاحتقار والازدراء، ولشدة احتقارهم للمستضعفين المؤمنين، كان من مطالبهم التي توجهوا بها إلى الرسل عليهم الصلاة والسلام أن يبُعدوا عنهم المستضعفين ويطردوهم. وفي قوله تعالى عن نوح عليه السلام: (وما أنا بطارد الذين آمنوا)[101] ما يُشعر بأن المترفين طلبوا طرد المؤمنين من حوله، حتى يفكروا في الإيمان به، لأن نفوسهم تأبى أن تلتقي عنده بالأراذل،

---

[100] سورة القصص الآيتان 4 – 6

[101] سورة هود آية: 29

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أو تـ سـ وي معهم عنده وفي مقامه ومجل سه، لذلك ردّ عليهم بقوله: (وما أنا بطارد الذين آمنو ..) ووصفوهم بالأراذل (أنؤمن لك وأتبعك الأرذلون) [02] فنبيُّ الله نوح عليه الـ سلام يقول لقومه "ليس من شأني ولا بالذي يقع منيّ طرد الذين آمنوا من قربي وجواري لاحتقاركم لهم، ووصفكم لـ م بالأراذل جهلاً منكم) [703]

ويبينّ لهم نوح عليه الســـلام خوفه من عقاب الله تعالى إذا ما قام بطردهم (ويا قوم من ينصـــرني من الله إن طردتهم أفلا تذكّرون). فالمقاييس عند الأكابر مادية ودنيوية وهي مقاييس لا يملك المـ ستـ ضعـ فون منها شيئاً لذلك كانوا يزدرون المؤمنين ولا يقيمون لهم وزناً، ولكن الميزان الحق (إنّ أكرمكم عـ ند الله أتقاكم) [04]

---

[02] سورة الشعراء آية 11

[03] تفسير المنار ــ 2 /65

[04] سورة الحجرات آية: 13

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي موضع آخر يقول نوح عليه السلام للأكابر من قومه (ولا أقول للذين تزدري أعينكم لن يؤتيهم الله خيراً الله أعلم بما في انف سهم إنيّ إذاً لمن الظالمين). أي: لا أقول للذين تعيبون عليهم حالهم من الضـــعف والفقر، وتســـتهزئون بهم وتحتقرونهم (لن يؤتيهم الله خيراً) إرضاء لكبريائكم، أو مسايرة لتقديركم الأرضي، وقد ذكر الله تعالى عن كفار قريش مقالتهم في المؤمنين بما يشـــبه مقالة قوم نوح، قال تعالى: (وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيراً ما سبقونا ليه[105])

وللمشركين في عهد خاتم الرسل عليه وعليهم الصلاة والسلام، موقف من المؤمنين المستضعفين، مماثل لموقف قوم نوح، حيث قالوا فيما أخبر الله تعالىعنهم (وكذلك فتنّا بعضـــهم ببعض ليقولوا أهؤلاء منّ الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين[106])

---

[105] سورة الأحقاف آية: 11

[106] سورة الأنعام آية : 53

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان غالب من اتبعه في أول بعثته، ضعفاء الناس من الرجال والنساء، والعبيد والإماء، ولم يتبعه من الأشراف إلا القليل كما قال قوم نوح (وما نراك اتّبعك إلا الذين هم أراذلنا بادي الرأي)[07]

ولمّا سأل هرقل ملك الروم أبا سفيان، عن تلك المسائل، فقال له: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقال بل ضعفاؤهم. فقال: هم أتباع الرسل[08]

وأمر الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام أن يوجه عنايته إلى من ينتفع بالدعوة، وأن لا يُصغي لمطالب المشركين فيبعدُ عن مجلسه الضعفاء الذين استجابوا لله وللرسول قال تعالى: (ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين).[09]

---

[07] سورة هود آية: 27

[08] أخرجه البخاري ــ كتاب بدء الوحي باب حديث أبي سفيان عند هرقل /63

[09] سورة الأنعام آية: 52

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والمعنى: إنما حسابهم على الله تعالى: فليس عليك من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابك من شيء، فليس عليك بموجب الرسالة إلا أن تقبل منهم الظاهر، وهاهم يدعون ربهم بالغداه والعشيّ، فلا تهمّ بطردهم عنك فهذا من الظلم ــ الذي هو وضع الشيء في غير موضعه ــ بل جعلهم جلساءك وأخصّاءك فهم يريدون وجه الله فيما هم فيه من العبادات والطاعات [10] ، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية ما رواه الإمام مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة نفر، فقال له المشركون: اطرد هؤلاء لا يجترئون علينا. قال: وكنت أنا وابن مسعود ورجل من هذيل وبلال ورجلان لست أسمّيهما، فوقع في نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقع، فحدّث نفسه، فأنزل الله تعالى: (ولا تطرد الذين ..) الآية [11]

---

[10] تفسير ابن كثير: 2/27 ، تفسير القاسمي: 6/5540 ــ 41 ، تفسير الزمخشري: 2/72 بتصرف

[11] صحيح مسلم ــ كتاب فضائل الصحابة باب فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: 4/1878

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهذا الأمر الإلهي بشـــأن الفقراء جاء مثله في قوله عز وجل: (واصـــبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تُطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطاً[12]) ، تعلن الآية عن القيم الحقيقية، وتقيم الميزان الذي لا يخطئ، فالإســـلام لا يزن الناس بميزان الجاهلية الأولى، ولا أية جاهلية تقيم للناس ميزاناً غير ميزانه. ويأمر الله حبيبه أن يصـــبر نفســـه ويجلس مع الذين يذكرون الله ويهللونه ويحمدونه ويسبحونه ويكبرونه بكرة وعشياً من عباد الله سواء أكانوا فقراء أو أغنياء أو ضـــعفاء، فعلى مثل هؤلاء تقوم الدعوات، فالدعوات لا تقوم على من يعتنقونها لأنها غالبة، ومن يعتنقونها ليقودوا بها الأتباع، ومن يعتنقونها ليحققوا بها الأطماع، إنما تقوم الدعوات بهذه القلوب التي تتجه إلى الله خالصة له، لا تبغي جاهاً ولا متاعاً ولا انتفاعاً، إنما تبغي وجهه وترجو رضاه[13].

---

[12] سورة الكهف آية: 28

[13] انظر تفسير الظلال ٤/2682 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخلاصـــة القول أن نجاح الدعاة في دعوتهم يكون في ســـيرهم على هدى ر سل الله عليهم الـ صلاة والـ سلام الذين أخلـ صوا دعوتهم لله سبحانه ولم يبتغوا بدعوتهم شيئاً من حطام الدنيا. وكذلك فإن غالب الـ عوات يكون نصرها على أيدي المستضعفين أتباع الرسل في كل زمان .

أمّا الكبراء والمترفون فقد تمســـكوا بموروثات الآباء الباطلة، وأنفوا أن يجلسوا مع الفقراء في مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل جعلوا من دخول هؤلاء البسطاء في دعوة الله تعالى مغمزاً ومطعناً في ،ذا الدين.

والمتأمل أدنى تأمل في حال الأ شراف هؤلاء يرى أن كبرهم وخوفهم على فقدان مـ صالحهم الماديّة الدنيوية من جاه أو منـ صب أو مـ ... الخ. صدهم عن دخولهم في دعوة الحق. وكذلك الهوى كان له دور كبير في التحكم في عقولهم فصدّهم عن السبيل الذي فيه فوزهم ونجاتهم في الدنيا والآخرة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الفصل السابع

صور من الدعوة في تاريخ المسلمين

الدعوة إلى الله تعالى وظيفة الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم، ثم هي واجب العلماء من أتباعهم، ومســـؤولية المؤمنين جميعاً من أممهم. فتاريخ الدعوة يشمل دعوة الرسل جميعاً عليهم الصلاة و سلام .

ولا أريد الحديث هنا ن تاريخ الدعوة والدعاة بالتفصيل فليس هذا موضوع الر سالة، وإنما سأقتصر الكلام على بعض الخطوط العريضة للحركة الدعوية في بعض العـ صور وذلك لزيادة التأ سي بالدعاة الـ صادقين من الأنبياء والمر سلين وأتباعهم.

وسيكون الحديث في هذا الفصل في لاثة مباحث ضمن العناوين التالية:

المبحث الأول : صور من الدعوة في حياة الأنبياء وأتباعهم .

المبحث الثاني: صور من الدعوة في حياة الصحابة والتابعين .

المبحث الثالث: الدعوة في الوقت الحاضـــر والمشـــكلات التي تواجهها وكيفية علاجها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الأول صور من الدعوة ي حياة الأنبياء وأتباعهم

لقد ضرب الأنبياء والمرسلون أروع الأمثلة في التضحية لإبلاغ دعوة الله تعالى. فالدعوة إلى الله تعالى تصعد في مقدمة الكلم الطيب إلى السماء مع العمل الصالح الذي يصدق الكلمة، ومع الاستسلام لله الذي ملك السماوات والأرض، فالنهوض بواجب الا عوة أمر شاق ويحتاج إلى جهد كبير ولكنّ ثماره أطيب من الطيب .

وفي حياة الأنبياء وأتباعهم نماذج حية في الدعوة إلى دين الله تعالى أشـــير إلى بعض منها:

فرسول الله نوح عليه السلام صاحب الهّمة العاليةَ في الدعوة، الذي لبث في دعوة قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

جـ ء في قصص الأنبياء لابن كثير :

" وقد طاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى : (فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون)" [14]

أي ومع هذه المدة الطويلة فما آمن به إلا القليل منهم. وكان كلما انقرض جيل وَصـــوّا من بعدهم بعدم الايمـن به ومحاربته ومخالفته. وكان الوالد إذا بلغ ولده وعقل عنه كلامه، و صّاه فيما بينه وبينه، ألاّ يؤمن بنوح أبداً ما عاش ودائماً ما ي [15] .

قال تعالى مخبراً عن مقولة نوحَ عليه الـ سلام: (قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً فلم يزدهم دعائي إلا فراراً وإنّي كلّما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم، واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً

---

[14] سورة العنكبوت آية: (١)

[15] ابن كثير ــ قصص الأنبياء ص90

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثم إني دعوتهم جهاراً ثم إنّي أعلنت لهم وأســـررت لهم إســـراراً فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفاراً [16] . ذكر عليه السلام أنه دعاهم بالليل والنهار، ثم ذكر أنه دعاهم جهاراً، ثم ذكر أنه جمع بين الجهر والإ سرار، وهذه غاية الجدّ في النصيحة وتبليغ الرسالة [17] .

قال الزمخشـــري: " قد فعل عليه الصـــلاة والســـلام كما يفعل الذي يأمر بالمعروف ويا ى عن المنكر، في الابتداء بالأهون، والترقّي في الأ شدّ فالأ شدّ، فافتتح بالمناصـــحة في الســـر، فلما لم يقبلوا، نّى بالمجاهرة، فلّما لم تُؤثّر، ثلّث بالجمع بين الإســـرار والإعلان، ومعنى " ثم " الدلالة على تباعد الأحوال، لأن الجهر أغلظ من الإســـرار، والجمع بين الأمرين أغلظ من إفراد أحدهما [18] . لقد كانت دعوة نوح عليه الســـلام صـــورة من الجهد المســـتمر الثابت لإقرار حقيقة الايه ن في الأرض.

---

[16] سورة نوح الآيات : 10-

[17] أبو القاسم الغرناطي ــ التسهيل لعلوم التنزيل 1/150

[18] تفسير الزمخشري 1/616

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والدعوة إلى الله تعالى هي القضية التي شغلت بال إبراهيم ويعقوب عليهما السلام، في ساعة الاحتضار و سكرات الموت. قال تعالى: (ووصّى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون)[19] .

فإبراهيم عليه السلام قد بلغ من الكمال في صفات الخير ما استحق به أن يكون أمّة وحده، فكل ما تفرق في الناس من خلال طيّبةٍ وشيم مرضية، وخلق طاهر، قد جمعه الله تعالى لنبيه إبراهيم، وبذلك صار أمّة في الدعوة إلى الله تعالى، في الاحتمال والصبر، في لين الجانب، وجمال الأسلوب، في الثبات على الحق، في التأفّف من الباطل، والاشمئزاز منه، وحضور البديهة و سرعة الخاطر، في التواضع والخشية من الله تعالى، وما إلى ذلك من صفات الكمال[20] . كما وصفه سبحانه بـ قنوت ، الذي يعني القيام بأمر الله تعالى، ولزوم طاعته مع الخضوع له سبحانا[21] .

---

[19] سورة البقرة الآيتان : 132 –133

[20] انظر : محمد العدوي: دعوة الرسل ص48

[21] انظر: التفسير الكبير للرازي 10/ 35 ، مفردات الراغب الأصفهاني ص684

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإبراهيم عليه الـ سلام الأ ـ وة في التبرؤ من الكفر وأهله. قال تعالى: (قد كانت لكم أ سوة حـ سنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنّا بُرءاء منكم وممّا تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغ ضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده[22] .

قال ابن جرير الطبري: (قد كانت لـ م يا أمّة محمد أ سوة حـ سنة في فعل إبراهيم والذين معه في هذه الأمور من مباينة الكفار، ومعاداتهم، وترك موالاتهم إلا في قول إبراهيم: لأ ستغفرنّ لك ، فإنه لا أ سوة لكم في ذلك لأن ذلك كان عن موعدة وعدها أباه فلما تبين أنه عدوّ لله تبرأ منه، فتبرّأوا من أعداء الله، ولا تتخذوا منهم أولياء حتى يؤمنوا بالله وحده وتبرّأوا من عبادة ما ســـواه، وَأظهِروا لهمُ العداوة والبغضاء[23]) .

---

[22] سورة الممتحنة آية: 4

[23] تفسير ابن جرير 8/ 62

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهو يحاول إنقاذ بني إسرائيل من فرعون وجنوده، وصبر على كثير من المصاعب والشدائد، وهُدّد بالقتل والسجن، حتى إذا تمّت نعمة الله تعالى على هؤلاء المستضعفين، إذا هم يُقابلونها بهذا الطلب الذي ذكره سبحانه: (وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة قال إنكم قوم تجهلون إنّ هؤلاء متبّر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون [24]) .

فهؤلاء المستضعفون قابلوا هذه النعمة بهذا الطلب الذي يُنبيء عن جحود نعم الله تعالى، وجهلٍ فاضح بحق الله العلي العظيم عليهم. إن موسى انتقل من مرحلة مواجهة الطاغوت فرعون وجنوده إلى مرحلة ليست أقلّ خطراً عن سابقتها

[24] سورة الأعراف الآيتان: 38 – 139

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بل ربما كانت أشـــق على النفس البشـــرية، أن تكون الجماعة التي عرفت العقيدة ثم تنقلب على عقبيها، ولعلّ ذلك أنّ رواسب الذل والاضطهاد التي عاشوها في ظل التسلط الفرعوني كان له أثر كبير في إفساد طبيعتهم البشرية.

ويـ ضرب القرآن الكريم مثلاً عالياً في الايمان والا سـ علاء على الكفار من قبل امرأة مؤمنة هي زوجة فرعون اللعين قال تعالى مخبراً عن طلبها: رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ونجني من فرعون وعمله ونجّني من القوم الظالمين [25] .

إن هذه المرأة لم يـ صدّه ـ وفان الكفر الذي تعيش فيه، في قـ صر فرعون عن طلب النجاة وحدها ، وقد تبرّأت من قصـــر فرعون طالبة إلى ربّها بيتاً في الجنة، وتبرأت من صـــلتها بفرعون فســـألت ربّها النجاة منه، وتبرّأت من عمله مخافة أن يلحقها من عمله شـــيء وهي ألصـــق الناس به (ونجّني من فرعون وعمله)، وتبرأت من قوم فرعون

[25] سورة التحريم آية: 11

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وهي تعيش بينهم (ونجّني من القوم الظالمين)، إنه مثل للاســـتعلاء على عرض الحياة الدنيا في أزهى صـــورة، فقد كانت فيه امرأة فرعون ، أعظم ملوك الأرض يومئذٍ !! في قصـــر فرعون أمتع مكان تجد فيه امرأة ما تشـــتهي! لقد استعلت على هذا بالايمان ولم تعرض عنه فحسب، بل اعتبرته شرّاً ودنساً وبلاء تســـتعيذ بالله منه . إنها امرأة وحيدة في مملكة عريضـــة قوية . وقفت وحدها في وسط ضغط المجتمع و ضغط القصر، و ضغط الملك، و ضغط الحاشية، ورفعت رأسها للسماء ! إنه التجّرد الكامل من كل هذه المؤثرات والأواصر [26] .

ولقد واجه عيسى بن مريم عليه السلام البلاء والمحنة بسبب دعوته قومه إلى توحيد الله تعالى، وهمّ اليهود بقتله، لولا أنّ الله تعالى خلّصـــه من مكرهم إذ رفعه سبحانه إليه، وألقى شبههُ على أحد الحواريّين فقتلوه وظنّوا أنهم قتلوا عيسى عليه السلام، قال تعالى: (وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم وإنّ الذين اختلفوا فيه لفي شكٍ منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيم [27]).

---

[26] تفسير الظلال ، 3622/ بتصرف

[27] سورة النساء الآيتان: 57 – 158

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي سيرة النبي عليه الـ صلاة والـ سلام شواهد كثيرة على قيامه بأمر الله تعالى في تبليغ دعوة الله تعالى، فقد كانت حياته صلى الله عليه و سلم كـها تبليغاً وجهاداً ودعوة إلى الله تعالى، ولقد كان شديد الحرص على هداية قومه قال تعالى :(لقد جاءكم رســـولٌ من أنفســـكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم [28]).

ومن صور الدعوة في حياة النبي صلى الله عليه و سلم ما رواه ابن عباس ر ضي الله عنهما قال : ما نزلت: (وأنذر ع شيرتك الأقربين [29]). صعد النبي صلى الله عليه و سلم على الـ صفا، فجعل ينادي "يابني فهر! يابني عدي!" لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يـ ستطع أن يخرج، أر سل ر سولاً ينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال صلى الله عليه و سلم: "أرأيتم لو أخبر كم أنّ خيلاً بالوادي، تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقيّ ؟ " ،

[28] سورة التوبة آية 128

[29] سورة الشعراء آية : 214

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قالوا : نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال : " فإني نديرٌ لكم بين يدي عذاب شديد". فقال أبو لهب : تّباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا ؟ فنزلت : (ت ت يدا ابي لهب وتبّ ما أغنى عنه ماله وما كسب [30]).

, منها : دعوته صلى الله عليه وسلم لمن جاء يريد قتله :

عن جابر ر ضي الله عنه قال : كنّا مع النبي صلى الله عليه و سلم بذات الرّقاع ، فإذا أتينا إلى شجرة ظليلة تركناها للنبي صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل من المشركين و سيف النبي صلى الله عليه و سلم معلّق بالشجرة ، ؛ خترطه، فقال له:تخافني ؟ فقال له: "لا". قال:من يمنعك منّي؟ قال : " الله [31] .

[30] رواه البخاري – كتاب التفسير باب سورة تبت يدا أبي لهب وتب – ؛ /575

[31] رواه البخاري – كتاب المغازي – ؛ /21!

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وفي رواية : فسقط السيف من يده، فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف، فقال: " من يمنعك منّي ؟ " . قال كن خير آخذ . فقال : " شهد أن لا اله إلا الله وأنّي رسول الله ؟ ". قال : لا ، ولكنّي أعاهدك على أن لا أقاتلك، ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلّى سبيله ، فأتى أصحابه، فقال : " جئتكم من عند خير الناس [32])

ومنها : دعوته صلى الله عليه وسلم وهو في ساعة الاحتضار :

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كانت عامة وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضرته الوفاة ، وهو يغرغر بنفسه : " الصلاة وما ملكت أيمانكم " فما زالها يقولها حتى ما يفيض بها لسانا [33] .

وعلى طريق النبي عليه الصلاة والسلام سار صحابته رضوان الله عليهم .

---

[32]) محمد بن عند الله الخطيب التبريزي – مشكاة المصابيح – تحقيق – محمد ناصر الألباني – الطبعة الثالثة 405 ، –985 – المكتب الاسلامي – بيروت ؛ / 1461

[33]) سنن ابن ماجة ، كتاب الوصايا باب هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ /900 وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة ، /271

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثاني صور من الدعوة في حياة الصحابه والتابعين

ستمرت حركة الدعوة الإسلامية في زمن الخلفاء الراشدين والتابعين تبليغاً للدعوة الإسلامية، وتعليماً لها، وتطبيقاً لأحكامها في حياة المسلمين، حتى توسعت دائرة الإسلام وانتشرت انتشاراً كبيراً. وهذه بعض صور الدعوة في حياة الصحابة رضي الله عنهم :

وقفة الصديق رضي الله عنه في مواجهه المرتدين :

وقف الصديق رضي الله عنه في وجه أكبر خطر واجهته الدعوة من أول أمرها بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فلقد كانت القبائل الكثيرة، وخاصة في المناطق البعيدة عن المدينة لم تثبت تعاليم الإسلام في نفوسهم، وكان منهم من ارتدّ عن الإسلام بعد أن دخل فيه طمعاً في مغنم، أو تقية ،

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وخيّل إلى بعض هؤلاء أن الزكاة نوع من الـ ضرائب لا تُؤدى إلاّ في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم. ومن هنا وقف الخليفة الأول الوقفة الخالدة، ورفض كل أســـلوب يرفق بهؤلاء، أو يهـ نهم ، أو يؤجل عقوبتهم. ورفض الخليفة اقتراح عمر بن الخطاب في الرفق بهم وتأليف قلوبهم.

لقد عزم الصـــ يق على حرب هؤلاء الخارجين عن الإســـلام وقال " والله لأقاتلن من فر ق بين الصلاة والزكاة والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه".

وخرج خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ء ى رأس الجماعات المحاربة لقتال مانعي الزكاة وهزمهم شرّ هزيمة. كما أعدّ ر ضي الله عنه أحد ع شر جيشاً لقتال المرتدّين، وسارت الجيوش الإسلامية إلى مختلف الجهات

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ونجح القواد المسلمون ــ وعلى ــ رأسهم خالد بن الوليد ــ النجاح الباهر في إنزال الهزيمة بجيوش المرتدّين. وهكذا أنقذ الصديق الدعوة الإسلامية من شر مس ط ر تعرضت له الدعوة الإسلامية بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم[34] .

أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح ودعوته للإسلام :

قام أبو عبيدة عامر بن الجراح رضي الله عنه بدعوة الروم إلى الإسلام قبل بدء القتال معهم، فقد ذهب بنفسه، ومعه يزيد بن أبي سفيان و ضرار بن الأزور والحارث بن هشام وأبو جندل بن سهيل ــ رضي الله عنهم ــ إلى القائد الرومي أخي الملك "تذراق" ودعوه إلى الله عز وجل، وكان ذلك قبل معركة اليرموك، كما دعا أبو عبيدة ــ رضي الله عنه ــ الرسول الرومي الذي وفد إليه من قبل هامان ــ وزير ملك الروم ــ طالباً منه إرسال خالد بن الوليد ــ رضي الله عنه ــ إلى هامان

[34] للاستزادة انظر : الشيخ محمد الخضري – إتمام الوفاء في سيرة الخلفاء – طبعة بلا – طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر – ص22 –24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كي يتفاهم معه، و شرح الله صدره للإسلام، فاستجاب لدعوة أبي عبيدة ــ رضي الله عنه ـــــ وصاح: "اشهدوا عليّ بأجمعكم ، أني من المسلمين ". ففرح المسلمون بإسلامه و صافحوه، ودعوا له بالخير، وقالوا له : " ما أعزك علينا، وأرغبنا فيك، وأكرمك علينا، وما أنت عند كل أمرىء منّا إلا بمنزلة أخيه لأمه وأبيه " قال الرومي : " فإنكم نعم ما رأيت [35] .

عمرو بن العاص فاتح مصر :

قال ابن كثير في البداية والنهاية عن توجيه الدعوة لدخول الإسلام إلى أهل مصر: فلمَّا تصافَّوا "المسلمون وأهل مصر" قال عمرو بن العاص : لا تعجلوا حتى نُعذِر، ليبرز إليّ أبو مريم وأبو مريام راهبا هذه البلاد، فبرزا إليه فقال لهما عمرو بن العاص: أنتما راهبا هذه البلاد،

[35] الأزدي – فتوح الشام /98 أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي ت(314هـ) – كتاب الفتوح - تحقيق علي شيري الطبعة الاولى 1991م - دار الأضواء للطباعة والنشر بيروت – لبنان /186

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فاسمعا : إنّ الله بعث محمداً صلى الله عليه و سلم بالحق وأمره به، وأمرنا به محمد صلى الله عليه و سلم وأدّى إلينا كل الذي أُمر به، ثم مضى وتركنا على الواضحة وكان مما أمرنا به الإعذار إلى الناس ، فنحن ندعوكم إلى الإسلام ، فمن أجابنا إليه فمثلنا ، ومن لم يُجبنا عرضـــنا عليه الجزية وبذلنا له المنعا [36] . ولما انتهى القتال و ع الأسرى من المصريين في يد فاتح مصر عمرو فأبدى المقوقس صاحب الاسكندرية الاستعداد لأداء الجزية للمسلمين، وافق عمرو بن العاص على هذا العرض على أن يُخيّر الأسرى الموجودون بمصر بين الاسلام ودين قومهم، فمن اختار الاسلام فهو من المسلمين، ومن اختار دين قومه و ضع عليه الجزية فاذا اختار أحد الأسرى الاسلام كبّر المسلمون تكبيرة هي أشد من تكبيرهم حين تُفتح القرية، ثم يحوزوه إليهم، واذا اختار النصرانيّة نخرت النصارى ثم حازوه إليهم ووضعت عليه الجزيا [37] .

[36] ابن كثير ت(774 هـ) – البداية والنهاية – طبعة بلا – دار الكتب العلمية – بيروت ، 100/

[37] محمد ابن جرير الطبري – تاريخ الامم والملوك – الطبعة الثانية 418 هـ – 988 م – دار الكتب العلمية بيروت ، 513/

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عدي بن حاتم الطائي يهدي الله على يديه ألفا وخمسمائة رجل :

لما ارتّد نو طيء دعاهم عّدي بن حاتم ر ضي الله عنه إلى الإ سلام وذلك قبل بدء القتال معهم ـــــ فعادوا مع عديّ عن ردّتهم وكانوا خمسمائة مقاتل . كما دعا عدي بن حاتم بني جديلة، الذين كانوا قد ارتدّوا عن دينهم ، فا ستجابوا لعدّي، ولحق بالمسلمين منهم ألف راكب [38] .

عمر بن الخطاب وإرساله الصحابة لتعليم أهل البلاد المفتوحة :

كان عمر رضـــــي الله عنه، يبعث المعلمين لتعليم الناس القرآن وتفهيمهم أمور الدين وكان يقول : " إنما بعثت عمالاً ليعلموكم كتاب ربكم وســـة نبيكم ويقيموا بينكم دينكم [39] .

---

[38] تاريخ الطبري ! /60! ، الكامل في التاريخ ! /234

[39] ابن تيميّا – السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعيّا – الطبعة الرابعا – 969 م الناشر – دار الكتاب العرب – مصرص 24

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من صور الدعوة في حياة التابعين :

عطاء بن أبي رباح ونصحه للخلفاء :

كان عطاء بن أبي رباح يدخل على عبد الملك بن مروان، فيعظه ويأمره وينهاه، فلما نهض وقام، قبض عليه عبد الملك وقال : يا أبا محمد، إنمَّا سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك ؟ قال : ما لي إلي مخلوق حاجة، ثم خرج، فقال عبد الملك : هذا ــ وأبيك الشرف ــ ، هذا ــ وأبيك السؤدد [40] .

ودخل عطاء بن أبي رباح على هشام، فرحب به وقال : ما حاجتك يا أبا محمد؟ وكان عنده أشراف الناس يتحدثون، فسكتوا، فذكرّه عطاء بأرزاق أهل الحرمين وعطيّاتهم. فقال : نعم، ياغلام اكتب لأهل المدينة وأهل نجد، وأهل الثغور، ففعل ، ثل ذلك، حتى ذكّره بأهل الذمّة أن لا يُكلّفوا ما لا يطيقون، فأجابه إلى ذلك، ثم قال له في آخر ذلك : هل من حاجة غيرها ؟

---

[40] محمد بن محمد بن عبد الكريم بن الواحد الشيباني المعروف بابن الأثير – الكامل في التاريخ – طبعة بلا – 399 . – 979 م

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قال : نعم يا أمير المؤمنين، اتّق الله في نفسك، فإنك خلقت وحدك، وتموت وحدك، وتحشـــر وحدك، وتحاســـب وحدك، لا والله ما معك ممّن ترى أحد. قال فأكبّ هشام يبكي، وقام عطاء، فلما كان عند الباب إذ رجل قد تبعه بكيس ما ندري ما فيه، أدراهم أم دنانير؟ وقال : إن أمير المؤمنين قد أمر لك بهذا، فقال: (ما أسألكم عليه من أجر إن أجري إلا على رب العالمين) ، ثم خرج ولا والله ما شرب عندهم حسوة ماء فما فوقه [41] .

موعظة الحسن البصري لعمر بن هبيرة :

لما قدم عمر بن هبيرة والياً على العراق، أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي ، فأمر لهما ببيت، فكانا فيه نحواً من شهر، ثم دخل عليهما وجلس معظّماً لهما، فقال : إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك يكتب إليّ كتباً، أعرف أنّ في إنفاذها الهلكة، فإن أطعته عصيت الله،

[41] انظر: أحمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي – مختصر منهاج القاصدين – طبعة بلا – 408 ، – 987 م ص127 دار صادر بيروت ! /564

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وإن ع صيته أطعت الله، فهل تريان في متابعتي إيّاه فرجاً ؟ فقال الحـ سن : يا أبا عمرو، أجب الأمير: فتكلّم الـ شعبي ، فانحطّ في أمر ابن هبيرة، كأنّه عذره، فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد ؟ فقال : أيها الأمير فقد قال الـشعبي ما قد سمعت: فقال ما تقول أنت ؟ قال : أقول: يا عمر بن هبيرة، يوشـــك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لايع صي الله ما أمره، فيخرجك من سعة ق صرك إلى ضيق قبرك. ياعمر بن هبيرة، إن تتق الله يع صمك من يزيد بن عبد الملك، ولن يعصمك يزيد ابن عبد الملك من الله تعالى .

يا عمر بن هبيرة ، لاتأمن أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك فيغلق به باب المغفرة دونك. يا عمر بن هبيرة، لقد أدركت نا ساً من صدر هذه الأمة كانوا عن الدنيا وهي مقبلة عليهم أ شد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة عنكم. يا عمر بن هبيرة، إنّي أخو فك مقاماً خوّفكه الله تعالى فقال: (ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد) [42] .

[42] سورة ابراهيم آية : 14

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يا عمر بن هبيرة، إن تك مع الله في طاعته، كفاك يزيد بن عبد الملك، وإن تك مع يزيد عبد الملك على معاصي الله، وكّلك الله إليه. فبكى عمر بن هبيرة وقام بعبرته. فلما كان من الغد أرســـل إليهما بإ نهما وجوائزهما، وأكثر فيها للحســـن، وكان في جائزة الشعبي بعض الإقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: أيها الناس من ا ستطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده، ما علم الحسن شيئاً منه جهلته، ولكنّي أردت وجه ابن هبيرة، فأقصاني الله منا [43] .

عمر بن عبد العزيز ودعوته لتعليم السنة :

أرســـل عمر بن عبد العزيز نافعاً مولى ابن عمر إلى أهل مصـــر يعلّمهم السنن. كما أرسل عشرة من التابعين ليفقهوا أهل إفريقية ويعلموهم أمر دينهم .

[43] أحمد بن عبد الرحمن بن قدامه المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ص31 –32.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

زيد بن أسلم العدوي وحلقته العلمية في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم :

كان زيد بن أسلم حلقة للعلم في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يجتمع فيها ما يزيد على أربعين فقيهاً لا يُرى في مجلسه متماريان ولا متنازعان في حديث ينفعهم[744] . والجوانب الدعوية في حياة الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين لا تكاد تُحصى تم اختيار بعض منها. فعلى الدعاة إلى الله تعالى أن يأخذوا الدروس الدعوية من هذه النماذج الحية التي سطر التاريخ ذكرها.

[744] محمد بن احمد بن عثمان الذهبي – سير أعلام النبلاء – تحقيق شعيب الأرنؤوط - الطبعة السابعة - بيروت ، 316/1

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المبحث الثالث الدعوة في الوقت الحاضر والمشكلات التي تواجهها وكيفية علاجها

الدعوة في هذا العصر مستمرة من حيث تبليغ الاسلام ونشره، وتعليمه وتبيينه للناس. والله تعالى في كل عصر يهيّيء لهذا الدين دعاة صادقين ومخلصين في دعوتهم، وهؤلاء الدعاة لهم دور كبير في تذكير الناس وإيقاظهم من رقدتهم.

وقد تنوعت الأشكال الدعوية في هذا العصر تنوعاً كبيراً، فمنها الحركات الفردية التي تقوم على أيدي العلماء الربانيين، والدعاة العاملين، ومنها الحركات التي اتخذت شكل الجماعات والمنظمات .

وقد ساهمت هذه الحركات والمنظمات جميعها في تسيير موكب الدعوة هنا وهناك، حتى لايكاد يخلو قطر من أقطار المسلمين من هذه الحركات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد تنوعت مناهج وأســـاليب هذه الحركات الدعوية : الفردية والجماعية فكان منـ ا دعوات شـــاملة وأخرى جزئية، واختارت كل جماعة من المناهج والأســـاليب الدعوية ما يتناســـب مع طبيعتها وأهدافها، ووقعت كثير من هذه الحركات الدعوية في أخطاء عملية عديدة أضرّت بالعمل الإسلامي كثيراً، وأفقدت بعض الحركات والجماعات حيويتها ومصـــداقيتها عند كثير من الناس، وجعلتها تعيش في عزلة نســـبيّة عن ميادينها الحقيقية، وكان من أبرز الأخطاء : التقوقع على الذات، والتعجل بالخطوات، والانفراد بالقرارات العامة الهامّة. وما إلى ذلك من أخطاء لايزال الكثير فيها يتكرر في ســـاحات العمل الإســـلامي دون أن يفيد العاملون من تجارب غيرهم، وبـ جنبوا أخطاءهم[45] .

[45]) انظر محمد أبو الفتح – المدخل إلى علم الدعوة ص110

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

كما أ صيب كثير من العاملين في صفوف الدعوة على مختلف م ستوياتهم بالمهلكات الثلاث أو بع ضها، التي لا يجدي معها قول ولا حركة، وتعد من أخطر الأمراض الاجتماعية، وقد حذّر منها ر سول الله صلى الله عليه و سلم بأ ساليب متعددة، فقال عليه الصلاة والسلام : ... حتى إذا رأيت شحاً مطاعاً وهوىً متبعاً . ودنيا مؤثرة . وإعجاب كل ذي رأي برأيه . ورأيت أمراً لايدان لك به فعليك خويّصة نفسك..) [46] .

والمشكلات التي تواجه الدعوة في العصر الحاضر كثيرة سأعرض بعضاً منها :

أولاً : إهمال كثير من الدعاة ترتيب سُلّم الأولويات في عملهم، وعدم قدرتهم على ملاحظة الفرق بين الواجبات والإمكانات، وبين المصالح والمفاسد،

[46] سنن ابن ماجة كتاب الفتن باب قوله تعالى – ((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم)) ! /1331 ، ومعنى لا يدان لك به : أي لا قدرة لك به .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مما جعل بعـ ضهم يُقدّم الهامّ على الأهم، والأمر التحـ سيني على الـ ضروري مما أضـــاع كثيراً من الجهود الدعوية، وعمل على تأخير عملية النهوض بالدعوة إلى المستوى المطلوب وبلوغ لهدف المنشود .

ثانياً: ظن بعض الدعاة أن مفهوم الدعوة منحـ صر على جانب واحد من جوانبها، مما جعله ينكر على غيره من الدعاة ممّن يعمل بالجوانب الأخرى ، ممّا أثرّ في إ ضعاف الدعوة، والتـ سبب في نيل بعض الدعاة من بعـ ضهم وتوجيه النقد المؤلم لهم. ولم يقف الأمر عند هذا الحّد، بل أصـــدر بعضـــهم حكم التكفير أو التبديع أو التضليل بعضهم .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ثالثاً: عدم موافقة العلم العمل عند الكثير من الدعاة، وهذا يؤدي إلى تـ شكيك الناس في صدق الداعية وقلة الثقة به والاستجابة له .

رابعاً: محاربة الدعوة إلى الله تعالى من قبل من ينتسب للإسلام وذ ك بالنيل من الدعاة وتشوية صورتهم عند عامة الناس والهدف من ذلك نفرة الناس عنهم .

خامساً موجة الإلحاد التي تكتسح المجتمعات، وهي ظاهرة متزايدة في الاتساع والانتشـــار وتعتبر بحق معولَ هدم لما يبنيه الدعاة من الخير والفضـــيلة وهذا ما ذكره الـ شيخ ا ذهبي بقوله: تلك النزاعات والمذاهب والفل سفات الماديّة التي تفد من الـ شرق والغرب على الـ سواء، والتي تلتقي على غاية واحدة، ألا وهي قلع جذور الدين والتدين من العقول والقلوب [47] .

[47] انظر: د. محمد حسين الذهبي – مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديد – الطبعة الأولى مركز شؤون الدعو – المملكة العربية السعودي ص 39

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

سادساً: ميل كثير من العاملين في مجال الدعوة إلى الهروب من الميدان، والاتجاه إلى مجالات أخرى يرونها أكثر سخاء في العطاء الدنيوي، وهذا أكبر دليل على أن فكرة "الرسالة" والإحساس بها لم تنشأ في نفوسهم ولم يُعن بتنميتها فيهم خلال مراحل الإعداد [48].

سابعاً: العجز الكبير في إمكانيات الدعوة من حيث القدرة الماديّة اللازمة.

وعلاج هذه المشكلات يكون بأمور عديدة منها:

أ ـــ على الدعاة أن يكونوا على وعي تام ومعرفة كبيرة بما يُقدم من الأمور في مجال الداعية، فعلى سبيل المثال قدّم الفرض على المندوبات، والمحرمات على المكروهات، والضروريات على الحاجيات ودرء المفاسد على جلب المصالح وهكذا [49].

---

[48] المرجع السابق ص38

[49] انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية 0!/8 -61

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ب ــ على الداعية أن يفقه أن الدعوة غير مقتصرة على جانب واحد من جوانبها لا تتعداه، بل الدعوة شاملة للتعليم، والبيان، والتربية، والتطبيق والتنفيذ، وإذا كان مقبولاً من بعض الدعاة أن يتخصصوا في العمل بعنصر من عناصر الدعوة أو أكثر، تبعاً لاستعداداتهم وإمكاناتهم وظروفهم، فلا قبل من هؤلاء أن ينظروا إلى العمل بالعناصر الأخرى، نظرة استنكار أو يروه خروجاً عن طبيعة الدعوة [50] .

ج ــــــ على الدعاة أن يتحلّوا بالأخلاق الفاضـــلة وأن يبتعدوا عن ألفاظ التكفير والتبديع والتضليل، وعليهم أن يلتمسوا الأعذار لبعضهم بعضاً وأن لا يتسرعوا في إصدار الأحكام فليس هذا من مهماتهم.

[50] انظر : محمد أبو الفتح – مدخل إلى علم الدعوة ص354 بتصرف

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

د ـــــ الدعاة زادهم الصبر والتأسي بمن سبقهم من الدعاة وعلى رأسهم الأنبياء والمر سلون الذين أوذوا بـ شتّى أ صناف الأذى لم يزدهم ذلك إلا ثباتاً على دينهم وتمسكاً بمبدئهم. فإذا أراد الدعاة لدعوتهم النجاح والاستمرار فعليهم أن يثبتوا أمام لصعاب والشدائد ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

هـ ـــ تجريد الغاية لله تعالى غير مشوبة بشائبة الر ء ، أو عرض دنيوي . لأن الإخلاص هو أساس نجاح دعوة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

و ـــــ أن يتمتع الداعية بمستوى عقليّ جيّد وأن يكون على درجة عالية من الذكاء بحـ ث يـ ستطيع أن يعلم ما يدور حوله من مؤامرات تُحاك هنا وهناك ضد دعوة الإسلام. وأن يكون على معرفة بواقعه الذي يعيش فيه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ز ــ التفكير الجاد في دراسة وسائل الدعوة التقليدية لتطويرها من جهة ومواكبتها بما استحدثه العصر من وسائل من جهه أخرى. لأن العصر الذي نعيشه اِكر من وسائل الاتصال ما لم يكن معروفاً من قبل.

ح ـــــ العمل على تحقيق وحدة الصف، عن طريق تحقيق وحدة قلبيّة صادقة بين العاملين، ووحده فكريّة واضـــحة، وذلك بواســـطة التوادد والتزاور والتواصـــل، والتباذل فيما بينهم من جهة، وبالتحاور والتشاور، وو ضع ضوابط فكريّة يلتقون عليها ويتحاكمون إليها من جهة أخرى. فيتعاون المتفقون على تحقيق ما اتفقوا عليه، ويعذر المختلفون بعضهم بعضاً فيما اختلفوا فيه ممّا يجوز فيه الخلاف.

ط ـــــ ،ويل الدعوة وأجهزتها بما تحتاجه من متطلبات ورصد الميزانيات المادية الكافية لها حتى تستطيع مواجهة الغزو فكري ـــــ والذي رُصدت له الإمكانات الهائلة ــ وأن تقوم بما يُناط بها من مسؤوليات دون معوقات .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لخاتـــــــمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الـ صالحات والـ صلاة والـ سلام على خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أما بعد : فالحمد لله الذي أعانني على إتمام جميع مفردات خطة البحث . ومن المنا سب هنا أن أذكر النتائج التي تو صلت إليها من خلال هذا البحث وهي كما يلي

- إن القصـــة القرآنية وســـيلة مهمة لتربية الروح وتربية العقل، ونشـــر الدعوة الإســـــلامية، وتوجيه العقيدة والســـــلوك. وذلك من خلال حوار الأنبياء عليهم السلام مع أقوامهم.

- إن القـ صة القرآنية لم تأت مجرد حكايات يُتـ سلى بها، وانّما يـ سوقها القرآن الكريم للدعوة إلى فكرة، وللنهي عن منكر، وتقرير أ صول الدعوة الإ سلامية وتقرير البعث والجزاء، والوحي، والر سالة، فالعقيدة هي الأ ساس الذي جاء القصص القرآني ليؤكّد عليه.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- القصة القرآنية من أوسع الأساليب في الدعوة إلى الله لما تحتويه من خصائص تجعلها متميزّة ن غيرها، فهي مؤثرة في النفس، ســـهلة في الحفظ، مشـــوّقة لقارئها، تعرض الأحداث وكأنها ماثلة أمام المستمع.

- تبين القصة القرآنية أن الأنبياء وأتباعهم أمّة واحدة، فدينهم واحد وهو الإسلام، ودعوتهم التي بلغو ها إلى أقوامهم هي كذلك واحدة. و هذا يعني أن التفرق والتمزق بين الأمم إنما نشأ عن البعد عن دعوة الإسلام التي دعت إليها الرسل جميعاً.

- إن الر سل عليهم الـصلاة والـسلام جاءوا ليبينّوا للناس ما نُزّل إليهم من ربهم. وليقيموا الحجة عليهم. وإن رفض الأمم لدعوتهم لم يكن مانعاً لهم من مواصلة الـ سير في الدعوة إلى دين الله عز وجل دون كلل ولا ملل، لأن الهداية بيد الله تعالى يمنحها من يشاء من عباده ممّن هو أهل لها.

- تبين القصة القرآنية أن الرسل عليهم الصلاة والسلام قد أذ روا أقوامهم عذاب الله و سخطه إن هم أصروا على كفرهم واستكبارهم. وقد حل عذاب الله تعالى بالأمم التي رفضت دعوة المرسلين، واتخذ هذا العذاب صوراً متعددة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- تبين القصـــــة القرآنية أن الهوى وتقليد الآباء والأجداد، والخوف على فقدان المنصب والسلطان كان له أثر كبير في ع م دخول الملأ في دين الله تعالى.

- كان الأجدر بالأغنياء أن يكونوا أسرع ايماناً بدعوة الله تعالى شكراً للنعمة التي أُعطوها. لكن الواقع كان على خلاف ذلك، إذ أن الأغنياء ـــــــ في الغالب ـــ يعادون الدعوات السماوية ويرفضونها جملة وتفصيلاً.
- تشـــابه أعداء الرســـل في كل زم ن من حيث الجدل بالباطل، والافتراء على الر سل عليهم الـ صلاة والـ سلام، ورميهم بما هم منه براء، والكيد المـ ستمر لصرف الناس عن دعوة الحق واستئصال دعوة الإسلام من جذورها.
- 0 توضح القصة القرآنية أنّ الدعوة إلى الله تعالى مليئة بالصعاب وأصحابها معرضون للايذاء والاستهز ء ـــ فعليهم أن يتزودوا بالايمان الراسخ والصبر، والتأسي بأخلاق المر سلين عليهم الـصلاة والـسلام في دعوتهم مع الثقة بنصر الله تعالى وتأييده لعباده المؤمنين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1 - اتسم الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام من خلال القصة القرآنية بقوة الحجة، و سطوع البرهان، والقدرة ـ لى الإقناع، واللطف في الأ سلوب، في مجادلتهم أقوامهم. وهذه صفة عامة في دعوة المر سلين عليهم الـ صلاة والـ سلام ومن تبعهم في هذا الطريق. فالدعاة مطالبون بالتزود بزاد العلم الذي يتطلبه العصر الذي يعيشون فيه.

2 - جنوح أعداء الرســـل إلى التهديد، والقتل، والايذاء، لعدم قدرتهم على مواجهة الحجة بالحجة، ولعدم وجود ما يدفعون به دعوة الحق. وجاء هذا واضحاً في قصص الأنبياء مع أقوامهم .

3 - اتـ صفت دعوة المر سلين عليهم الـ صلاة والـ سلام بالإخلاص لله تعالى والرغبة فيما عند الله ســـبحانه، وزهدهم فيما أيدي الناس، وهذا ســـر نجاح دعوتهم، فإذا أراد لدعاة لدعوتهم النجاح فعليهم بدراســـة ســـيرة المرســـلين والسير على منهجهم.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

4 - تبين القصة القرآنية أن المستضعفين ــ غالباً ــ أول من يستجيب لدعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام، وذلك أنهم لم يتلوثوا بحب الجاه و للهو، والمال .. ، وأن دخولهم في دين الله تعالى هو الملجأ والملاذ من ظلم واستعباد أصحاب السلطان والجبروت.

5 - ضرب الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام أروع الأمثلة في التضحية بالمال والنفس والولد، كما جاء في قصة ابراهيم واسماعيل وغيرهما من الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام. وهو درس يدعو إلى التضحية في سبيل الدعوة إلى الله تعالى.

6 - ان القرآن الكريم يشير الى وجود محاكمة الاخبار والروايات التاريخية محاكمة عقلية للتأكد من صحتها.

7 - المنهج القرآني يعرض احداث الماضي عرضاً هادفاً وذلك للاستفادة منها في صياغة حاضر الامة ومستقبلها .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

8 - التفكير الا شتراري القائم على العـ شوائية ، الفو ضى مرفوض في منهج القرآن الكريم لان القرآن يدعو الى التفكير الواعي والهادف .

9 - المنهج العاطفي له دور كبير في الدعوة الى الله تعالى وذلك من خلال اسلوبي الترغيب والترهيب .

0 - المنهج العقلي القائم على اســـاس البراهين والادلة العقلية له دور فعال في افحام الخصم ، الزامه بالحجة الواضحة بعيداً عن اسلوب الفلاسفة .

1 - المســـلم مدعو الى تفعيل قدراته في الملاحظة وان يكون في نظره مدققاً فاحصاً ليصل الى الحق واليقين في شتى المعارف .

والحمد لله رب العالمين

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فهرس المصادر والمراجع

1. القرآن الكريم

2. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث شريف نشره د/أ. بي ونسنك مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي طبعة بـ - مطبعة بريل - لندن 1955 م .

3. البقاعي _ إبراهيم بن عمر ـــــ نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ـــ الطبعة الأولى ـــ مجلس دائرة المعارف العثمانية ـــ الهند

4. راهيم مصطفى وزملاؤه ـــ المعجم الوسيط ـــ الطبعة اثالثة ـــــ دار عمران آدم عبد الله الألوري ـــــ تاريخ الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم ـــــ مطبعة منيمنة الحديثة - دار مكتبة دار الحياة

5. العـ سقلاني _ احمد بن حجر - فتح الباري بـ شرح صحيح البخاري طبعة بلا 1411 هـ ، 1991 م - دار الفكر .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

٥. الشيباني _ أحمد بن حنبل - المسند شرح و صنع فهارسه حمزة أحمد الزين الطبعة الأولى 1416 هـ ، 1995 م دار الحديث - القاهرة .

٦. الحنبلي _ ابن عادل الدمشقي - اللباب في علوم الكتاب - تحقيق أحمد عبد الموجود ورفيقه طبعة 1 - دار الكتب العلمية - بيروت .

٣. أحمد أحمد غلوش ـ الدعوة الإسلامية ـ طبعة لا ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة

٩. الكوفي _ أحمد بن أعثم ـ كتاب الفتوح ـ تحقيق ـ علي شيري ـ الطبعة الأولى 991 م دار الأضواء للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان

١٥. ابن تيمية _ احمد بن عبد الحليم ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ـ تحقيق محمد السيد الجليند ـ الطبعة الثالثة ـ 407 هـ ـ دار المجتمع ـ جدة

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

1. ابن تيمية _ أحمد بن عبد الحليم ـــــ الحسبة في الإسلام ـ المطبعة الحسينية ـ القاهرة

2. ابن تيمية _ أحمد بن عبد الحليم ـ درء تعارض العقل والنقل ـــــ تحقيق محمد رشاد سالم ـــــ الطبعة الأولى 400 ه ـ 981 م

3. ابن تيمية _ أحمد بن عبد الحليم ـــــ السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية ـــــ الطبعة الرابعة ـــــ 969 م ـ الناشر ـ دار الكتاب العربي ـ مصر

4. ابن تيمية _ أحمد بن عبد الحليم ـــــ مجموع فتاوي شيخ الاسلام بن تيمية ـــــ جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد ـ طبعة بلا

5. ابن قدامة _ أحمد بن عبد الرحمن المقدسي ـ مختص ر منهاج القاصدين ـ طبعة بلا ـ 408 ه ـ 1987 ـ دار الفكر للطباعة والنشر ـ بيروت ـ لبنان

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

16. الأصبهاني _ أحمد بن عبد الله _ حلية الأولياء ـــــ طبعة بلا ـــ المطبعة المصرية

17. أحمد الشايب ـــــ الأسلوب دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية ـــ الطبعة السابعة ـــ مطبعة السعدة

18. الجصاص _ أحمد بن علي الرازي ـــ أحكام القرآن ـــ طبعة بلا ـــ المطبعة البهية

19. الدمشقي _ إسماعيل بن كثير ـــــ تفسير القرآن العظيم ـــ الطبعة الأولى ـــ دار الجيل بيروت

20. الدمشقي _ إسماعيل بن كثير ـــ قصص الأنبياء ـــ الطبعة الأولى ـــ دار الفكر ـــ لبنان ـــ بيروت

21. البهيّ الخولي ـــ تذكرة الدعاة ـــ الطبعة الخامسة ـــ دار العلم ـــ دمشق

22. الأصفهاني _ الحسين بن مسعود ـــــ مفردات ألفاظ القرآن الكريم ـــ تحقيق عدنان داوودي الطبعة الأولى ـــ دار القلم ـــ دمشق

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

23. البغوي _ الحسين بن سعود بن محمد بن فراء ـــــ تفسير البغوي المستمّى (معالم التنزيل) ــ إعداد وتحقيق خالد العك، ومروان سوار ــ الطبعة الثالثة 413 ه ــ 992 م ــ دار المعرفة لبنان

24. د. حمد بن ناصر بن عبد الرحمن العمّار ـــــ أساليب الدعوة الإسلامية المعاصرة ــ الطبعة الأولى ــ 416 ه ــ 996 م ــ دار إشبيليا ــ الرياض

25. أبو بكر جابر الجزائري - أيسر التفاسير لكلام العلي اكبير وبهامشه نهض الخير الطبعة الرابعة 1412 هـ ، 1992 م .

26. د. رؤوف شبلي ـــــ الدعوة الإسلامية في عهدها المكي (مناهجها وغاياتها) ــ الطبعة الثالثة ــ دار القلم ــ الكويت

27. سعيد حوى - الأساس في التفسير الطبعة الاولى 1405 هـ ، 1985 م - دار السلام للطباعة والنشر

28. سلمان بن فهد العودة ــ من أخلاق الداعية ــ طبعة بلا ــ مطبعة سفير ــ الرياض

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

29. أ.د سليمان بن عبد الرحمن الحقيل - الامر بالمعروف والنهي عن المنكر - الطبعة الرابعة - 417 هـ ، 1996 م - مكتبة الملك فهد الوطنية .

30. الجمل _ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي _ الفتوحات الإلهية توضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية طبعة 1 دار الكتب العلمية بيروت .

31. سيّد بن حسين العفّاني ـــــ صلاح الأمة في علوّ الهمّة ـ الطبعة الأولى ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ 417 ه ـ 997 م

32. السجستاني _ سليمان بن الأشعث ـ سنن أبي داود ـ طبعة بلا ـ دار الفكر

33. سيد قطب ـ في ظلال القرآن ـ الطبعة الثالثة عشرة ـ دار الشروق ـ 987 م ـ 407 ه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

14. صديق حسن خان ــ تفسير فتح البيان ــ تقديم عبد الله بن إبراهيم الأنصاري ــ طبعة بلا ــ 410 هـ ــ 989 م

15. صلاح عبد الفتاح الخالدي ــ مع قصص السابقين في القرآن ــ الطبعة الثانية ــ 416 هـ ــ 996 م دار القلم ــ للطباعة والنشر

16. عباس محمود العقاد ــ إبراهيم أبو الأنبياء ــ طبعة بلا ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت

17. الأندلسي _ عبد الحق بن غالب بن عطية ـــــ تحقيق عبد السلام عبد الشافي ــ الطبعة الأولى ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت

18. السيوطي _ عبد الرحمن بن أبي بكر ـــــ تفسير الجلالين ــ طبعة بلا ــ دار القلم للطباعة والنشر ــ بيروت

19. السيوطي _ عبد الرحمن بن أبي بكر ـــــ الإكليل في استنباط التنزيل ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

10. الـ سيوطي _ عبد الرحمن بن أبي بكر ـــــ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ الطبعة الأولى ـ 403 هـ 983 م

11. ابن الجوزي _ أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد _ زاد المسير في علم التفسير الطبعة الثالثة 1404 هـ ، 1984 م المكتب الاسلامي .

12. ابن الجوزي _ أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد _ تذكرة الأريب في تفسـير الغريب الطبعة الاولى 407 هـ ، 1986 م مكتبة المعارف الر اض .

13. السعدي _ عبد الرحمن بن ناصر ـ تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنّان ـ طبعة بلا ـ دار الذخائر ـ الدّمام

14. الدمشقي _ عبد العظيم المنذري ـ مختصر صحيح مسلم ـ تحقيق الألباني ـ الطبعة السادسة ـ المكتب الاسلامي

15. عبد القادر سيد ـ دراسات في الدعوة الإسلامية ـ الطبعة الثالثة ـ الطباعة المحمدية

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

46. عبد الكريم الخطيب ــ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ــ طبعة بلا ــ دار الفكر العربي ــ مطبعة المدني ــ القاهرة

47. عبد الكريم زيدان ـــــ أصول الدعوة ـــــ مكتبة البشائر ــ مؤسسة الرسالة ــ الطبعة الثالثة ــ 409 هـ ــ 988 م

48. النسفي _ عبد الله بن أحمد ــ تفسير النسفي المسمى (مدارك التنزيل) ـــــ وحقائق التأويل ـــــ طبعة بلا ـــــ دار الفكر للطباعة والنشر

49. عبد الله صالح علوان ـــــ الاسلام شريعة الزمان والمكان ــ طبعة دار السلام ــ بيروت ــ 400 هـ ــ 980 م

50. عبد الله عزام ـــــ العقيدة وأثرها في بناء الجيل ـــــ الطبعة الثالثة ــ جمعية عمال المطابع التعاونية 400 هـ ــ 980 م

51. الحميري _ عبد الملك بن هشام بن أيوب ــ السيرة النبوية ــ الطبعة الثانية ــ 375 هـ ــ 955 م ــ شركة ومكتبة مصطفى البابي

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

2. عفيف عبد الفتاح طبّارة ــ مع الأنبياء في القرآن ــ الطبعة السابعة عشرة 989. ــ دار العلم ملايين ــ بيروت

3. الواحدي _ علي بن أحمد ــ أسباب النزول ــ طبعة بلا ــ عالم الكتب ــ بيروت

4. علي بن صالح المرشد ـــــ مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر ــ الطبعة الأولى ــ مكتبة لينة ــ دمنهور ــ مصر

5. علي عبد الحليم محمود ـــــ فقه الدعوة الفردية ـــــ الطبعة الأولى ــ دار الوفاء

6. علي محفوظ ـــــ هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة ـــــ الطبعة الرابعة ـــــ دار الاعتصام للطباعة والنشر الإسلامية

7. البغدادي _ علي بن محمد بن ابراهيم ـــــ لباب التأويل في معاني التنزيل ــ المعروف بتفسير الخازن ــ طبعة بلا ــ دار الفكر

www.manaraa.com

58. د. عمر سليمان الأشقر ـــــ خصائص الشريعة الإسلامية ـــ الطبعة الثالثة ـــ 412 هـ ـــ ـــ 991 م ـــ دار النفائس ـــ مكتبة الفلاح

59. فتحي يكن ـــ مشكلات الدعوة والداعية ـــ الطبعة الثالثة ـــ مؤسسة الرسالة ـــ بيروت

60. د.فضل حسن عباس ـــ القصص القرآني ـــ ايحاؤه ونفحاته ـــ الطبعة الأولى ـــ 407 هـــ ـــ 987 م

61. د. فهد الرومي ـــ خصائص الـ رآن الكريم ـــ الطبعة الرابعة 409 هـــ

62. الدمـ شقي _ العز بن عبد الـ سلام الـ سلمي - تفـ سير القرآن الطبعة الثالثة دار ابن حزم

63. د. محمد أبو فارس ـــ أسس الدعوة ووسائل نشرها ـــ دار الفرقان

64. ابن قيم الجوزية ـــ محمد بن أبي بكر ـــ إعلام الموقعين عن رب العالمين ـــ دار الجيل ـــ بير ت ـــ 973 م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

55. ابن قيم الجوزية ــ محمد بن أبي بكر ــ إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ــ طبعة بلا ــ دار الفكر

56. ابن قيم الجوزية ــ محمد بن أبي بكر ــ الأمثال في القرآن ــ الطبعة الثانية ــ دار المعرفة ــ بيروت

57. ابن قيم الجوزية ـــــ محمد بن أبي بكر ـــــ التفسير القيم ــ طبعة عام 398 هـ ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت

58. د. محمد أبو الفتح ـــــ المدخل إلى علم الدعوة ـــــ الطبعة الأولى ــ 412 هـ ــ 961 م

59. محمد أحمد أبو النور ـــــ التخطيط للدعوة الإسلامية وأهميته ــ الطبعة الثالثة ــ مكتبة وهبة

60. الغرناطي _ محمد بن أحمد بن جزيّ ـــــ كتاب التسهيل في علوم التنزيل ــ طبعة بلا ــ دار الفكر

61. محمد بن أحمد خلف الله ـــــ الفن القصصي في القرآن ــ الطبعة الرابعة ــ مكتبة الانجلو المصرية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

72. الأزهري _ محمد بن أحمد ـــــ تهذيب اللغة ـــــ طبعةبلا ـــ الدار المصرية للتأليف والترجمة ـــ القاهرة

73. القرطبي _ محمد بن أحمد ـــ الجامع لأحكام القرآن ـــ طبعة بلا

74. البخاري _ محمد بن إسماعيل ـــ صحيح البخاري ـــ الطبعة الأولى ـــ دار القلم

75. الـ شنقيطي _ محمد الأمين بن محمد المختار ـــــــ الجكني ـــ أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن ـــ طبعة بلا ـــ عالم الكتب ـــ بيروت

76. الذهبي _ محمد بن أحمد بن عثمان ـــــ سير أعلام النبلاء ـــ تحقيق شـ يب الأرنؤوط ـــ الطبعة السابعة ـــ بيروت

77. محمد أحمد العدوي ـــ دعوة الرسل ـــ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ـــ 354 هـــ

78. محمد التهامي نفرة ـــ سيكلوجية القصة في القرآن ـــ طبعة بلا ـــ الشركة التونسية للتوزيع ـــ 971 م

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

79. الطبري _ محمد بن جرير ـــــــ جامع البيان عن تأويل آي لقرآن ــ دار الفكر ــ 408 هـــ ــ 988 م

80. الطبري _ محمد بن جرير ــ تاريخ الأمم والملوك ــ الطبعة الثانية ــ 418 هـــ ــ 1988 ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت

81. القاسمي _ محمد جمال الدين ــ محاسن التأويل المسمّى(تفسير القاسمي) ــ الطبعة الثانية ــ 389 هـــ 978 م

82. د. محمد حسن بني عامر ـــــــ أساليب الدعوة والإرشاد (الدعوة، الداعية، المدعو، طبعة بلا ــ المكتبة الوطنية

83. د. محمد حسين الذهبي ــ مشكلات الدعوة والدعاة في العصر الحديث ــ الطبعة الأولى ــ مركز شؤون الدعوة ــ السعودية

84. محمد بن حسين الزير ــ القصص في الحديث النبوي ــ دار اللواء ــ الرياض

85. لشيخ محمد الخضري ـــــــ اتمام الوفاء في سيرة الخلفاء ــ طبعة بلا ــ طبعة دار الوفاء للطباعة والنشر

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

36. محمد الخضر حسين ـــــ الدعوة الى الاصلاح ـــــ طبعة المطبعة السلفية القاهرة 46 هـ

37. الفخر الرازي - محمد ضياء الدين عمر ـــــ ضياءالدين عمر ـ التفسير الكبير ـ (مفاتح الغيب) ـ الط عة الثالثة ـ دار احياء التراث بيروت

38. محمد الراوي ـــــ الدعوة الإسلامية دعوة عالمية ـــــ الطبعة الثالثة ـ مكتبة الرشد للتوزيع الرياض

39. محمد رشيد رضا ـ الوحي المحمّدي ـ الطبعة السادسة ـ الناشر مكتبة القاهرة 308 هـ ـ 960 م

40. محمد رشيد رضا ـ تفسير القرآن الحكيم ـ الشه ر بتفسير المنار ـ الطبعة الثانية ـ دار الفكر

41. د محمد سليمان الأشقر ـــــ زبدة التفسير من فتح القدير ـ الطبعة الرابعة ـ الدار المتحدة للطباعة والنشر دمشق

42. محمد السيد الجلنيد ـ دقائق التفسير الجامع لتفسير ابن تيمية ـ طبعة دار الانصار ـ مصر

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

13. المباركفوري ــ محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم ــ تحفة الأحوذي بشرح الترمذي ـــــ الطبعة الأولى ـــــ دار الكتب العلمية ــ بيروت

14. د محمد عبد العظيم الزرقاني ـــــــ مناهل العرفان في علوم القرآن ــ طبعة دار إحياء التراث

15. التبريزي _ محمد بن عبد الله ــ مشكاة المصابيح ــ تحقيق الألباني ــ الطبعة الثالثة ــ المكتب الإسلامي ــ بيروت

16. المالكي _ محمد عبد الله المعروف بابن العربي ـــــــ أحكام القرآن ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان

17. النيســـابوري _ الحاكم محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم _ المســـ تدرك عن الصـــحيحين - الطبعة الاولى - مكتب المطبوعات الاسلامية - حلب .

18. ، حمد الطاهر بن عاشور ـــــ التحرير والتنوير ـــــ الطبعة المصرية ــ القاهرة

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

99. محمد بن علي بن حزم ــ الفصل في الملل والنحل ــ الطبعة الأولى ــ دار الفكر

100. الـ شوكاني _ محمد بن علي ـــــ فتح القدير الجامع بين فنّي الرواية والدراية ــ طبعة بلا ــ دار الفكر ــ بيروت ــ لبنان . 403 هـ ــ 983 م

101. الصابوني _ محمد علي ــ النبوة والأنبياء ــ الطبعة الثانية . 40 هـ ــ 980 م

102. الترمذي - محمد بن عيسى - الجامع الصحيح (سنن الترمذي) تحقيق محمود محمد الـسوار طبعة واحد دار الكتب العلمية بيروت .

103. محمد الغزالي ــ مع الله (دراسات في الدعوة والدعاة ــ طبعة بلا ــ 405 هـ ــ 985 م دار الثقافة ــ الدوحة

104. محمد الغزالي ــ خلق المسلم ــ طبعة بلا

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

05. محمد بن فارس ــ معجم مقاييس اللغة ــ تحقيق عبد السلام هارون ـــــ الطبعة الأولى ـــــ دار إحياء الكتب العربية ــ القاهرة

06. محمد فؤاد عبد الباقي ـــــــ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ــ طبعة بلا ــ دار الفكر ــ بيروت

07. محمد قطب ــ دراسات قرآنية ــ دار الشروق ــ الطبعة الرابعة 403 هـ ــ 983 م

08. محمد قطب عبد العال ــ نظرات في قصص القرآن ــ العدد 9 ــ 407 هـ ــ دار الصحافة ــ مكة المكرمة

09. الـ شربيني _ محمد بن محمد ـــــــ تف سير القرآن الم سمّى (بالسراج المنير) الطبعة الثانية ــ دار المعرفة ــ بيروت

10. ابن الأثير _ محمد بن محمد بن عبد الكريم الشـــيباني ــ الكامل في التاريخ ـــــ طبعة بلا ـــــ دار إحياء التراث ــ بيروت

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

11. أبو السعود _ محمد بن محمد العمادي ــ إرشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم ــ طبعة بلا دار إحياء التراث العربي

12. محمد محمود حجازي ــ التفسير الواضح ــ الطبعة الرابعة ــ مطبعة الاستقلال ــ القاهرة

13. الآلوسي _ محمود بن عبد الله ـــــ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ــ الطبعة الرابعة ــ 405 هـ ــ 985 م ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت ــ لبنان

14. الزمخشري _ محمود بن عمر ــ أساس البلاغة ــ طبعة بلا ــ دار صاد ــ بيروت

15. الزمخشري _ محمود بن عمر ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ــ طبعة بلا ــ دار الكتاب العربي ــ بيروت

16. ابن منظور _ محمد بن مكرم ــ لسان العرب ــ طبعة بلا ــ دار صادر ــ بيروت

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

17. الألباني _ محمد ناصر الدين ـــــ ص حيح سنن ابن ماجة ـ الطبعة الأولى ـــــ توزيع المكتب الإسلامي ـــــ بيروت ـ 407 هـ ـ 986 م

18. الألباني _ محمد ناصر الدين ـــــ صحيح سنن الترمذي ـ الطبعة الأولى ـ 408 هـ ـ 988 م ـ المكتب الاسلامي ـ بيروت

19. محمد نمر الخطيب ـ مرشد الدعاة ـ الطبعة الأولى ـ دار المعرفة للطباعة , النشر ـ بيروت

20. ابن ماجة _ محمد بن يزيد القزويني ـــــ سند ابن ماجة ـ طبعة بلا ـ دار إحياء التراث

21. الفيروز أبادي _ محمد بن يعقوب ـــــ القاموس المحيط ـ الطبعة الثانية ـ مؤسسة الرسالة

22. النيسابوري _ مسلم بن الحجاج ـ صحيح مسلم ـ طبعة بلا ـ 413 هـ ـ 995 م ـ دار الكتب الـ مية ـ بيروت

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

23. همام سعيد ـــــ قواعد الدعوة إلى الله ـــــ الطبعة الثالثة 407 هـ ـ 987 م ـ دار العدوي ـ عمان ـ الأردن

24. النووي _ يحيى بن شرف ـــــ شرح النووي على صحيح مسلم ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت

25. النووي _ يحيى بن شرف ـ رياض الصالحين ـ تحقيق شعيب الأر ؤوط ـ الطبعة السادسة ـ مؤسسة الرسالة

126. يوسف القرضاوي ـ الخصائص العامة للإسلام ـ طبعة دار المعرفة ـ الدار البيضاء .

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com